BIRZEIT UNIVERSITY

روايات اللاجئين الفلسطينيين: مقارنة عبر الأجيال

Palestinian Refugee Narratives: An Inter-Generational Comparison.

تقديم:

أمــل هــانـــي زايـــد

بإشراف:

د. روجــر هيكــوك

2013

روايات اللاجئين الفلسطينيين: مقارنة عبر الأجيال

Palestinian Refugee Narratives: An Inter-Generational Comparison.

إعداد: أمل هاني زايد

الرقم الجامعي: 1105020

نوقشت بتاريخ: 2013/2/26

بإشراف:

د. روجر هيكوك

لجنة النقاش:

د. شريف كناعنة　　　　د. مجدي المالكي

تم تقديم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات الدولية/ تركيز الهجرة القسرية واللاجئين، كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت- فلسطين.

إعداد: أمل هاني زايد

روايات اللاجئين الفلسطينيين: مقارنة عبر الأجيال

تاريخ المناقشة:

2013/2/26

توقيع لجنة النقاش

د. روجر هيكوك

....

د. شريف كناعنة

....

د. مجدي المالكي

....

الإهداء والشكر:

بعد حمد الله وشكره أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى عائلتي الغالية التي دعمتني وشجعتني خلال فترة العمل على هذا البحث، كما اتقدم بالشكر لأصدقائي وزملائي و د.عاصم خليل وكل طاقم معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية على ما قدموه لي من دعم.

كما أشكر د. روجر هيكوك الذي رافقني خطوة بخطوة وكان دوما العون والدعم في لحظات الضعف والتعب. وإلى لجنة النقاش.. د. شريف كناعنة ود. مجدي المالكي.

وأتقدم بجزيل الشكر للسيد أحمد المبارك – أبو مالك، الشخص الذي ساعدني ويسر لي مهمة إجراء المقابلات الواردة في طي هذه الرسالة ولولاه لما تمكنت من إجراء هذا الكم و النوع من المقابلات.

وأخيراً لا بد وأن أشكر جميع اللاجئين الذين قبلوا مشاركتي رواياتهم وتجاربهم.

قائمة المحتويات

الإهداء والشكر.. أ

قائمة المحتويات .... ب

ملخص إنجليزي ....ث

ملخص عربي ....ح

قصيدة وصية لاجئ .... د

المقدمة .... ر

الفصل الأول: الإطار النظري ومراجعة الأدبيات 1

الفصل الثاني:القرية الأصل والخروج منها 25

الحياة ما قبل النكبة 26

سبب الخروج من القرية/ المدينة 34

المسار الطويل 43

زيارة القرية/ المدينة بعد الخروج 47

الفصل الثالث: ماذا بعد الخروج؟ 56

المخيم والأونروا 57

العنصرية والعلاقات الفلسطينية الفلسطينية 69

دور المرأة 74

الفصل الرابع: آراء وتوجهات الأجيال 79

المسؤولية 81

حق العودة 93

الرأي بالأجيال الأخرى 104

الفصل الخامس: عرض النتائج والخاتمة 115

الخاتمة 132

المراجع المكتوبة 136

المراجع الشفوية 143

الملحق (1) 146

الملحق (2) 153

الملحق (3) 157

Abstract:

In an attempt to contribute in the process of preserving Palestinian history, and protecting the Palestinian narrative of the 1948 Nakba from being buried under the rubble of the fabricated Israeli narrative of that year. This research comes as a part of a project in collecting the Palestinian oral history by recording more than 50 oral interviews with Palestinian refugees from three different generations who had been displaced – either themselves or their families- in 1948, hence their situation changed from being owners and farmers known for their hospitality, to become dispersed refugees whom are rarely well received.

The interviews conducted for the purpose of this research were mostly carried out in Ramallah City and its surroundings, in addition to some other interviews from other places –in Palestine and abroad such as Egypt and Jordan. However, by taking into consideration the geographic area covered in these interviews concerning the village/ city of origin of the interviewees, it is much broader, with more than 20 villages/ cities: (Saqia, Annaba, Beit Nabala, Al-Maghar, Ein Karem, Beit Thul, Dawayma, Qattana, Abbasia, Mzeir'a, Samsem, Deir Tareef, Safriya, Beit Dajan, Lifta, Khubeza, and Sidrehm in addition to the cities of Jaffa, Lod, Ramla, and Safad).

What distinguishes this research from other similar researches is the way it presents a comparison between the three observed generations, it does not separate each generation in a chapter, but rather combines all these generations in every chapter of this study, and this is due to the overlap and the similarities in the attitudes, views and narratives of the different interviewees. Thus, major dimensions are adopted, starting with presenting the narratives of the interviewees -whether they were directly narrated or reported by their children or grandchildren

– regarding the village/ city of origin, the journey of displacement, and life after the Nakba. I also discussed what these refugees faced after “leaving” the village/ city of origin such as life in the camps, the role of UNRWA, and women’s role at the time. The following chapter, in a way, presents the opinions of refugees I interviewed from the different generations concerning some of the key issues in the Palestinian question, such as the issue of “responsibility” for the Nakba, the Right of Return, and assessing other generations of refugees.

The last chapter of this study specifies the main results of the study which are unique in terms of their diversity and how they do not focus only on one aspect. They also covered social, political, and even psychological aspects, which I believe that each of which can shape an interesting topic to be further studied by those for instance interested in the psychological aspects of refugees’ life. Furthermore, the most significant result of this study is the importance of not generalizing any of the results, since the interviews always included different contents, and each issue that was raised or witnessed by the first generation, subsequent generations also witnessed. This led me to another result which is not to consider the “generation” factor as the basis of differentiating between different generations, since other factors such as Family, political orientation and others, played more significant roles.

ملخص:

في محاولة لتقديم مساهمة متواضعة في عملية حفظ التاريخ الفلسطيني، وحماية الرواية الفلسطينية عن أحداث نكبة الشعب الفلسطيني عام 1948 من أن تطمر تحت ركام تزييف وتلفيق الرواية الإسرائيلية عن ذلك العام، يأتي هذا البحث ليشكل جزءاً من مشروع جمع التاريخ الشفوي الفلسطيني، وذلك من خلال تسجيل ما يزيد على 45 مقابلة شفوية للاجئين فلسطينيين من ثلاثة أجيال مختلفة هجروا شخصياً أو هجرت عائلاتهم عام 1948، ليتغير حالهم من مالكين ومزارعين عرفوا بحسن ضيافتهم ليصبحوا لاجئين مشتتين نادراً ما تحسن استضافتهم.

تركزت المقابلات التي يقوم عليها هذا البحث في مدينة رام الله ومحيطها إلى جانب بعض المقابلات المتفرقة من هنا وهناك- من داخل فلسطين وخارجها. إلا أنه وبالنظر إلى المحيط الجغرافي الذي تغطيه هذه المقابلات حسب القرية أو المدينة الأصل للمبحوثين، فلقد اتسعت هذه الدائرة الجغرافية لتشمل ما يزيد على عشرين قرية/ مدينة ضمت كل من (الساقية، عنابا، بيت نبالا، المغار، عين كارم، بيت ثول، الدوايمة، قطنة، العباسية، المزيرعة، سمسم، دير طريف، السافرية، بيت دجن، لفتا، خبيزة، السدرة، إلى جانب كل من مدينة يافا واللد والرملة وصفد).

وتميز هذا البحث عن غيره من الأبحاث المماثلة بطريقة عرض ومقارنة الأجيال الثلاثة المبحوثة، فلم يتم تقسيم البحث بناءً على الأجيال المبحوثة كل على حدى، بل تم دمج هذه الأجيال في كل فصل من فصول الدراسة لما تبين من تداخل وتشابه في الآراء والتوجهات والروايات لدى جميع الفئات المبحوثة. لذا تم اعتماد ابعاد رئيسية تمثلت بداية بعرض روايات المبحوثين، سواء كانت روايات مباشرة أم منقولة، فيما يتعلق بمسألة القرية الأصل ورحلة التهجير وأيضاً فيما يتعلق بالحياة ما قبل النكبة. ثم ليتم تسليط الضوء على ما بعد الخروج من القرية/ المدينة الأصل كحياة المخيمات ودور الأونروا ودور النساء في تلك الفترة. ويأتي بعد ذلك نوع من استطلاع لآراء اللاجئين المبحوثين من الأجيال المختلفة في عدد من أهم المسائل على صعيد القضية الفلسطينية كمسألة المسؤولية عن النكبة وقضية حق العودة والموقف من الأجيال الأخرى.

وأخيراً فيما يتعلق بآخر فصول هذا البحث، فقد تم تخصيصه لتقديم النتائج التي خرج بها. وقد تميزت هذه النتائج بتنوعها وعدم اقتصارها على جانب دون آخر. فقد تباينت النتائج بين تلك المتعلقة بالجوانب الاجتماعية وتلك السياسية، وأيضاً

النتائج ذات البعد النفسي والتي قد تصلح كل واحدة منها موضوعاً ملفتاً للدراسة والتمحيص للمهتمين في الجوانب النفسية لحياة اللاجئين. وكانت أهم النتائج التي خلص إليها البحث تكمن في ضرورة عدم اللجوء إلى تعميم أي ظاهرة أو نتيجة من النتائج الأخرى، فدائماً ما كانت المقابلات متنوعة في محتواها، وكل قضية ظهرت بالجيل الأول كانت تظهر لها نظيرة بالجيلين الثاني والثالث، مما قادني إلى نتيجة أخرى تمثلت بعدم اعتماد الجيل كعامل للاختلاف، في الحين الذي لعبت فيه عوامل أخرى دوراً أكبر وأوضح، كالعائلة والانتماء السياسي وغيرها.

وصية لاجئ

هاشم الرفاعي

أنا يا بني غداً سيطويني الغسق... لم يبق من ظل الحياة سوى رمق... وحطام قلب عاش مشبوب القلق... قد أشرق المصباح يوماً واحترق

فإذا نفضت غبار قبري من يدك... ومضيت تلتمس الطريق إلى غدك... فاذكر وصية لاجئ تحت التراب... سلبوه آمال الكهولة والشباب

مأساتنا مأساة ناس أبرياء... وحكاية يغلي بأسطرها الشقاء... حملت إلى الآفاق رائحة الدماء... وجريمتي كانت محاولة البقاء

أنا ما اعتديت ولا ادخرتك لاعتداء... لكن لثأر نبعه دام هنا... بين الضلوع جعلته كل المنى... وصبغت أحلامي به فوق الهضاب... وظمئت عمري ثم مت بلا شراب

كانت لنا دار وكان لنا وطن... ألقت به أيدي الخيانة للمحن... وبذلت في إنقاذه أغلى ثمن... بيدي دفنت أخاك فيه بلا كفن... إلا الدماء وما ألم بي الوهن

إن كنت يوماً قد سكبت الأدمعا... فلأنني حملت فقدهما معا... جرحان في جنبي ثكلٌ واغتراب... ولدٌ أضيع وبلدة رهن العذاب

تلك الربوع هناك قد عرفتك طفلاً... يجني السنا والزهر حين يجوب حقلاً... فاضت عليك رياضها ماءاً وظلاً... واليوم قد دهمت لك الأحداث أهلاً... ومروجك الخضراء تحني الهام ذلاً

هم أخرجوك فعد إلى من اخرجوك... فهناك أرض كان يزرعها أبوك... قد ذقت من أثمارها الشهد المذاب... فإلام تتركها لألسنة الحراب

حيفا تئن أما سمعت أنين حيفا!... وشممت عن بعد شذى الليمون صيفا... تبكي فإن لمحت وراء الأفق طيفا... سألته عن يوم الخلاص متى وكيفا... هي لا تريدك أن تعيش العمر ضيفا

فوراءك الأرض التي غذت صباك... وتود يوماً في شبابك لو تراك... لم تُنسها إياك أهوال المصاب... ترنو ولكن ملء نظرتها عتاب

إن جئتها يوماً وفي يدك السلاح... وطلعت بين ربوعها مثل الصباح... فاهتف على سمع الروابي والبطاح... إني أنا الأمس الذي ضمد الجراح... لبيك يا وطني العزيز المستباح

أولست تذكرني؟ أنا ذاك الغلام... من أحرقوا مأواه في جنح الظلام... بلهيب نار حولها رقص الذئاب... لفت حياتي بالدخان وبالضباب

سيحدثونك يا بني عن السلام... إياك أن تصغي إلى هذا الكلام... كالطفل يخدع بالمنى حتى ينام... لا سلم أو يجلو عن الوجه الرغام... صدقتهم يوماً فآوتني الخيام

وغدا طعامي من نوال المحسنين... يلقى إلي إلى الجياع اللاجئين... فسلامهم مكر وأمنهم سراب... نشر الدمار على بلادك والخراب

لا تبكين فما بكت عين الجناة... هي قصة الطغيان من فجر الحياة... فارجع إلى بلد كنوز أبي حصاه... قد كنت أرجو أن أموت على ثراه... أملُ ذوي ما كان لي أملٌ سواه

فإذا نفضت غبار قبري من يدك... ومضيت تلتمس الطريق إلى غدك... فاذكر وصية لاجئ تحت التراب... سلبوه آمال الكهولة والشباب

المقدمة:

ارتأيت أن افتتح هذه الدراسة بقصيدة هي قصيدة "وصية لاجئ" للشاعر هاشم الرفاعي. قصيدة وجدت في أبياتها ما قد يختصر الجوانب المتعددة لبحثي هذا، فهي رواية يرويها لاجئ فلسطيني لابنه، يروي له تاريخاً عاشه ومستقبلاً سيعيشه، ينقل له تجربته وذاكرته ورأيه وحتى أمله بعد أن يموت. هي قصيدة دالة ومعبرة، تشمل وصفاً لمعانٍ عميقة طالت تجربة اللجوء والخيام، ومن المسؤول عنها، كما تمثل كيفية نقل الأجيال السابقة تجاربهم لأبنائهم وكيف يغرسون حب الوطن في قلب من لم يعشه. قصيدة تحدثت عن الجيل السابق والجيل اللاحق، عن الرواية والذاكرة والتاريخ والعودة ..

ففي عام 1948، انتهى الأمر بأعداد كبيرة من الفلسطينيين إلى التشرد واللجوء إلى عدة دول حول العالم، فأصبح ما يقارب ثلثي الشعب الفلسطيني شعباً مهجراً مشتتاً دون مأوى، ومنذ ذلك الحين حتى يومنا هذا أصبحت هذه الفئة والتي تشكل غالبية الشعب الفلسطيني تعيش حالة من الترقب المستمر على أمل شهادة لحظة العودة إلى أرض الوطن.

وأصبح موضوع هذه الشريحة من المجتمع الفلسطيني يعتبر أهم المواضيع والقضايا المبحوثة عند النظر لقضية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، كونها – إلى جانب مسألة القدس– تشكل حجر العثرة الأساسي في طريق أي مفاوضات أو حلول لهذه القضية. وبسبب ضخامة وحساسية قضية اللاجئين الفلسطينيين، كان .. ومازال .. وسيبقى من المهم دراسة هذه الشريحة من جوانب شتى، ولا يمكن غض الطرف عن دورها وأثرها في القضية الفلسطينية.

وبما أنه قد مر ما يزيد على الستين عاماً على أحداث النكبة ومأساة اللجوء الفلسطيني، أصبح من النادر العثور على روايات وشهادات حية لأشخاص عاصروا أحداث النكبة، فمعظم اللاجئين المتواجدين في العالم الآن سواء داخل المخيمات أو خارجها، هم ممن ورثوا حالة اللجوء عن آبائهم وأجدادهم وليسوا ممن كانوا جزءاً من أحداث النكبة. ونظراً لأهمية الروايات الفردية والحية لهؤلاء الأشخاص في عملية التأريخ الفلسطينية، ارتأيت العمل في مجال جمع "تاريخ شفوي" عن أحداث نكبة عام 1948 ممن يتسنى لي مقابلتهم من المعمرين الذين مازالت صور معاناة النكبة وأحداثها راسخة في أذهانهم، لأقوم بعد ذلك بمقارنتها مع روايات لاجئي الجيل الثاني والثالث وتحديد نقاط التلاقي والاختلاف فيما بينها.

إشكالية الدراسة:

بما أن مفهوم الجيل يشير إلى مجموعة تتشارك وتتشابه في جوانب مختلفة كالظروف والآراء وغيرها، يقودنا ذلك إلى أن الأجيال المختلفة تعني اختلافاً في تلك الآراء والظروف. وانطلاقاً من ذلك يهدف هذا البحث إلى تقصي ما إذا هناك اختلاف جوهري في روايات اللاجئين من جيل لآخر، مع العلم أنه لا بد من وجود تغيرات في طبيعة الرواية، لكن هل الاختلاف كبير وجوهري أم مجرد شكلي؟" كما سيتم التطرق لمسائل أخرى تتفرع عن هذا الموضوع مثل: كيف يختلف منظور كل جيل من الأجيال المبحوثة حول موضوع المسؤولية عن أحداث النكبة ومسألة العودة ودور المرأة الفلسطينية خلال وبعد النكبة؟ وغيرها من الجوانب.

فرضية الدراسة:

انطلاقاً من افتراض أولي يفيد بوجود أجيال مختلفة من اللاجئين، تقوم الدراسة على فرضية أن مرور الوقت وتغير النظم العالمية المختلفة – الاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها– وتغير طبيعة وسياق الحياة التي يعيشها كل جيل من الأجيال، لا بد وأن يؤدي إلى تغيير في منظور اللاجئين الفلسطينيين إلى قضيتهم وظروف لجوئهم وهو ما سيظهر من خلال روايات الأجيال المختلفة لنفس المرحلة وهي مرحلة نكبة 1948. فقد شهدت الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية تغيرات تاريخية مستمرة وسريعة في النظام الدولي، فكان الانتقال من فترة الاستعمار الأوروبي (البريطاني الفرنسي) إلى القطبية الثنائية الأمريكية السوفييتية، تلتها فترة الامبريالية الأمريكية وانهيار الاتحاد السوفييتي وصولاً إلى مرحلة العولمة أواخر القرن العشرين وما رفقها من حداثة وانفتاح وغير ذلك.

كما كانت الفرضية الأولية لدى الباحثة مبنية على أن الجيل الأول من اللاجئين الفلسطينيين هو جيل تأثر بفترة الاستعمار والانتداب البريطاني على فلسطين وسيبني روايته وآراءه بناءً على تجربته في ظل تلك الظروف، بينما ستختلف روايات الجيل الثاني الذي عاش فترة كانت الجماعات الصهيونية واليهود والاحتلال الإسرائيلي هم الجهات الأكثر تأثيراً في حياتهم. أما الجيل الثالث فهو الذي سيبني آراءه ورواياته بناءً على تأثره بحياته في ظل الامبريالية الأمريكية والعولمة والانفتاح بسبب سهولة الاتصال والتواصل مع العالم الخارجي.

وتكمن أهمية هذا البحث فيما يلي:

- كونه يعتبر ضمن "التاريخ الشفوي" لأحداث النكبة الفلسطينية والذي لا يقل أهمية عن التاريخ المكتوب. فغالباً ما يكون التاريخ المكتوب مسيطراً عليه من قبل الطرف الأقوى، في حين يمكننا التاريخ الشفوي من تسليط الضوء على روايات الطرف الآخر.
- جمع ما يمكن جمعه من الروايات الحية الفردية للفئة القليلة المتبقية ممن عاصروا النكبة.
- دراسة تغير حالة اللجوء الفلسطينية ونظرة اللاجئين أنفسهم لها مع اختلاف الأجيال.

المنهجية:

أما فيما يتعلق بالمنهجية المستخدمة خلال البحث، فكان هناك اعتماد إلى حد ما على المنهج التاريخي الذي من خلاله يتم جمع ما يمكن جمعه من معلومات سابقة عن النكبة وتفاصيلها، فقد تعددت الكتابات والأدبيات التي تحدثت عن فترة النكبة عام 1948 وما رافقها من أحداث وروايات، ليتم بعد ذلك الاستعانة بها للعمل على مقارنتها مع ما يرد في المقابلات التي سيتم إجراؤها، حيث إن أساس هذا البحث قائم على مقابلات شخصية معمقة مع أشخاص يقدمون رواياتهم عن النكبة وأحداثها وأطرافها.

كان الأصل في هذا البحث أن يقوم بناءً على إجراء 45 مقابلة مقسمة بين الأجيال الثلاثة المبحوثة (15 مقابلة لكل جيل)، لتتم مقابلتهم حسب معايير موضوعية وبطرح أسئلة مفتوحة تتيح المجال لكل منهم التعبير براحة واتساع أكثر وبعد ذلك يكون العمل على تحليل النتائج ومقارنتها بشكل كمي وكيفي؛ لكن انتهى الأمر بتجاوز الخمسين مقابلة وذلك لعدة أسباب. كانت الرغبة بالاستماع قدر الإمكان للمزيد من روايات اللاجئين خاصة من أبناء الجيل الأول سبباً من تلك الأسباب، حيث كنت لا أتوانى عن إجراء أي مقابلة مع المعمرين من اللاجئين حتى وإن كان ذلك بعد إنهاء العدد المطلوب من المقابلات. أيضاً، ما لاحظته من هيمنة كاملة للاجئين المسلمين في المقابلات، وطبعاً هذه الفئة من المجتمع –اللاجئين– لا تقتصر على المسلمين فقط، مما دعاني لإجراء المزيد من المقابلات مع عدد من اللاجئين المسيحيين. أضيف إلى ذلك اضطراري

لإجراء مقابلات بديلة عن مقابلات أخرى بسبب عدم وضوح بعض المقابلات أو عدم التمكن من تسجيلها، أو حتى عدم تمكن المبحوث من الإدلاء برأيه أو روايته لأسباب صحية.

وتباينت نوعية المقابلات التي تم إجراؤها بين مقابلات فردية وأخرى جماعية. وأقصد بالمقابلات الفردية تلك المقابلات التي أجريتها مع المبحوث فقط دون أي حضور أو مشاركة من أي من أفراد الأسرة الآخرين، ويمكن أن اعتبر أن معظم المقابلات الفردية تمكنت من إجرائها مع أبناء الجيل الثالث بشكل أكبر منه لدى الجيلين الأول والثاني. فقد كانت معظم مقابلات الجيل الثالث تتم بيني وبين المبحوث فقط كونها كانت في الغالب تتم في الجامعة أو مكان العمل، ونادراً ما أتيحت لي هذه الفرصة مع الجيلين الآخرين. فقد اتسمت معظم مقابلات الجيل الأول والثاني بأنها كانت جماعية إلى حد ما، فكون المقابلات كانت غالباً ما تتم في بيت المبحوث، كثيراً ما كان يتواجد واحد من أفراد الأسرة على الأقل. ويمكن إعزاء هذه المشاركة أحياناً إلى رفض ترك المجال تماماً للحديث للأب أو الجد، وقد يكون ذلك خوفاً أو ارتياباً. لكن أيضاً كان هناك حالات أخرى تواجد فيها الأبناء والأحفاد رغبة منهم بالاستماع والمشاركة، حيث أشار البعض إلى أنهم يرغبون سماع هذه القصص معنا كونهم لم يسمعوها مسبقاً.

أيضاً، كان من الصعب على الباحثة التواصل بشكل منفرد مع المبحوثين، بل غالباً ما كانت المقابلات تتم من خلال التنسيق مع شخص مقرب منهم أو يعرفهم من داخل المخيم أو من الأقارب، وبالتالي كان هذا الشخص حاضراً في معظم المقابلات التي تم إجراؤها، مما حول عدداً من هذه المقابلات إلى جلسات جماعية يتم خلالها تبادل الحديث من جميع الأطراف ولم تكن المقابلات مجرد سؤال وجواب.

ومن ناحية أخرى، انقسمت هذه المقابلات أيضاً بين المقابلات القصيرة المقتضبة والمقابلات الطويلة المفصلة. فبعض المقابلات لم تتجاوز العشرين دقيقة من الكلام، حيث كان بعض المبحوثين يقدمون إجابات قصيرة ومباشرة وعلى قدر السؤال فقط، وفي كثير من الأحيان كان الجهل بالتفاصيل أو "ادعاء" عدم المعرفة هو السبب الرئيسي في قصر هذه المقابلات. ولكن في المقابل كانت هناك مقابلات طويلة جداً تجاوزت الساعة أو الساعة والنصف. ومن الجدير بالذكر أن طول المقابلة لا يشير إلى مدى غنى المقابلة بالمعلومات المطلوبة لهذا البحث، فأحياناً كانت بعض المقابلات القصيرة أكثر إفادة من مقابلات طويلة من حيث التطرق للمواضيع المراد بحثها هنا، في حين اتسمت بعض المقابلات الطويلة بأنها غير

مفيدة كثيراً كون المبحوث اتسع وأسهب في مواضيع أخرى، لا أقول أنها غير هامة، بل هي هامة ومفيدة، لكنها تتجاوز أهداف هذا البحث. ففي إحدى الحالات استرسل أحد المبحوثين في الحديث عن تجاربه ومعاناته الخاصة من استشهاد ابن له وجرح آخر وهدم منزله وغير ذلك، وكان يدخل هذا النوع من التفاصيل في كل مرة أطرح عليه سؤالاً من الأسئلة.

كما لا بد من الإشارة إلى أنني عمدت خلال كتابة البحث إلى استخدام عدد من الصور التي ارتأيت أنها تضفي للكلام بعداً حسياً سيعمق من أثره، إضافة إلى أن الصور باتت تعتبر مصدرا مهماً للتاريخ كون الصور غالباً ما تكون كوثيقة إثبات على حدث ما (نصار 2008).

الصعوبات:

بالرغم من أنني فلسطينية وأقيم في فلسطين وبشكل خاص في الضفة الغربية، وبالرغم من كثرة مخيمات اللاجئين المنتشرة في أنحاء البلاد، إلا أن أول زيارة لي في حياتي لمخيم لاجئين ودخولي عبر شوارعه وممراته الضيقة كانت متأخرة إلى حد كبير. ففي عام 2011 كان مخيم الجلزون هو أول مخيم لجوء أتمكن من دخوله ومشاهدة تفاصيل حياة من فيه وظروفهم، وذلك عندما قمنا بزيارة أكاديمية للمخيم ضمن مساق حول اللاجئين أثناء دراستي للماجستير في جامعة بيرزيت. مشينا حينها في أزقة وحارات المخيم. وبالرغم من أن كثيرين يرون في مخيم الجلزون أفضل المخيمات الفلسطينية حالاً وظروفاً، إلا أنه يبقى "مخيماً" بما تحمله الكلمة من تفاصيل.

كان من الصعب في البداية على عائلتي تقبل فكرة توجهي إلى المخيمات بمفردي والالتقاء بسكانها، وذلك نظراً لطبيعة الصورة النمطية المنتشرة في المجتمع الفلسطيني عن المخيمات وظروف الحياة فيها وطبيعة سكانها. لكن ما لبث هذا الأمر أن لم يعد يشكل عائقاً بعد أول زيارة أو زيارتين إلى المخيم، لقد قابلت فعلاً خلال عملي على هذا البحث أشخاصاً وأسر تمنيت لو أني عرفتهم قبلاً. لكن بقيت مشكلة تمكني من توسيع الدائرة الجغرافية للبحث، فلم أتمكن من إجراء مقابلات سوى في محيط مدينة رام الله ومخيماتها وقراها، إلى جانب عدد محدود من المقابلات التي تمكنت من إجرائها في كل من مصر والأردن وبعض الأماكن الأخرى. ولكن من ناحية أخرى كان هناك تنوع أكبر من حيث الاتساع الجغرافي للأصول التي قدم منها المبحوثون.

ثم واجهت صعوبة الوصول إلى أشخاص يوافقون على إجراء المقابلات. فأبناء الجيل الأول أصبحوا قلائل أو غير قادرين على نقل معلومات واضحة نظراً لكبر سنهم. فمرة أطرق باب عائلة علمت أن فيها معمراً لكنني لا أتمكن من مقابلته نظراً لوضعه الصحي الصعب، وفي مرة أخرى ألقى شخصاً كبيراً فأحاول أن أسأله فيولي من وجهي ويذهب. والأصعب من ذلك كان التمكن من مقابلة النساء، فطبعاً للنساء حالة خاصة في مجتمعنا، كن يخفن على عائلاتهن ويخفن من فكرة مجرد الكلام، حتى وإن عرضت أن لا يتم تسجيل المقابلة. وطبعاً ليس من السهل أن يبوح الشخص بتجارب شخصية سواء كان مؤلمة أم لا لشخص لا يعرفه. لذا كان عليَّ على الدوام أن أرافق شخصاً من داخل المخيم يعرفه سكانه لكي يشعروا بنوع من الاطمئنان أو الراحة الجزئية والقبول بإجراء المقابلة.

أيضاً شكل الخوف من الكلام لدى المبحوثين عائقاً كبيراً بالنسبة لي خلال عملية البحث والمقابلات، الشعور بعدم الثقة والخوف الموجود لدى الأشخاص الذين تتم مقابلتهم، فهناك خوف من تأثير فحوى كلامهم على حياتهم مما يضع قيودا وحدودا لنطاق ما يبوحون به للباحث، فالبعض تحفظ على بعض الأسئلة، ومنهم من رفض الحديث أصلاً كتلك المرأة التي تبلغ من العمر ما يزيد على المائة عام ورفضت المقابلة بحجة أنها تخاف الحديث بهذا الموضوع، وآخرون قابلوني ولكنهم ما لبثوا أن ندموا وطلبوا مني مراراً وتكراراً عدم ذكر أسمائهم وأوحوا لي بمقدار خوف كبير من أن يؤثر ما قالوه لي على حياتهم. لذا، سيتم خلال هذا البحث الأخذ بعين الاعتبار سرية المعلومات الشخصية للأشخاص الذين تتم مقابلتهم، حيث سيتم استخدام أسماء مستعارة وذلك حرصاً على راحة ومصلحة أولئك الأشخاص.

كما لم يقتصر هذا الخوف على أبناء جيل بعينه، بل كان موجوداً في كل جيل من الأجيال المبحوثة، مثلاً، خلال مقابلتي مع والده وأسرته التي لم تترك المقابلة مع الأب مغلقة، بل شاركوا جميعاً فيها، دخل الابن مستعجلاً متأخراً على عمله، إلا أنه سأل باستهجان "مين حضرتكم"، وما أن عرف حتى جلس ولم يغادر طوال المقابلة، وفي عيناه نظرات الشك والترقب، في البداية كان ظاهراً أن جلوسه نبع من عدم ثقة وخوف مما سيقال وسيحدث، لكن ما لبث أن استثاره النقاش وانخرط في الحديث.

كما عرفني فيما بعد على لاجئة إبنة لاجئ وصفها لي على أنها "كنز" لا يعوض، إلا أنها تركت لدي انطباعاً بعدم الراحة والشك، فقد رفضت قول إسمها أو إعطاء رقم أو الإجابة عن سؤال قبل أن "تتفحصني" لترى إن كان وضعي يسمح لها بالكلام أم لا. ولأصدقكم القول... خرجت ولم أعد.

لا أعلم ما سر هذا الخوف من الكلام، فقد أتفهم أشخاصاً يخافون على مصالحهم لكونهم يعيشون تحت الإدارة الإسرائيلية في أراضي 1948 أو في القدس، وقد أتفهم من يخشى التطرق لمسائل تضر مصالحه، لكن لم أستطع أن ادرك الضرر الذي قد يمنع شخصاً لاجئاً في مخيم فلسطيني من أن يتحدث عن حدث وتجربة مر عليها أكثر من أربعة وستين عاماً، خاصة من هم في الجيل الأول ممن طعنوا في السن ولم يعد لديهم ما يخشونه، بالرغم من هذا إلا أن الكثيرين رفضوا المقابلة، وآخرون ترددوا كثيراً وأصروا على أنهم "لا يعلمون شيئاً وليس لديهم ما يقال". وهنا أرى أنه قد يكون من الجيد دراسة وبحث هذه النقطة في دراسات أخرى.

وبعد تجاوز الصعوبات السابقة، والتمكن من إجراء المقابلات وإتمامها ظهرت صعوبات من نوع آخر. فمع كثرة الروايات والقصص التي سمعتها من لاجئي المخيمات والمدن الفلسطينية، أصبحت مهمة كتابة وتحليل محتوى المقابلات أكثر صعوبة، فلم يكن بالسهل البدء في الكتابة وتحديد ما يجب ذكره وما لا يجب ذكره، فكل كلمة خرجت من أفواه هؤلاء الناس كانت تحمل من العواطف والمآسي والذكريات ما أكسبها أهمية تميزها عن دونها. ولولا أنني بصدد التطرق لمحاور معينة لعملت على تخصيص كتاب ورواية خاصة لكل قصة من القصص التي سمعتها، فكل قصة من هذه القصص تتميز بطابع مختلف عن غيرها وذلك بتأثير عوامل عدة، فرؤية كل شخص لتجربته تعطيها طابعاً مغايراً عن رؤية الآخرين لها.

وفي الحقيقة، لقد كان لواقع كوني واحدة من هذا الشعب أثر كبير زاد الأمر صعوبة على صعوبته، فلم يكن سهلاً أن أقصي نفسي ومشاعري عما أسمعه من تجارب شخصية مريرة، ولم أستطع في كثير من الأحيان أن أمنع نفسي من التعاطف مع من قابلتهم، خاصة كبار السن منهم، والذين سحبوا الدمعة من عيوني سحباً عند رؤيتهم يحبسون دمعتهم وعند سماع الغصة تخنق صوتهم وهم يستذكرون ما مر عليهم خلال سنوات النكبة وما بعدها من مراحل اللجوء والشتات. وهنا أستذكر نصيحة قالتها لي د. هنا جابر خلال لقائي بها عندما قالت لي: "لا تقعي في فخ الجيل الأول" ولكنني أقر بصعوبة ذلك في ضوء مشاعر الحسرة والألم التي يبديها هؤلاء الأشخاص.

كما أن ما مررت فيه خلال هذه الفترة جعلني أمر بحالة من التناقض في المشاعر، فأحياناً كنت أحس بالذنب كوني أحمل نفسي مسؤولية حملهم على العودة إلى تلك الفترة بما تحمله من ذكريات أليمة قد لا يكونون يودون العودة إليها، فمنهم من رفض المقابلة ومنهم من رفض التسجيل، وآخرون أجابوا إجابات مقتضبة وكأنهم مستعجلون على الانتهاء من الموضوع الذي أشعروني بطريقة أو بأخرى أنهم لا يرغبون بالعودة إليه.

ومن ناحية أخرى، كنت أحس بسعادة كبيرة منعتني من ضبط إطار المقابلات التي أجريها معهم والسيطرة عليها، وذلك عندما أرى حال من أقابلهم وكأنهم كانوا بانتظاري منذ زمن لآتي وأسألهم عن تلك الفترة ليفتحوا قلوبهم ويعبروا عن كل مكنونات صدورهم التي لطالما كتموها وآلمتهم، كأنهم كانوا بانتظار إشارة مني ليبدأوا بالحديث بأدق التفاصيل والقصص التي مرت عليهم دون الاهتمام بما أطرحه من أسئلة، فكانوا يتابعون ما يريدون إخباري به حتى وإن قاطعتهم بأسئلة أخرى، وصدقاً لم يكن ذلك يضايقني رغم صعوبته، فقد كنت أحياناً أبقى لاستمع لحديثهم لما يزيد على الساعة دون أن أسأل سؤالاً. والمذهل في الموضوع هو قدرتهم – وعلى الرغم من كبر سنهم وتدهور وضعهم الصحي– على استذكار أدق التفاصيل وتصوير أحداث تلك الفترة وكأنها تمر أمام أعينهم في شريط مباشر.

وما زاد الأمر صعوبة هو ما تبين لي من خلال هذه المقابلات من أنني لا يمكن أن أكتفي بمقارنة روايات الأجيال المختلفة كمقارنة آراء الجيل الأول من اللاجئين بآراء أبنائهم أو أحفادهم من الجيلين الثاني والثالث، بل أظهرت الشهادات التي قدمها المبحوثون ضرورة العمل على مقارنة أفراد الجيل الواحد فيما بينهم قبل أي شيء آخر. فقد اختلفت آراء أفراد الجيل الأول في كثير من الأحيان فيما يتعلق بطبيعة وظروف الخروج من القرية والبلد الأصل. لكن لفتني نوع من شبه الإجماع الذي ظهر لدى المبحوثين لتحميل المسؤولية عما حل بفلسطين والفلسطينيين عام 1948 للجهات العربية أكثر من أي جهة أخرى.

وفي البداية، وبعد أن ظهر الاختلاف بين أفراد الجيل الواحد، بدأت أحلل عن أسباب هذا الاختلاف، واعتبرت أن أحد الأسباب تمثل بانحدار من قابلتهم من قرى ومدن مختلفة، تختلف الرواية والتجربة في كل واحدة منهم حيث كانت مقابلاتي مقسمة بين عدد لا بأس به من القرى، وفعلاً بدأت تقسيم المقابلات وتحليلها على هذا الأساس، لكن ما لبثت هذه المقابلات أن نسفت افتراضي هذا عندما سمعت روايات من أهالي القرية ذاتها لكنها تختلف اختلافاً جذرياً، وكأن كل واحد منهم يتكلم

عن شيء مختلف، فأحدهم يعتبر خروجهم من القرية مبرراً بينما لا يغفر الآخر ما اعتبره خطيئة هذا الخروج الذي وجده بلا داع مقنع.

وهذا لا يعني أن أحدهما لا بد وأن يكون مخطئاً، بل كل شخص كان يروي ما رآه وما شهده، كل كان يعبر عما مر عليه في تلك الفترة من منظوره الخاص، وهو ما عبر عنه أحمد سعدي عندما تحدث عن تفسير الأحداث لا كما حدثت بل كما جرى استيعابها" (2006، 78). وهذا هو ما يغني التاريخ الشفوي كونه تاريخاً لا يمكن تحديده في كتاب أو في فكرة أو وجهة نظر معينة، بل هو التاريخ من خلال عيون من شهدوه، ولابد من أن كل إنسان ينظر للأمر من زاويته الخاصة التي تختلف عن غيرها لكنها لا تبطلها أو تفندها. كما لا يعني هذا إثبات "نسبية المعرفة" لدى المبحوثين.

كما أنه وللوهلة الأولى، كان كلام بعض أبناء الجيل الأول يظهر بأنه كلام غير متزن...أو غير مترابط وغير مفهوم، لكن بعد التفكير والتركيز بالسياق وإعادة الاستماع لتسجيل المقابلات، استطعت أن أدرك أن كلامهم كان إجابة مباشرة بطريقتهم الخاصة، كلام نابع من تجربة وألم عميقين.

وأخيراً، ومع أنني بدأت العمل على هذا البحث بهدف حفظ روايات الجيل الأول بناءً على أنهم باتوا يشكلون أقلية مع مرور الزمن، وكنت أعلم أنني سأقابل أشخاصاً مسنين ظروفهم الصحية صعبة، إلا أنني لم أكن أتوقع صعوبة التعرض لموقف وفاة أحد المبحوثين ممن عملت معهم وسمعت تفاصيل حياتهم. كان موقفاً صعباً بالنسبة لي عندما كنت أسمع أن فلاناً أدخل المستشفى بعد وقت قصير من المقابلة وأن فلانة توفيت بعد المقابلة بفترة وجيزة، لكنها كانت سعيدة جداً لإجرائها تلك المقابلة.

<u>فصول البحث</u>

لقد تم تقسيم هذا البحث إلى خمسة فصول فيما يلي إيجاز لها:

الفصل الأول: يتناول شرحاً موجزاً لأبرز الأطر النظرية التي بني عليها هذا البحث، حيث تم التطرق للمفاهيم العامة التي تعتبر الأعمدة التي يسند قيام هذا البحث والتي يتم التطرق لها في كل جزء من هذا البحث سواء كان ذلك صراحة أم ضمناً. فقد تم تقديم مفهوم موجز ومبسط عن الهوية، دون الدخول في تعقيدات وتشابكات هذا المصطلح في الدراسات

الفلسفية والتاريخية، وإنما تم الاكتفاء بتقديم إطار عام يساعد القارئ على امتلاك مفهوم عام حول هذا المصطلح وأهميته لهذا البحث. كما تم أيضاً التطرق لمفهوم الرواية مع التركيز على الرواية الفلسطينية بماضيها وحاضرها ومستقبلها. ثم جاء الحديث عن كل من التاريخ والذاكرة كمفهومين مترابطين إلى حد كبير مع عدم إهمال الارتباط بين هذين المصطلحين وكل من مفهومي التاريخ الشفوي والنسيان. كما يشمل هذا الفصل قسمخاصاً يقدم فيه عرضاً لأبرز الأدبيات من كتب ومقالات وغيرها، والتي تطرقت لموضوع البحث بجوانبه المختلفة، كما كتب عن النكبة الفلسطينية عام 1948 والمسؤولية عن تلك الأحداث والدور الدولي في هذا الحدث التاريخي، إلى جانب دراسات سابقة تطرقت لمسألة الاختلاف والتشابه بين الأجيال المختلفة من اللاجئين.

الفصل الثاني والفصل الثالث: يستعرض هذان الفصلان روايات لاجئي الأجيال المبحوثة المختلفة، فهما فصلان مبنيان على ما استنبطه المبحوثون من ذاكرتهم سواء المباشرة أم غير المباشرة، ومقارنة محتوى المقابلات التي تم إجراؤها مع هؤلاء اللاجئين فيما يتعلق بقضايا رئيسية هي: القرية الأصل وكيفية وأسباب الخروج منها، وذكرياتهم عن مسار التهجير وحياة اللجوء – سواء كانت في المخيم أم خارجه. كما تم في هذين الفصلين عرض روايات اللاجئين المتعلقة بدور الأونروا في مساعدة اللاجئين وعن ذلك الدور المهمش الذي لعبته المرأة الفلسطينية خلال مشوار التهجير الفلسطيني منذ بداياته وحتى يومنا هذا.

الفصل الرابع: تم تخصيصه لإسماع صوت اللاجئ الفلسطيني ولكن هذه المرة ليس بناءً على ذاكرة أو شهادة، وإنما هو عرض لآرائه وتوجهاته نحو قضايا هامة ومركزية في القضية الفلسطينية وقضية اللاجئين الفلسطينيين. حيث يحمل هذا الفصل مقارنة لآراء اللاجئين المبحوثين من الأعمار المختلفة المبحوثة حول ثلاثة محاور رئيسية هي: الجهة التي يرون أنها تتحمل المسؤولية عما حل بهم على مر السنوات والعقود الماضية، وحول حق العودة كما يرونه بعيون اليوم، حلم أم وهم، أم أمل قد يتحقق، وأخيراً من حيث رؤية كل جيل بالأجيال الأخرى.

أما **الفصل الخامس والأخير**، والذي يشمل كل من التقييم النهائي والخاتمة، فهو لا يكتفي بالعرض كما في الفصول السابقة، بل هو فصل العرض والتفسير، عرض وتفسير النتائج التي استخلصت من كل الفصول السابقة، والملاحظات التي حصلت عليها الباحثة خلال عملية البحث وخلال مقابلات المبحوثين.

الفصل الأول: الإطار النظري والأدبيات

1. الإطار النظري:

إن مصطلحات كالهوية والرواية والذاكرة والتاريخ ... هي كلمات بالرغم من قلة حروفها إلا أنها تحوي معانٍ عميقة، وتخفي في طياتها آلاماً وآمالاً، وتجارب كثيرة. كما أن كل من هذه المفاهيم ترتبط بشكل أو بآخر ببعضها ولا يمكن دراسة أي منها دون التطرق للأخرى، فما بينهم هي علاقة تكاملية ليس منها فرار.

فمفهوم الهوية يضم خليطاً من الذاكرة والتاريخ والرواية، وكذلك الحال بالنسبة للذاكرة التي احتار المنظرون فيها أهي أمٌّ للتاريخ أم جزء منه (ريكور 2009، 567)، والرواية التي أصبحت تشكل مصدراً تاريخياً لا غنى عنه، بشكليها الشفوي والمكتوب. ومهما تباينت الأضواء المسلطة على أي من هذه المفاهيم، لا بد وأن يلقى الباقي شعاع، فكأنها جميعاً تشكل شبكة واحدة بترابطها تحفظ من الضياع.

الهوية الفلسطينية:

تعتبر مسألة الهوية الفلسطينية من أشد المسائل تعقيداً وحساسية، وتعددت الآراء والكتابات حول مسألة الهوية ومصدرها وعناصرها، وقد كتب عنها عدد كبير من المختصين من علماء الاجتماع والمؤرخين، وحسب شريف كناعنة، فالهوية ليست شيئاً ملموساً يمكن تعريفه بأبعاد واضحة، بل هناك العديد من التعريفات حسب النظريات ووجهات النظر المختلفة (كناعنة 2008، 70). لكنني سأحاول هنا قدر الإمكان تفادي الدخول في هذه التعقيدات والوقوع في فخ زوايا هذا الموضوع الشائك، إلا أنني سأعمل على تسليط الضوء على عدد من التوجهات والاقتباسات التي أثارت اهتمامي والتي ترتبط في إطار عمل هذا البحث.

بعد عام 1948، باتت النكبة تمثل عنصراً هاماً وأساسياً من عناصر الهوية الفلسطينية، وأصبحت الهوية الفلسطينية تقوم على التجربة الفلسطينية في ذلك العام المتمثلة بـــ "السلب والغربة" (Masalha 2012, 208).

وتأتي أهمية النكبة بالنسبة للهوية الفلسطينية بكونها وحسب ما يقول نور مصالحة أثرت وتؤثر على هذه الهوية بطريقتين، "الأولى هي هدم وإضعاف هوية سابقة كانت سائدة ما قبل الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين وقبل طرد

السكان من أراضيهم واقتلاعهم من جذورهم وتاريخهم وثقافتهم التي كانت سائدة وعاشوا عليها نقلاً عن آبائهم وأجدادهم. والثانية هي بناء هوية جديدة تمثلت بهوية اللجوء والتهجير وهوية المخيمات التي أصبحوا هم جذورها وانتقلت بدورها لأبنائهم وأحفادهم" (Masalha 2012, 12).

وفيما يتعلق بالهوية الفلسطينية السابقة، فلم تكن متمثلة فقط بالقرى، بل أيضاً كان هناك المدن التي كانت مزدهرة وشكلت مراكزاً حضارية هامة كيافا وحيفا والقدس ونابلس، ونتيجة للنكبة، توقف نمو المدينة الفلسطينية وتوقف التحول الطبيعي من الريف للمدن، ليولد بين الفلسطينيين ظاهرة معاكسة تمثلت بـــ "تريف" المدن[1] في محاولة من أهل القرى الإبقاء على هويتهم الريفية الضائعة (كناعنة 2011). أما "هوية اللجوء" الجديدة التي خلقتها نكبة 1948، والتي أصبحت تشمل عناصرها كل من النكبة واللجوء والمقاومة (طه 2008، 85)، فقد جاءت بأشكال متعددة أصبحت تتفاوت في قوتها مع الزمن بين اللاجئين، فبات يوجد لاجئو الشتات ولاجئو المخيمات وفلسطينيو الضفة الغربية وقطاع غزة إضافة إلى فلسطينيي 1948 (البشتاوي، 2008، 42-43).

تعرضت الهوية الفلسطينية لحالة من التأزم والإرباك نتيجة للنكبة، فقد تعرضوا لصدمات لم تكن يوماً بالحسبان، صدمات تعرض لها اللاجئون في تلك الفترة أكثر من مرة متتالية، كانت أولها بإجبارهم على الخروج دون التمكن من حمل أبسط متطلبات العيش، وشهادتهم بأم أعينهم سلب أرضهم وخسارة أملاكهم وهم لا حول لهم ولا قوة. وثم بخيبة أملهم بسبب حدوث ما هو عكس توقعاتهم، حيث لم يتمكنوا من العودة وبات وضع تشتتهم وتشردهم دائماً بعد أن ظنوا أنه لن يطول عن أسبوع أو عدة أسابيع. وجاءت الصدمة الثالثة حين تم إنكار هوياتهم الفردية وإنكار هويتهم الإنسانية حين حرموا أبسط حقوقهم الإنسانية، وعندما باتوا جميعاً لا يتجاوزون كونهم أرقاماً في سجلات الأونروا وغيرها من المؤسسات البيروقراطية (كناعنة 2008، 73).

ويظهر اللاجئون الفلسطينيون- خاصة من هم من الجيل الأول- تمسكاً شديداً بتفاصيل هويتهم خوفاً من خسارتها في ظل ضياع معظم عناصرها الأصيلة كالأرض والقرية وغيرها، ويعتبر عباس شبلاق أن هذا "التعصب في تأكيد الهوية ينجم عن شعور بالذنب تجاه ثقافة الأصل" (شبلاق 2008، 45). ويلوم عدد من اللاجئين ممن قابلتهم

[1] أشار مريد البرغوثي في كتابه "رأيت رام الله" إلى هذه الظاهرة وعبر عنها أجمل تعبير عندما قال: "الاحتلال أبقى القرية الفلسطينية على حالها وخلف مدننا إلى قرى... إننا لا نبكي على طابون القرية بل على مكتبة المدينة... ولا نريد استرداد الماضي بل استرداد المستقبل ودفع الغد إلى بعد غده" (1997، 96)

أنفسهم على ما حل بهم، فمنهم من يرى أنه قصر بالدفاع عن الأرض وآخرون تمنوا لو أنهم ماتوا هناك على أن يحيوا حياة لا راحة ولا استقرار فيها.

وبالرغم من أن اللاجئين الفلسطينيين حاولوا جاهدين عقب تهجيرهم الحفاظ على معالم هويتهم الثقافية والتاريخية، إلا أن عامل المكان الذي تغير تغيراً جذرياً بالنسبة لهم، شكل تحدياً صعباً في هذا الصدد، فبعد أن انتهى بهم الأمر في الخيام والمخيمات، أصبحوا وكأنهم موجودون في المخيم بأجسادهم لكن أرواحهم تركوها في أراضيهم وبيوتهم التي سلبت منهم، وهذا ما يظهر في كلام الشاعر الفلسطيني الشهير محمود درويش عندما قال: "أنا من هناك... أنا من هنا.... ولست هناك ولست هنا".

ولكن من جهة أخرى، ومع مرور الزمن، أصبح هذا المخيم الفلسطيني يشكل عنصراً هاماً من عناصر الهوية الجديدة التي تربط اللاجئ الفلسطيني بهويته السابقة إلى حد ما (مصرية 2008، 62)، حيث أصبح المخيم يعتبر "الرمز والشاهد وحافظ الذاكرة" (البشتاوي 2008، 47). وبالنتيجة بات هناك ارتباط قوي بالمخيم ورفض للتخلي عنه، وذلك لما يشعر فيه البعض من اللاجئين- في حال تركوا المخيم- من تهديد لهوية لجوءهم التي تحمي هويتهم السابقة، والتي بدورها تكفل لهم حق العودة.

الرواية الفلسطينية:

يقوم هذا البحث بشكل رئيسي على مقابلات شخصية هدفها جمع روايات وشهادات حية من مختلف أجيال اللاجئين الفلسطينيين، روايات عمل ويعمل من خلالها أبناء الجيل الأول على سرد تجاربهم وأحداث تاريخية عايشوها وخبروها ورسخت في ذاكرتهم، ليقوموا بنقلها مع الزمن إلى أولادهم وأحفادهم، الذين بدورهم يتلقونها وينقلونها بمنظور جديد وضمن محيط جديد.

وعند الحديث عن "رواية" يرويها لاجئ فلسطيني، أصبح من المفهوم تلقائياً أن هذه الرواية تتعلق بنكبة عام 1948، فقد أصبحت هذه النكبة المفترق الرئيسي في حياة كل لاجئ فلسطيني، وهذا يعني ضمناً أنها أصبحت المفترق الرئيسي في حياة معظم الفلسطينيين في الداخل والخارج- كون غالبية الشعب الفلسطيني اليوم هم من

اللاجئين. ومع طول سنوات لجوءهم، باتت هذه الرواية بما تحويه من ذكريات معظمها مؤلمة، تشكل الرابط الوحيد والخيط الرفيع الذي يربط بينهم وبين كل ما خسروه في ذلك العام من مال وجاه وعائلة ووطن.

وفي ظل الانفصال شبه التام الذي فرضه الاحتلال بين فلسطين والفلسطينيين، خاصة من هم من أبناء الأجيال الجديدة الذين لا تربطهم بأرض فلسطين التاريخية وقراهم الأصلية سوى ما يرويه لهم آبائهم وأجدادهم، ظهرت الأهمية الكبرى التي تحملها هذه الروايات "التاريخية" في حفظ الهوية الفلسطينية والذاكرة التي تحفظ صور ما كانت تبدو عليه فلسطين قبل وإبان تلك الفترة. فغالباً ما تصور روايات الجيل الأول وجود هوة كبيرة بين تلك الأيام والوقت الحاضر. إن هذا التصوير الذي ينقله كبار السن ممن عايشوا فلسطين ما قبل الاحتلال الإسرائيلي لسلالاتهم، عن تلك "المدينة الفاضلة" التي كانوا يعيشونها، لا بد وأن تترك أثراً في نفوس السامعين، مما يزيد من رغبتهم برؤية وتجربة مثل تلك الحياة، خاصة في ظل الحياة الصعبة التي يعيشونها اليوم.

إن هذه الروايات التي يرويها الآباء والأجداد كثيراً ما تكون روايات ينتقيها الراوي بناءً على شعور داخلي لديه لا يعرفه إلا هو (ريكور 2009، 507).[2] وبما أن الأشخاص مختلفون في شخصياتهم وتصرفاتهم وانفعالاتهم، تختلف الروايات المنقولة للأجيال الجديدة حسب الراوي وظروفه، فهناك من لديه القدرة والرغبة على نقل رواية وتجربة كاملة مدركاً أهمية تعريف الأجيال القادمة بحقائق تم العمل على طمسها وإخفائها أو تجاهلها، ومدركاً أهمية مثل هذه الروايات في حفظ تاريخ وهوية، أو قد يكون ذلك رغبة منه في إخراج بعض من مكنونات الصدر المكبوتة التي قد تفرج جزءاً من الهم والألم العميقين. ومن ناحية أخرى هناك من ليس كذلك، فمن الروايات المنقولة ما تتأثر بعوامل متعددة قد تنتهي بنقل رواية قد تكون منقوصة أو مغلوطة للمتلقين، وأحياناً لا يتم نقلها أصلاً. فمن الناس من يرفض نقل التجارب السيئة في حياته لمن بعده إما خجلاً أو خوفاً أو حزناً، أو حتى بسبب النسيان، أو كمن يقول "لا أريد أن أنقل همومي وأوجاعي لأبنائي". وهكذا تبدأ الحلقات المفقودة في الروايات

---

[2] يقول بول ريكور أيضاً إن وراء كل تأويل يبقى هناك دوماً عمق لا يمكن ولوجه، معتم يخفي دوافع شخصية وثقافية لا تنضب، لم يتوقف الفاعل قط عن أخذها بالحسبان" (2009، 501).

المنقولة، وهنا تكمن الخطورة، في ترك هذه الروايات لتذهب طي النسيان والإخفاء. كما يشير هذا إلى أن الرواية هي عبارة عن خليط من التذكر والنسيان والخيال.

ويؤكد إيلان بابه على مدى الخطورة التي تشكلها هذه الروايات بالنسبة للجانب الإسرائيلي عندما قال:

> "هذا العام (1948) ليس ذاكرة بعيدة والجرائم ما زالت واضحة في الأراضي المحيطة لكي تشهد عليها الأجيال الحاضرة وتدرك معانيها. والأهم من ذلك هناك ضحايا أحياء يسردون قصتهم وبعد موتهم سيقوم أحفادهم الذين سمعوا قصص عام 1948 الرهيبة بالتعبير عن رأيهم للأجيال القادمة، وهناك أناس في إسرائيل يعرفون تماماً ما فعلوه وهناك عدد اكبر من الذين يعرفون ما فعله الآخرون من أبناء شعبهم" (بابيه 2006، 261).

ولقد أدركت الجهات المحتلة على مر التاريخ أهمية الدور الذي تلعبه مثل هذه الروايات في تسيير الأحداث، وليس من مصلحة المحتل أن تبقى جرائمه راسخة في أذهان من شهدوها أو سمعوا عنها، لذا لجأت قوى الاستعمار والاحتلال على مر التاريخ إلى شتى الوسائل التي تسعى لدحر هذه الرواسخ التاريخية والهوياتية. فمثلاً كانت دول الاستعمار تفرض تاريخها ولغتها وثقافتها في الدول التي تستعمرها. وفي ذات السياق يقول نور مصالحة: "الصهيونية كانت وستبقى قائمة ليس فقط على احتلال الأرض الفلسطينية فحسب، بل أيضاً على احتلال العقول – اليهودية والعربية والأوروبية والأمريكية" (Masalha 2012, 5).

ولطالما كانت الرواية الفلسطينية واقعة بين مطرقة الاحتلال وسندان النسيان، حيث أنه وإلى جانب الضعف الذي يصيب الذاكرة البشرية مع مرور الوقت وكبر السن، كثيراً ما استهدف الاحتلال مصادر التاريخ والرواية الفلسطينية من مؤسسات وكتب وكاتبين، وكانت سياسة الاغتيال هي وسيلة المحتل لتحقيق غاياته بطمس ومحي الذاكرة الفلسطينية والتاريخ الفلسطيني، خاصة الأجزاء المتعلقة بجرائم الاحتلال عام 1948، فكانت سياسة الاغتيال الجسدي للأشخاص والاغتيال المعنوي للذاكرة والتاريخ.

ففي عام 1948 تم اغتيال الوجود الفلسطيني بشكل شبه تام في عدد كبير من القرى والمدن الفلسطينية من خلال تهجير سكانها وطردهم، واغتيل الأثر الفلسطيني في هذه المناطق عبر عمليات تدمير واسعة طالت الحجر

والشجر...(سعدي 2006، 67)[3] تم اغتيال المكان الفلسطيني، فحتى أسماء القرى عملوا على تغييرها. وتواصلت سياسة "اغتيال" كل من يحاول تعزيز الذاكرة والشعور الوطني لدى الفلسطينيين، ففي عام 1972 تم اغتيال غسان كنفاني، وهو روائي وصحفي فلسطيني كتب حول القضية الفلسطينية والتحرر الفلسطيني، تم اغتياله على يد جهاز المخابرات الإسرائيلية- الموساد عندما كان عمره 36 عاما بتفجير سيارته في بيروت. وفي لندن وبتاريخ 22 تموز من العام 1987 اغتيل رسام الكاريكاتير الفلسطيني ناجي العلي[4] وهو من قال يوماً: *"اللي بدو يكتب لفلسطين، واللي بدو يرسم لفلسطين، بدو يعرف حالو ميت!"*.. وغيرهم الكثير. ولكن بالرغم من اغتيالهم لم يستطع الاحتلال الإسرائيلي اغتيال فكرتهم ورسالتهم، فما زالت كتابات كنفاني ورسومات العلي المميزة وشعار حنضلة تترأس عرش الأدب والفن الفلسطيني المقاوم .

أما أولئك القلة القليلة ممن استطاعوا البقاء داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة وأصبحوا تحت لواء الدولة الجديدة المسماة "إسرائيل"، وكانوا حوالي 120 ألف نسمة عام 1948، فقد كان هناك إستراتيجية ممنهجة لدى الاحتلال لاغتيال صوتهم وذاكرتهم من خلال منعهم من التحدث في مسائل فلسطين والقرية والتهجير وما إلى ذلك.

يقول إيلان بابيه في مقالته النكبة في التاريخ والحاضر: "اختار المجتمع اليهودي في الدولة الجديدة محو الفصول البشعة من الذاكرة الجماعية وإبقاء الفصول المشرقة على حالها" تكافح بكل صرامة ضد كل من يحاول تسليط الضوء على هذه الفصول المثيرة للاشمئزاز من تاريخ 1948 في داخل إسرائيل وخارجها" (بابيه 2006، 261). ويعتبر إيلان بابيه ذلك كمحاولة "لطمس تاريخ شعب بأكمله من أجل بناء تاريخ آخر على أنقاضه" (المرجع السابق، 89) أي أن هدم الهوية الفلسطينية هو الوسيلة الإسرائيلية من أجل بناء هويتهم وتاريخهم، لهذا يعتبر الحفاظ على الهوية والذاكرة الفلسطينية نوع من أنواع المقاومة (بار أون 2006، 2016).[5]

---

[3] وعلى حد قول احمد سعدي فقد "ارتبطت النكبة بتصفية متسارعة للملامح العربية للبلد، تم تدمير نحو 418 قرية (2006،67).

[4] كان هناك شك في البداية عن الجهة التي أقدمت على اغتياله حيث أشارت أصابع الاتهام إلى منظمة التحرير كون ناجي العلي انتقد القادة الفلسطينيين والمنظمة حينها، ولكن بعد سنوات من اغتياله أصدرت إحدى الصحف الإسرائيلية قائمة بأبرز عمليات الاغتيال "الناجحة" التي قامت بها إسرائيل بحق أفراد معينين وكان اسم ناجي العلي من بين الأسماء المذكورة (صلاح 2011).

[5] نقل مردخاي بار أون عن البروفيسور شفيرا قوله ان "الذاكرة هي أرض معركة الهوية: من له الحصة الكبرى في الصراع لتحقيق أسمى تطلعات المجتمع؟ من ثبت كونه على حق؟ من كان الضحية ومن سبب الضحايا؟" (بار أون 2006، 216).

وبناءً على ما سبق، فإن "الرواية الفلسطينية" لأحداث النكبة والتي أصبحت ضعيفة ومهمشة، باتت تواجه خصماً شرساً يتمثل بـــ "الرواية الصهيونية" لأحداث ما يعتبرونه يوم استقلالهم. ويكمن خطر هذه الرواية الصهيونية، والتي تقوم على شيئين أساسيين هما إنكار وجود الفلسطينيين وإنكار المسؤولية عن النكبة إلى جانب ادعائهم بحقهم التاريخي في فلسطين، في كون هذه الرواية قد لاقت رواجاً كبيراً في الأذهان الدولية ولدى الشعوب الغربية. ويعود ذلك للجهود الحثيثة التي يبذلها الصهاينة في نشر روايتهم والترويج لها حول العالم مستعينين بما يملكونه من أموال وإعلام ودعم دولي من القوى الدولية العظمى وعلى رأسها أمريكا، التي تدعم هذه الرواية الصهيونية على حساب الرواية الفلسطينية.

انطلاقاً من أن الرواية الفلسطينية تعبر عن تجربة تاريخية رسخت في ذاكرة من عاشوها، سأنتقل بالحديث إلى مفهومين رئيسيين هما "التاريخ" و"الذاكرة". بحيث يشمل الحديث عن التاريخ فرعيه المكتوب والشفوي، ويتم ربط ما يتعلق بالذاكرة بمفهوم النسيان. في حين سأعمل بعد ذلك على نوع من التفصيل لعدد من الأعمال الأدبية التي تحدثت عن نكبة فلسطيين واللاجئين من زوايا مختلفة.

<u>التاريخ .. الذاكرة :</u>

يعتبر العديد أن "التاريخ" هو عبارة عن دراسة للماضي فمثلاً يعرف مصطفى الحسناوي التاريخ على انه "علم المجتمعات وأحداث الماضي ووقائعه" (الحسناوي 2011)، ولكن في الحقيقة لا يقتصر تاريخ أمة ما على ماضيها فقط بل أيضاً حاضرها ومستقبلها هو ما يصنع تاريخها، وعملية تأريخ الماضي بحد ذاتها غير معزولة عن رؤية المؤرخ للحاضر وتوقعاته للمستقبل (كوثراني 2000، 21)، ويؤكد على ذلك المؤرخ الفرنسي مارك بلوخ وغيره من رواد مدرسة الآنال (Annales) ممن يرفضون مبدأ الاعتماد على المصادر الأرشيفية فقط. ويدعو بلوخ لاعتماد فكرة "المدى الطويل" للتاريخ، وقد عرف التاريخ على أنه "علم التغير والتحول"، وطبعاً التغير أو التحول لا يكون وليد لحظة أو فترة معينة، بل هو تغير بطيء عبر سنوات الماضي والحاضر والمستقبل (كوثراني 2000، 166). وفي كتابه "نحن والتاريخ" تبنى قسطنطين زريق هذه الفكرة أيضاً عندما عرف عملية التأريخ على أنها "دراسة الماضي مع تعبير عن هم الحاضر وتصور المستقبل".

وفي ذات السياق يعتبر د. طارق سويدان أن الماضي "صفحة للحاضر ومدرسة للمستقبل"، ويوضح ذلك بكلمات قالها خلال تدوينه لتاريخ المسلمين في الأندلس عندما قال: "التاريخ، تاريخ أي أمة، هو سجل أحداث منه تتبين الأمة عوامل النجاح وفيه تتلمس أسباب الهزائم. وأمة بلا تاريخ أمة بلا مستقبل، ومن لم يتعظ بالتاريخ صفعه التاريخ" (سويدان 2005، 13).

في كتاب "في تمرحل التاريخ" لمهدي عامل والذي قام بتقديمه د. فيصل دراج، تم تحديد "الأحداث التاريخية" وتضييق مفهوم ما هو "تاريخي" فقط لتلك الأحداث التي ينتج عنها تحولات تاريخية هامة ونوعية، تؤثر على العلاقات والبنيات الاجتماعية (عامل 2001، 16). وطبعاً هنا يأتي دور المؤرخ نفسه الذي يعمل على إظهار اثر الحدث وأهميته التاريخية من خلال وضعه في إطار "الضرورة التاريخية" وفي حركة البنية الاجتماعية، وذلك من خلال حركة "الذهاب والإياب بين الماضي والحاضر"، فالشهادات والأحداث لا تصبح وثائق وذات صفة "تاريخية" إلا من خلال عمل المؤرخ الذي يفسر ويوضح ويحلل (كوثراني 2000، 166).

وغالباً ما تم الحديث عن مفهوم التاريخ إلى جانب مفهوم الذاكرة باعتبارهما عنصرين يكمل أحدهما الآخر (Heacock 2008, 41)، وفيما يتعلق بمفهوم الذاكرة، فقد ارتبط في كثير من الأحيان بالخيال والصور وتم ربطه مع علم النفس والسلوك الإنساني. كما أن هناك تفريق في الذاكرة بين (الفردية والجماعية) و(البعيدة والقريبة) و(الحزينة والسعيدة)... وغير ذلك. من هنا يظهر أن مسألة الذاكرة وأشكالها واختلافاتها هي مسألة فلسفية معقدة ومتعددة الأبعاد، تحدث فيها ودرسها فلاسفة عظماء كأفلاطون وأرسطو وفرويد وغيرهم. وكما فعلت سابقاً في القسم المتعلق بالهوية، أود أن أنأى بنفسي عن الدخول في هذه التعقيدات والنظريات الفلسفية وسأكتفي بأن اقتبس عدد من التفسيرات التي تظهر الترابط بين بعض هذه الجوانب.

ميز المختصون بين أنواع الذاكرة المختلفة، وكان على رأسهم الفرنسي موريس هلبواكس الذي فرق بين "الذاكرة الجمعية" و"الذاكرة الجماعية"، فبالنسبة إليه الذاكرة الجماعية هي ذاكرة تخص جماعة معينة بالمجتمع، أما الذاكرة الجمعية فهي تلك الذاكرة التي تجمع ذاكرات الجماعات المختلفة، أي أنها عبارة عن مجموعة من الذاكرات الجماعية (عبد الجواد 2008، 58). ويعتبر بيير نورا أن الذاكرة الجماعية هي نتاج التفاعل المستمر بين الذاكرات الفردية والبنى السياسية والفكرية الشاملة (Heacock 2008, 41).

وغالباً ما يطغى مفهوم الذاكرة الجماعية على غيره من المفاهيم في مثل هذا النوع من الدراسات التي تعتمد على الشهادات الشفوية للمبحوثين، بالرغم من أن البعض لا يثق بهذه الذاكرة ويشكك في مصداقيتها كمرجع تاريخي مقارنة بالمصادر التاريخية الأخرى وخاصة التاريخ المكتوب، فمثلاً يفضل المؤرخ الفرنسي جاك لوغوف اعتبار الذاكرة الجماعية على أنها أسطورية ومشوهة (عمرو 2008، 41).

ومن ناحية أخرى، يرى البعض أن القيم والعادات والتقاليد تشكل النواة الأساسية للذاكرة الجماعية (عمرو 2007، 18)، فيما يعتبر آخرون أن "الرواية الشفوية هي المصدر الأساسي الذي يستقي منه اللاجئون الذاكرة الجماعية"(عمرو 2007، 145) وبالتالي ينظر إلى الذاكرة الجماعية وكأنها وليدة مجموعة من الروايات الشفوية للمجموعة إلى جانب تأثير أقل فاعلية من عوامل أخرى تساهم في بناء الذاكرة الجماعية للشعوب كالتراث والصور وغيرها. وفي الحالة الفلسطينية، باتت الروايات الشفوية والمكتوبة عن أحداث النكبة عام 1948 تشكل اساساً ومركزاً للذاكرة الجماعية الفلسطينية وهو ما قد يندرج ضمن ما أطلق عليه ماهر الشريف مسمى "الذاكرة الشفهية" (عمرو 2008، 41) التي تعبر عن الخطاب الشفهي لجماعة ما وتساعدها في ترسيخ هويتها.

واختلفت الآراء حول ما إذا كانت الذاكرة الجماعية هي أصل الذاكرة الفردية أم العكس، وهذا ما أكد عليه هلبواكس منظر الذاكرة الجماعية حين قال: "قد يقول أحدهم أن الفرد يتذكر من خلال موضعة ذاته ضمن منظور الجماعة التي ينتمي إليها، ولكن في الوقت نفسه يمكن أن يقال أن ذاكرة الجماعة تتحقق وتبرز أيضاً من خلال ذاكرة الفرد" (عدوان 2011، 237). وقد تم تعريف الذاكرة الجماعية على أنها "مجموعة من الآثار الباقية من جراء الأحداث التي أثرت في مجرى تاريخ المجموعات" (ريكور 2009، 188). وبما أن المجموعات تتكون أساساً من أفراد، فإن الذاكرة الجماعية هي عبارة عن مجموعة من الذاكرات الفردية المتشابهة. وحسب ما جاء في كتاب "الذاكرة، التاريخ، النسيان" فإن الذاكرة الفردية هي الأصل فقد "كانت الذاكرة الفردية، ذاكرة الشاهد، هي الرحم الذي ولد منه التاريخ، ثم سُجلت شهادة الشاهد ودخلت الأرشيف المخيف بحجمه وتنوعه، وجاء المؤرخ كي يعيد إلى المجموعة تصوراً أو بالأحرى تمثيلاً حقيقياً للماضي يضعه أمام الأمة كي تكوِّن عندها ذاكرة جماعية جاءتها من هذا الذي لم يعد قائماً ولا تستطيع أن تستعيده..." (ريكور 2009، 18). وقد جاءت هذه الفكرة في الماضي من خلال كل من أرسطو وأوغستين اللذين اعتبرا أن الذاكرة الفردية هي الأساس لأنها ذاكرة من

الماضي وهذا الماضي هو ماضي انطباعاتي" أي أن الماضي هو عبارة عن انطباعات فردية لمن عايشوه (ريكور 2009، 156).

وفي ذات السياق وفي تقديمه لكتاب بول ريكور "الذاكرة التاريخ النسيان" أشار د. جورج زيناتي إلى أن الذاكرة الفردية هي أساسية للتاريخ قائلاً أن: "الذاكرة تقودنا مباشرة إلى التاريخ لأنها هي الحاملة الأولى للتاريخ ولولاها لما كان هناك من علم لكتابة التاريخ، إذ أن المصدر الأول لمعلومات المؤرخ هو الشهادة، شهادة أولئك الذين حضروا الحدث..." (ريكور 2009، 16).

وحسب ما يظهر من عنوان كتابه، يجمع بول ريكور[6] بين كل من الذاكرة والتاريخ والنسيان، وفي سياق الحديث عن هذه العلاقة التي تربط هذه العناصر الثلاثة يعتبر مقدم الكتاب أن "التاريخ يحاول إنقاذ الذاكرة من النسيان" وكما ذكرت سابقاً، فإن النسيان قد يدخل على خط عمل الذاكرة ليشكل عائقاً أمام مسيرها نحو المستقبل، وبهذا تصبح الذاكرة هي صراع ضد النسيان (ريكور 2009، 603).

ويقول عزمي بشارة في مقالته فلسطينيا: في الذاكرة والتاريخ: "الذاكرة واقعة حية بينما التاريخ محاولة لإنقاذها وذلك بتمثيل الماضي بالحاضر...تتمسك الذاكرة بالأشياء المحسوسة والملموسة، بالأماكن والصور والمواضيع، أما التاريخ فيتفكر بالزمان ويدققه بالعلاقة مع الأشياء"... الذاكرة قائمة في ثبات المكان أما التاريخ فيحاول أن يثبت شيئاً ما في تقلب الزمان" كما نقل د. عزمي بشارة عن بيير نورا توصله إلى أن التاريخ والذاكرة مرتبطان بشكل كبير بحيث يعتبر أنهما يشكلان وحدة واحدة باعتبار أن "التاريخ هو ذاكرة تثبتنا من صحتها" (بشارة 2009).

وقد تحدث ريكور في كتابه عن أشكال متعددة من النسيان يظهر معظمها في روايات اللاجئ الفلسطيني وفي سياسات الاحتلال. فمثلاً جاء الحديث عن نسيان عبر محو الآثار وهو النسيان العميق والذي يظهر في الحالة الفلسطينية من خلال عدم التمكن من رؤية أثر أو دليل على ما يذكروه، كمن يذهب إلى قريته فلا يجد فيها شيئاً مما كانت عليه بعد أن تم تدميرها بالكامل وإخفاء كل معالمها السابقة. كما هناك النسيان المأمور، وهنا يأتي دور

[6] بول ريكور هو فيلسوف فرنسي من مواليد عام 1913 حصل على شهادة الدكتوراة عام 1950 بعد كتابته أطروحة عن فلسفة الإرادة (الإرادي واللاإرادي) ودرس في عدة جامعات فرنسية منها السوربون وستراسبورغ وغيرها. ترجمت أعماله إلى أغلب اللغات وحصل على عدة جوائز أكاديمية وشهادات فخرية.

الاحتلال في إجبار الأشخاص على نسيان أحداث معينة من خلال منعهم من إحياء الذكرى أو حتى الإقدام على ذكرها وتداولها فيما بينهم، وهو تماما ما حدث ويحدث للاجئين داخل إسرائيل (Kassem 2011).[7] وأخيراً هناك نسيان الهروب وهو النسيان الذي يلجأ له البعض من أجل الهرب من الواقع أو من حقيقة ما، كمن يحاول نسيان أو تناسي أحداث يحمل نفسه فيها مسؤولية النتائج المترتبة عليها (ريكور 2009، 606؛ 654؛ 648).

ومن خلال الحديث عن علاقة الذاكرة بكل من التاريخ والأجيال، يدخل تلقائياً عامل الزمن كعامل أساسي في هذه العلاقة، وكما أسلفت، فإن الذاكرة هي من الماضي والتاريخ أيضاً هو من الماضي، والأجيال هي من تنقل من الماضي للحاضر. وهذا ما أشار له ريكور قائلاً: "إن الذاكرة الشخصية أو الجماعية ترجع بالتحديد إلى ماض يحتفظ به حياً بفضل التبليغ من جيل إلى جيل" (ريكور 2009، 583).

أما عن علاقة الذاكرة بعامل "الفضاء أو المكان" يظهر أن العديد من الذكريات غالباً ما يتم ربطها بمكان معين، كالمدرسة أو الجسر أو الشجرة الكبيرة أو البئر وما إلى ذلك، وهذا ما يدعوه بول ريكور بـــ "ذاكرة الأماكن"، حيث تعمل هذه الأماكن على تنشيط وتشجيع الذاكرة الإنسانية وحمايتها من النسيان. كما أنه يعتبر هذا النوع من الذكريات أبقى من تلك المنقولة شفوياً والتي تطير مع الكلمات حسب تعبيره (ريكور 2009، 282). ويلخص هذه العلاقة بين عاملي الزمان والمكان قائلاً إن "تعيين التأريخ وتحديد المكان يشكلان ظاهرتين متساندتين تشهدان للصلة التي لا تفصم بين إشكالية الزمان وإشكالية الفضاء/المكان".

ويرتبط التاريخ بشكل كبير مع مفهوم الذاكرة، فغالباً لا تتم كتابة التاريخ أثناء الحدث، ففي ذلك الوقت يكون الأشخاص مشغولين بتفاعلات الحدث ومراحله وقليلاً ما يفكرون بكتابة وتوثيق الأحداث، وتتم عملية التأريخ في وقت لاحق بناءً على ما رسخ بالذاكرة من أحداث، لذلك يعتبر التاريخ في جانب كبير منه "ذاكرة تاريخية"، وهذه الذاكرة هي عبارة عن معطيات تاريخية مهمة (ريكور 2009، 36)، وكل فرد لديه معطيات ذاكرة فردية عن تجربته الخاصة، ومعطيات ذاكرة يتشاركها مع من حوله ومع مجتمعه – ذاكرة جماعية– ولا يجب إهمال أي من هذه الذاكرات عند صياغة التاريخ والقيام بعملية تأريخ الأحداث.

---

[7] للمزيد حول مسألة خوف النساء في اللد من الحديث بأي شيء يمت لفلسطين بصلة يمكن الرجوع إلى كتاب فاطمة قاسم (Kassem 2011)

بناءً على هذا الارتباط بين التاريخ والذاكرة، يدعي البعض أن الشعوب التي لا تاريخ لها هي شعوب بلا ذاكرة، لكن هذا ليس بالضرورة صحيح حيث أن لا أحد دون ذاكرة، ولا أحد دون تاريخ. ولكن يرجع السبب في ذلك إلى عدم تسليط الضوء على هذه الذاكرة بالتاريخ المكتوب، فبقيت مغمورة دون أن توثق (الحسناوي 2011). وانطلاقاً من هذه الفكرة تبرز أهمية العمل على نبش ذاكرة من عاصروا النكبة والاستماع إلى رواياتهم كونها تشكل جزءاً لا يتجزأ من التاريخ، وحماية لها من الاندثار دون تدوين وتوثيق. لذا يتم التركيز على الذاكرة الجماعية للمجموعات التي لم تحصل على فرصة تمثيل نفسها بنفسها، بل دوماً كان الآخر يتكلم باسماءها دون إعطائهم الفرصة للحديث (الحسناوي 2011).

وهنا، لا بد من ذكر ما قدمه المؤرخ الفرنسي جاك ليغوف عندما اعتبر أن هناك نوعان من التاريخ: الأول هو تاريخ الذاكرة الجماعية التي بحسب تعبيره تعتبر أسطورية مشوهة وتخلط الأزمنة لكنها تمثل الحالة المعيشية الماضية والحاضرة للمجموعة التي تعبر عنها، والثاني هو تاريخ المؤرخين أو (الخبر التاريخي) الذي ينتجه المؤرخون" (كوثراني 2000، 26).

التاريخ الشفوي:

أما بخصوص"التاريخ الشفوي"، أود بداية أن أشير إلى أنني هنا لست بصدد نقد التاريخ المكتوب بقدر سعيي لبيان أهمية التاريخ الشفوي. وبالبدء بما جاء في كتب الدكتور عادل يحيى المختصة بالموضوع، فقد تم تعريف التاريخ الشفوي على أنه "منهج بحث يُعنى بدراسة الماضي من خلال الكلمة المحكية المحفوظة في الذاكرة والمنقولة مشافهة" (يحيى 1994، 7).

ومن ناحيته يقتبس نور مصالحة تعريف "التاريخ الشفوي" حيث يقول أنه مصطلح: "يمكن استخدامه للإشارة إلى الآلية التي يتم من خلالها جمع وتسجيل معلومات عن الزمن الماضي، كما يمكن استخدامه للإشارة إلى الكيان المعرفي الموجود فقط في ذاكرات الأشخاص والذي سيموت معهم" (Masalha 2012, 18). كما يشير إلى ما أشار إليه غيره حول أن التاريخ الشفوي يشكل ثورة في المنهجية التاريخية كما أنه يعتبر مكملاً للتاريخ المكتوب (Masalha 2012, 211-217).

ومخطئ هو من يظن أن التاريخ الشفوي يقل أهمية عن التاريخ المكتوب، فكما قال الدكتور عادل يحيى: "يجب أن نعي أن التاريخ ليس الأحداث الكبيرة الضخمة المرئية والظاهرة فقط، فالضخمة غالباً عابرة وانعكاس لأحداث يومية عديدة كل لوحده غير مرئي ولكنها معاً تشكل المجرى الرئيسي للتاريخ". و"عند مقارنة الرواية المكتوبة بالرواية المحكية، يتم تعديل المكتوبة حسب المحكية في حال عدم تطابقهما وليس العكس" (يحيى 1994، 11). والتاريخ المكتوب هو أسير من يكتبه، فمن يكتب التاريخ يكتبه من وجهة نظره هو وبما يتناسب مع مصالحه، وهذا ما حدث خلال كتابة أحداث نكبة 1948، فقد عمل المؤرخون الإسرائيليون على تأريخ تلك المرحلة بما يتناسب مع منظورهم عما حدث هناك – أو بالأحرى ما أرادوا للعالم أن يظن أنه حدث تلك الفترة– بينما عملت الدول العربية المهزومة حينها على صياغة التاريخ حسب ما يتناسب مع مصالحها وأبرز مثال على ذلك هي الأردن التي تصر دائما على ما تم تسميته "التاريخ الرسمي" ورفض أي مؤلفات تتحدث بعكس ما ورد في تأريخهم الرسمي (Masalha 2012, 7).

وهنا تأتي أهمية التاريخ الشفوي حيث انه يظهر روايات ووجهات نظر الجهات التي غالباً ما يهمشها التاريخ المكتوب الذي يكتبه المؤرخون الرسميون،[8] فـ" ذاكرة ومصلحة المؤرخين الرسميين لا تتوافق مع ذاكرة وخبرة الناس"،[9] وأيضاً غالباً ما يكون التاريخ المكتوب صادراً عن الجهات المنتصرة وهو ما عبر عنه المفكر الكبير نعوم تشومسكي عندما قال "التاريخ ملك الفائزين"(Masalha 2012, 7). لكن هذا ما يختلف معه المفكر عزمي بشارة عندما قال: "لقد قيل أن التاريخ يكتبه المنتصرون وهذا غير صحيح، فالمهزومون يكتبون أيضاً تاريخهم، لكن المشكلة في أن يكتب المهزومون تاريخهم قبل أن يعترف المنتصرون بذاكرتهم، عندها يتحول التاريخ إلى اعتذار عن الذاكرة، يقبل بالهزيمة من ناحية، أو إلى سرد انتقائي يرفض الهزيمة من ناحية أخرى".

كما يرى البعض في التاريخ الشفوي شكلاً من أشكال المقاومة ضد هذه المحاولات إخفاء معالم التاريخ الفلسطيني وذلك من خلال ما أقدم عليه المحتل من تنكيل وتدمير للقرى ومصادرة للتاريخ المؤرشف في المؤسسات

---

[8] وأقصد هنا بالمؤرخين الرسميين المؤرخين المحسوبين على الجهات الرسمية والمفوضين بكتابة التاريخ الرسمي والمعلن.

[9] قول منير فاشة في تقديمه لكتاب "من يصنع التاريخ"

والمكتبات المعنية بأرشفة التاريخ الفلسطيني وعلى رأسها كان مركز الأبحاث الفلسطيني،[10] إضافة إلى ما ينتهجه الإسرائيليون حتى يومنا هذا من سياسات للتهويد وإخفاء الهوية العربية عن فلسطين، لذا يمكن استخدام التاريخ الشفوي كنوع من أنواع التعويض في النقص في التاريخ المؤرشف (يحيى 1994، 1).

وفي مقالته بعنوان "الذاكرة وتأريخ أحداث النكبة: مجد الكروم نموذجاً"، انتقد عادل مناع الاعتماد الكامل من قبل المؤرخ بني موريس في دراسته حول نشوء قضية اللاجئين الفلسطينيين عام 1987 على المصادر المكتوبة والمؤرشفة وإهمال مصادر التاريخ الشفوي (مناع 2006، 177). كما تحدث عن أهمية العمل على جمع المعلومات والاستفادة من المخزون الغني للرواية الشفوية الفلسطينية للتمكن من خلال جمعها مع المصادر والدراسات المكتوبة من رسم صورة واضحة ومتكاملة لأحداث عام 1948 (مناع 2006، 179؛ 194، 195).

يعتبر مناع أن شهادات المهزوم في "حرب فلسطين عام 1948" توفر للباحث البعد الإنساني وتفاصيل تغيب في المعتاد في التقارير والوثائق الرسمية والعسكرية، فوثائق المنتصرين ومذكراتهم تسرد قصة الانتصارات وتفاصيلها وتختزل مآسي المهزومين وعذاباتهم إلى أرقام وتقارير تغيب أسماء الضحايا وتفاصيل المعاناة التي لا ينساها المنكوبون" (مناع 2006، 186).

في الختام، تتمثل أهمية التاريخ الشفوي كونه يعتبر وسيلة مهمة لحفظ التاريخ من الضياع، فذاكرة الشخص الذي شهد حدثاً مهما كانت نسبة دقتها، لا بد وأن تحمل شيئاً من الحقيقة و"السجل الشخصي للأفراد هو الضمان الفعال لعدم تزييف التاريخ". كما ويطلق البعض على التاريخ الشفوي اسم (التاريخ الديمقراطي) لأنه تاريخ يهتم بالطبقات التي أهملها (التاريخ الرسمي) كالفقراء والعمال والأميين، ولأنه يعتبر تاريخاً موضوعياً بسيطاً وذا تكلفة قليلة ويعمل على توثيق تجارب الأشخاص العاديين (يحيى 2002، 13). وبالتالي بات التاريخ اليوم يقبل المصادر غير المؤرشفة وغير المكتوبة كجزء لا يتجزأ من مهنة التأريخ وأصبح التاريخ الشفوي مقبولاً ومنتشراً كسلاح ودليل في أيدي المؤرخين.

---

[10] يمكن الاطلاع على تفاصيل الاعتداء على الأرشيف الفلسطيني في مركز الأبحاث الفلسطيني بالرجوع إلى ما كتبه سميح شبيب في "الذاكرة الضائعة – قصة المصير المأساوي لمركز الابحاث الفلسطيني (2005)

2. الأدبيات:

حظيت "النكبة" الفلسطينية باهتمام كبير من العديد من الكتاب والباحثين والمختصين حول العالم- الفلسطينيين وغير والفلسطينيين. فمنذ أول مرة تم فيها استخدام مصطلح "النكبة" للإشارة إلى هذا المصاب الجلل الذي عاشه الشعب الفلسطيني عام 1948،[11] أصبح هذا المصطلح يكاد لا يغيب عن أي دراسة أو مقالة تتطرق لقضية تاريخ فلسطين واللاجئين الفلسطينيين. وقد انتشر هذا المصطلح لدرجة جعلته مستخدماً ومعتمداً في لغات أخرى، وبدأت المعاجم والقواميس الأجنبية تدرج في طياتها كلمة NAKBA،[12] لتتلوها كلمات أخرى من الحياة الفلسطينية على رأسها مصطلح الانتفاضة INTIFADA و كلمة المقاطعة MUQATA'A وغيرها.

إن كلمة "النكبة" أو "Disaster" تحمل في طيات معانيها معنى "الكارثة" وهو ذات المعنى الذي لطالما استخدمه اليهود للإشارة لكلمة "هولوكوست"، حيث كانوا يستخدمون كلمة (شواه -שואה) في الأربعينيات بدلا من هولوكوست وهي كلمة مذكورة في التوراة وتعني الكارثة.[13] ولهذا يعتبر المؤرخ الإسرائيلي الجديد إيلان بابه أن اختيار كلمة "نكبة" للإشارة لما حل بالفلسطينيين عام 1948 ما هو إلا محاولة لإعطائه ذات البعد الأخلاقي للهولوكوست (Masalha 2012, 11).

وأصبح لمصطلح "النكبة" من الأهمية ما جعله يعتبر رمزاً ومفترقاً تاريخياً في حياة الفلسطينيين، يعرفه البعض على أنه مصطلح مركزي ومركب هام في هوية الشاب الفلسطيني (الصغير 2008، 80). كما أخذ عدد من الكتاب يعمدون إلى تقسيم تاريخ فلسطين بناءً على هذه الفترة، فيكون الحديث عن فترة ما قبل النكبة وأثناء النكبة وما بعد النكبة، إضافة إلى ربطه بالأجيال من اللاجئين ليتم تعريف من شهد تلك الفترة باسم "جيل النكبة"، أو "الجيل الأول"، إشارة إلى أنهم أول جيل من الفلسطينيين المنكوبين.

وفي حين يشير بني موريس إلى أن سبب مشكلة اللاجئين الفلسطينيين هو تلك "الحرب التي نشبت بين العرب واليهود في ذلك العام (مناع 2006، 178)، يشدد د. صالح عبد الجواد على ضرورة التفريق بين مصطلحي "نكبة 1948" و"حرب 1948"، فهناك فرق شاسع بين المأساة التي حلت بالفلسطينيين كشعب أعزل وبين الحرب

---

[11] قسطنطين زريق هو أول من استخدم مصطلح النكبة في كتابه "معنى النكبة" عام 1948.. كان في سوريا ولم يكن في فلسطين.

[12] http://oxforddictionaries.com/definition/english/al-Nakba

[13] http://www.berkeleyinternet.com/holocaust/

التي تساوي بين طرفي النزاع وكأنهما قوتان متساويتان في مواجهة بعضهم البعض (عبد الجواد 2008، 56-57).

ونتيجة لحساسية مصطلح النكبة وأثره الهائل في نفوس الفلسطينيين أصبح اليهود يعملون على منعه واستئصاله خاصة من أذهان الأجيال الجديدة، وبالتالي "قرر وزير التعليم العالي الإسرائيلي إزالة هذا المصطلح من المناهج العربية في فلسطين وقرر الكنيست منع إحياء ذكرى النكبة السنوية" (حمودة 2011، 311).

وتنبع حساسية هذه الحقبة التاريخية والحدث التاريخي بالنسبة للفلسطينيين من كونه يعتبر مركز التحول الرئيسي في حياتهم، فهذه النكبة حسبما يعرفها البعض هي تلك "اللحظة التي خلقت قطيعة لا يمكن جسرها بين الماضي والحاضر. فهي تشكل نهاية الحياة العادية، بمعنى أن هذا الشرخ زعزع التطور الطبيعي للتاريخ. فعلى الصعيد القومي لم تتطور فلسطين في الاتجاه نفسه الذي سلكته بلدان العالم الثالث الأخرى التي خضعت للاستعمار وكافحت ثم نالت استقلالها. النكبة هي النكوص المفاجئ لبشائر استقلال تحولت إلى كابوس (سعدي 2006، 69).

ونتيجة لهذا التغير الجذري في أحوال اللاجئين الفلسطينيين وحياتهم ما بين الفترتين- قبل وبعد النكبة، أصبح "يميل الميزان دائماً إلى حياة ما قبل النكبة، حيث ارتبط ما بعد النكبة بالشذوذ عن الحياة العادية" (سعدي 2006، 69) فقد تميزت السنوات التي سبقت عام النكبة في عقول وأذهان من عاشوها ومن سمعوا من آبائهم وأجدادهم عنها بأنها سنوات الخير والسعادة والاطمئنان. ومع أن تلك الفترة كانت تشهد ممارسات استعمارية عديدة من قبل الاستعمار البريطاني كانت تعكر صفو حياة الفلسطينيين في ذلك الحين، إلا أنه ومع كل ما تلا تلك الفترة من مآسي شهدها هؤلاء الأشخاص، لم ترسخ في ذاكرتهم سوى الجوانب الإيجابية من حياتهم الماضية.

أيضاً لا بد من النظر إلى البعد الإيجابي لمسألة النكبة وما بعدها، والذي أصبح في كثير من الأحيان مصدر فخر واعتزاز بالنسبة للشعب الفلسطيني، فلم تعد القضية الفلسطينية مجرد قضية فقدان أرض أو اكتساب صفة الضحية والمظلوم، بل أيضاً أكسبت أحداث عام 1948 الشعب الفلسطيني فخر الصمود والمقاومة، وفخر الدفاع عن أرض تجمع على قدسيتها مختلف العقائد والأديان السماوية.

بناءً على المقابلات التي أجريتها مع اللاجئين الفلسطينيين من عدة أجيال وأعمار مختلفة، تبين لي أن معظم ما يحفظونه في ذاكرتهم عن الحياة ما قبل النكبة ما هي إلى ذكريات سعيدة يملؤها الحنين والشوق لشعور بالاطمئنان

والاستقرار الذي سرق منهم ولم يجدوا له سبيلاً بعدها. كانت كلمات الجيلين الثاني والثالث فيما يتعلق بالحياة قبل عام 1948 تتسم بانها مقتضبة ومختصرة ودائماً ما تبدأ بكلمة..."كانوا يقولوا أنها كذا وكذا" .. حلوة مليحة أحسن من هلأ وأريح من اليوم...

لكن تميز الجيل الأول في كون كلماتهم كانت أكثر تفصيلاً، وهذا أمر طبيعي كونهم هم من عاشوا تلك الحقبة ولمسوا تفاصيل الفروقات بين ذلك الوقت وهذا. ولم تقتصر كلماتهم على وصف لأحاسيس أو لظروف، لكنهم أيضاً قدموا تفاصيل كثيرة تتعلق بالمحاصيل والثروات والحياة الاجتماعية والكثير الكثير من الجوانب الأخرى. ومن الملفت أن معظم المبحوثين تحدثوا عما آلت إليه قراهم في تلك الفترة من تطور وتقدم لم يتمكنوا من التمتع به، كبناء مدرسة جديدة أو تأسيس بلدية أو ازدهار سوق أو أو أو.. وهذا ما سأتطرق له لاحقاً خلال البحث.

وبالرغم من تعدد الكتابات الحديثة التي تطرقت لأحداث النكبة ومحاولة جمع تفاصيلها، إلا أن سمة الرواية والحكاية المحكية شفوياً ما زالت هي الأصل في ذلك كونها هي الوسيلة المتبعة غالباً لنقل التجارب الشخصية في تلك الفترة، وهذا ما يعبر عنه الرائد صلاح في تقديمه لكتاب جرح النكبة عندما قال:

> "إن هذه النكبة تتميز بكونها لا تزال نكبة شفهية يحفظها أهلها محفورة في صفحات ذاكرتهم، ويتناقلونها شفاهة من لسان مفجوع إلى أذن مفجوعة، ومن أذن مفجوعة إلى لسان منكوب، وهكذا دواليك".... "نعم ينقلها ابن الشهيد إلى ولده وحفيده، ويحدث بها ابن المخيم إلى أهله وجيرانه، ...."كل مشهد منها يمثل صفحة معاناة وبطولة، وكرامة وميراث وجع لكل فرد من أبناء مسيرتنا الإسلامية والعربية والفلسطينية" (أبو جابر 2007، 9-10).

المسؤولية

تتسابق الجهات المختلفة التي كانت تمسك بزمام الأمور في تلك الفترة – عام 1948- بتراشق وتبادل الاتهامات حول الجهة المسؤولة والسبب الكامن وراء حدوث ما حدث. وبات التاريخ يدون عدة روايات من عدة أطراف حول المسؤولية عن ذلك. وبطبيعة الحال، أصبح هناك روايتان أساسيتان يمثل كل منهما طرف من أطراف الصراع وهما: الرواية العربية و الرواية الإسرائيلية (الصهيونية).

الرواية العربية التي تحمل كامل المسؤولية عن النكبة وعن مسألة اللاجئين للعصابات الصهيونية التي ارتكبت المجازر وطردت السكان، إلى جانب القوات البريطانية المتآمرة معهم والتي مهدت لهم الطريق وسلمتهم فلسطيني تسليم اليد لليد. أما الرواية الصهيونية فهي التي تدعي أنها لم تطرد السكان ولم ترتكب المجازر، بل خرج السكان بناءً على أمر من الجيوش العربية وهربوا خوفاً من الإشاعات في حين كانت هي –أي القوات الإسرائيلية– تناشدهم طالبة منهم البقاء في أماكنهم (بار أون 2006، 228).

تطرق عبد التواب مصطفى بالتفصيل لمسؤولية المجتمع الدولي من جانبيها السياسي والقانوني، مبتدئاً بالقوى الاستعمارية الكبرى التي تعاونت ودعمت زرع الكيان الإسرائيلي الجديد، وصولاً لدور المجتمع الدولي ممثلاً بعصبة الأمم بداية والأمم المتحدة لاحقاً وهي التي أشار لها بالمسؤولية القانونية. وأكد على أهمية الدور الذي لعبته كل من الرأسمالية الغربية والبرجوازية اليهودية دون إهمال دور العرب (مصطفى 2000).

أما نمر سرحان وفي مقالته حول أداء المجتمع الريفي عام 1948، فقد تحدث عن مسؤولية الجيوش العربية نظراً لعجزها ولاهتمامها فقط بالسعي للدفاع عما خصصه قرار التقسيم للعرب فقط، والاعتماد على مصادر الدعم والقيادة الأجنبية. كما تحدث أيضاً عن مسؤولية المجتمع الفلسطيني نفسه كونه تميز بالأداء الدفاعي الضعيف والمتخلف الذي كان يفتقر للوعي لدى الجانب العربي والذي كان يواجه أداءً هجومياً قوياً ومتطوراً من قبل الجانب الإسرائيلي، إضافة إلى خوفهم وخروجهم من قراهم، وعبر عن ذلك قائلاً: "لقد هزمنا وانتصروا بسبب قيمنا العشائرية والرجعية.. فقد فضلنا أن نفر بعرضنا!! (سرحان 2006، 145–148).

وهناك من يحمل طرفي النزاع المسؤولية، فكما يرى عادل مناع فإن "زعماء إسرائيل من السياسيين أو قادتها العسكريين الذين نفذوا أعمال القتل والإرهاب والطرد المباشر، هم المسؤولين الأوائل عما جرى لأبناء الشعب الفلسطيني، إلا أن المسؤولية الكاملة لا تقع عليهم فقط، فالحرب التي حصلت خلالها تلك الأعمال الإجرامية شارك فيها العرب واليهود. ومسؤولية القيادات والزعماء العرب وعلى رأسهم الفلسطينيون، بقيادة الحاج أمين الحسيني في دفع الشعب الفلسطيني إلى حرب خاسرة لم يستعدوا لها ما زالت قضية يجب إثارتها ومناقشتها بجرأة وحزم لئلا تتكرر المصائب والكوارث الفلسطينية (مناع 2006، 199–200).

وفي كتاب دراسات وأبحاث في القضية الفلسطينية، عمل د. حماد حسين على تم تحديد وتفصيل العناصر المسؤولة والمؤثرة في أحداث عام 1948 وهي بريطانيا والولايات المتحدة والصهيونية العالمية والأمم المتحدة ومجلس الأمن إضافة غلى العرب أنفسهم (حسين 2006).

أما د. صالح عبد الجواد فيعتبر أن المذابح التي ارتكبت عام 1948 هي السبب الرئيسي لما حل بالفلسطينيين وحولتهم إلى لاجئين، بسبب ما أطلق عليها اسم المعادلة الوحيدة التي وضعها الصهاينة أمام الفلسطينيين وهي الموت أو الرحيل، ويقول أن "الفلسطينيين رحلوا ليس لأنهم شعب جبان عاث في عقله وسواس الإشاعات المضخمة، بل لأن عشرات المذابح ارتكبت في إطار حرب نفسية ضارية"، وبذلك فهو يحمل الجانب الإسرائيلي المسؤولية كاملة عن النكبة مع تحميل الجانب الفلسطيني مسؤولية ثانوية عن ذلك (عبد الجواد 2008، 57-59).

ويبقى الصراع مستمراً بين الرواية الصهيونية المهيمنة والرواية الفلسطينية الغائبة في الأدبيات ووسائل الإعلام العالمية، وذلك فيما يتعلق بالجهة المسؤولة عن أحداث عام 1948. فوسائل الإعلام التي بدورها تؤثر على الرأي العام العالمي وتستقطبه باتجاه الرواية الصهيونية، تظهر الجانب الإسرائيلي على أنه الجانب المظلوم الذي انتصر في معركته للدفاع عن نفسه في مواجهة من يرفض وجوده وتبرر وتلتمس الأعذار للإسرائيليين في أي مناسبة وتحمل العرب مسؤولية الأحداث. في حين تعمل جاهدة على إخفاء وإنكار الممارسات الإسرائيلية وتضع العراقيل أمام وصول الرواية الفلسطينية، الرواية الفلسطينية التي تمتلك من الدلائل والشهادات ما يثبت عكس تلك الروايات الصهيونية وتحمل المسؤولية للصهيونية ومن دعمها في النظام الدولي.

المرأة الفلسطينية ورواية اللجوء

فيما يتعلق بالفئات النوعية للاجئين والتاريخ الشفوي، فقد تعددت الدراسات التي تطرقت لها، فمثلاً جاءت دراسة "المرأة الفلسطينية والذاكرة" التي أعدتها الدكتورة فيحاء عبد الهادي لتتحدث عن دور المرأة الفلسطينية في صناعة التاريخ وفي التأريخ الشفوي السياسي، وهو ما أنكرته جهات عديدة على مر العصور بحيث لم تعترف بأهمية المرأة ودورها في الأحداث التاريخية.

وغالباً ما تم تهميش دور المرأة الفلسطينية وروايتها عند الحديث عن النكبة وأحداثها، وهذا ما ظهر في الكثير من الكتب والروايات المتعلقة بتلك الفترة، وهو ما لفت روزماري صايغ عندما قررت مقابلة لاجئين فلسطينيين لتستمع إلى رواياتهم وطلبت من أحد الأشخاص أن يحدد لها أفراداً معينين لمقابلتهم والاستماع لرواياتهم وشهادتهم عن أحداث النكبة، لتفاجأ بأنه استثنى النساء من خياراته واقتصر على اختيار الرجال. ورأت روزماري صايغ أن المرأة لم تكن الطرف المهمش الوحيد خلال الحديث عن تاريخ النكبة، فقد تم تهميشها كما تم تهميش فئات أخرى كأولئك الذين لم يكونوا يملكون أراضي (Sayigh 2004, 140). وخصصت روزماري صايغ بحثها كاملاً للحديث عن دور المرأة وأهمية روايتها في تلك المرحلة، ونقلاً عن فالنتين دانييل، اعتبرت صايغ أن الرجوع للماضي وأحداثه يكون من خلال التاريخ والإرث معاً، التاريخ الذي يعتمد على أحداث تحتاج دلائل، والإرث الذي يكفي أن تكون في العالم لتنقل التجربة وليس شرطاً أن تعرف هذا العالم، وهذا الإرث هو الذي يظهر في روايات النساء، كما وجدت أن الحديث عن القرية ووصف معالمها وطبيعة العمل والحياة والعلاقات فيها كان غالباً هو دور الأم أو الجدة وليس الأب أو الجد، وهذا بحد ذاته مهم للتاريخ الفلسطيني (Sayigh 2004, 136-138).

وسعياً إلى عدم الانسياق وراء تيار تغييب المرأة الفلسطينية من التاريخ الفلسطيني، والتي أصبحت مهمشة بأشكال مختلفة كونها امرأة-فلسطينية- ولاجئة، وتأكيداً على أهمية وفاعلية دور المرأة في تلك الفترة، ارتأيت أن تتوزع المقابلات التي يتم إجراءها في هذا البحث مناصفة بين الذكور والإناث كنوع من إعادة التوازن بين فئات المجتمع. فقد كانت المرأة مرافقة للرجل في كل مراحل هذه المحنة التي عاشها الشعب الفلسطيني، حتى أن بعض النساء كانت تروي تجربتها بتكرار استخدام كلمة "كنّا" – أي الرجال والنساء جنباً إلى جنب (عبد الهادي 2005، 9). كما أن اختلاف طبيعة مشاركة المرأة الفلسطينية ودورها خلال مراحل النكبة واللجوء عن مشاركة الرجل ودوره لا يقلل من قيمة هذا الدور أو أهميته، فالمرأة الفلسطينية لعبت دوراً مسانداً للرجل ساعده على الاستمرار في ذلك الوقت؛ كان للمرأة دور كبير من الجانب المادي في تلك الفترة، فكانت تبيع مصاغها لشراء السلاح أو لتوفير الطعام، وكانت تعمل في شتى المجالات كالبيع والخدمة في البيوت وجمع الحطب، إلى جانب دورها

المنزلي بالطبخ ورعاية الأطفال (علان 2005، 23)، والأهم من ذلك دورها في تثبيت الأسرة والحفاظ على هويتها في مواجهة المحاولات المتعددة لطمس هذه الهوية (مغامس والخالدي وناصر 2005، 45).

إن تغييب المرأة والتغاضي عن دورها والحديث عنها في تلك الفترة إلا في مواضيع الشرف والزي والأعراس دفع عدداً من الباحثين لتسليط الضوء على المرأة الفلسطينية تلك الفترة، وذلك إيماناً منهم بأهمية الدور الذي اضطلعت به في تاريخ ورواية النكبة الفلسطينية، وخرجوا من خلال أبحاثهم بنتائج قد تكون ملفتة للنظر بغض النظر عن مدى دقتها، فمثلاً، تحت عنوان "التكيف و البقاء في السنوات الأولى بعد التهجير: دور النساء" الذي درس حالات نساء مخيم الجلزون، توصل الباحثون للنتيجة التي تقول أن هناك اختلاف واضح بين رواية الرجل لتلك الفترة ورواية المرأة، إضافة إلى اعتبارهم أن رواية المرأة كانت رواية أكثر عفوية ومصداقية كون الرجل قد يسعى إلى إعادة بناء ذاكرته بما يتناسب والمفاهيم الذكورية عن الرجولة والشهامة والشجاعة بينما المرأة غير مطالبة بتبرير خوفها أو سلوكها كما أنها غير مطالبة "ثقافياً" بالدفاع عن الأرض والشرف مما "سمح لها بالتفكير المتزن أكثر من الرجل خلال النكبة وبعدها" (مغامس والخالدي وناصر 2005، 56).

واقتناعاً مني برؤية من يدعمون ويؤكدون على أهمية دور المرأة الفلسطينية في أحداث النكبة وما بعدها أمثال روزماري صايغ وفاطمة قاسم وغيرهما، وبناءً على ما شهدته ولمسته من فاعلية هذا الدور وعمقه من خلال الشهادات والروايات التي سمعتها من المبحوثات في خضم العمل على هذا البحث، وجدت أنه من الضروري التطرق لتفصيل "دور المرأة" سواء كان ذلك دوراً مباشراً أم غير مباشر، وهو ما سيتم توضيحه في الفصول القادمة.

الأجيال المختلفة من اللاجئين

مع مرور الوقت أصبح العالم كقرية صغيرة بسبب العولمة وتبعاتها، وبالطبع أدى ذلك إلى إحداث تغيرات في الأفكار والمفاهيم والقيم بين الناس، فما يؤمن به أبناء الأجيال السابقة لم تعد تقنع أو تعجب أبناء الأجيال الشابة التي انفتحت على العالم الخارجي وتعرفت على ثقافات وحضارات أخرى. أيضاً، لطالما سعت الدول الاستعمارية لنشر ثقافاتها والتأثير على الدول الأخرى عبر ما يسمى الغزو الثقافي أو الاستعمار الثقافي وذلك بنشر اللغة

والثقافة الأخرى. هذه العوامل أدت إلى تكوين جيل جديد يختلف بعقليته عن جيل آباءه وأجداده. وطبعاً لا يختلف هذا الحال بالنسبة لأجيال اللاجئين، فقد مرت عقود على أحداث النكبة وانولدت ثقافات ومفاهيم جديدة في صفوف وأذهان الأجيال الجديدة منهم والتي لا بد وأن تكون قد غيرت من النظرة العامة لهذا الحدث. لذا أتيت خلال هذا البحث على تقصي هذا النوع من التغيرات والاختلافات بين الأجيال المختلفة من اللاجئين وذلك من خلال الاستماع لخطاباتهم ورواياتهم المتعلقة بنكبة عام 1948 وتحليل كلماتهم كونها تعتبر جزءاً مهماً للتاريخ الشفوي الفلسطيني.

وفيما يتعلق بالفئات العمرية والتاريخ الشفوي، فمن الدراسات التي تطرقت للفئات العمرية المختلفة من اللاجئين كانت تلك التي نشرها الدكتور عادل يحيى، حيث نشر دراسات قائمة على تاريخ شفوي مأخوذ من روايات لجميع الفئات العمرية من اللاجئين كالأطفال والمراهقين والشيوخ. مثلاً في كتابه "بين انتفاضتين – التاريخ الشفوي الفلسطيني" وكتابه "من يصنع التاريخ –التأريخ الشفوي للانتفاضة" استعرض الدكتور عادل يحيى نصوص المقابلات مع شباب الانتفاضتين الأولى و الثانية. وكذلك كان الأمر في كتاب سيلفي منصور "جيل الانتفاضة" الذي يعرض فيه مقابلات وروايات لأطفال الحجارة والمراهقين.

وبحسب عادل مناع، فإنه من واجب كل باحث دراسة وتأريخ ما حدث وذلك حفظاً للذاكرة وتثقيفاً للأجيال القادمة كي يكونوا على علم ودراية بما جرى لشعبهم وآبائهم في حرب عام 1948" (مناع 2006، 200). كما أنه من الضروري العمل على استمرارية وتماسك الرواية الفلسطينية عبر الأجيال والذي لا يمكن تحقيقه سوى من خلال الحفاظ على مخزون الأجيال الأخرى من الذاكرة الجماعية" (عمرو 2007). ومؤخراً أصبح موضوع مقارنة الأجيال المختلفة جاذباً للعديد من الباحثين والمهتمين، واهتم الكثير منهم بمسألة الاختلاف بين الأجيال في مواضيع ومحاور مختلفة، خاصة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية وروايات النكبة. إلا أن هذا المجال ما زال حديثاً ولا يوجد كمّ كافٍ من الدراسات التي بحثت مسائل التشابه والاختلاف بين أجيال اللاجئين الفلسطينيين سواء داخل حدود فلسطين أو خارجها، كما أن العديد من الأوراق التي تطرقت للموضوع ما زالت قيد التطوير ولم يتم نشر معظمها. لكن يمكن القول أن معظم الأبحاث المقارنة بين اللاجئين ارتكزت على مواضيع الهوية والمخيم وحق العودة. ففي ورقتها بعنوان "صور الوطن المفقود في روايات اللاجئين الفلسطينيين : دراسة مقارنة بين

مخيم قلنديا في فلسطين ومخيم اليرموك في سوريا" تطرقت لورا عدوان إلى مسألة الأجيال والاختلاف فيما بينها، فمثلاً لاحظت اعتبار الجيل الأول والثاني للمخيم بأنه مصدر للأمان والحماية والقوة والانتماء أكثر من الجيل الثالث (عدوان 2011، 235)، كما أشارت إلى أن قصة البلاد والهجرة ترد بشكل مفصل أكثر لدى الجيل الموجود خارج حدود فلسطين مع التأكيد على الفروقات الموجودة بين الأجيال داخل المخيم الواحد (عدوان 2011، 244).

وضمن جدول أعماله حول اللاجئين الفلسطينيين، عقد معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية في جامعة بيرزيت مؤتمراً دولياً حول هذا الموضوع بعنوان: "اللاجئون الفلسطينيون أجيال مختلفة وهوية واحدة" وكان من الملفت خلال المؤتمر اهتمام الباحثين من مختلف المجالات والثقافات، العرب والأجانب، بهذا الموضوع. إضافة إلى توجه معظمهم إلى التطرق إلى نواحي المقارنة بين الأجيال المختلفة.

فمثلاً، وفيما يتعلق بحق العودة، قدمت د. صوفي ريختر ديفرو عرضاً أولياً لورقتها حول الثقافات السياسية الفلسطينية المتعلقة بحق العودة، وعرضت فيه مقارنة بين الأجيال الفلسطينية الثلاث، فوجدت أن الجيل الأول (جيل النكبة) تميز بنظرة عاطفية حول حق العودة وارتباط وتعلق بمفهوم الأرض والوطن، بينما كان الجيل الثاني ذا نزعة سياسية أكثر تمثلت بالنظرة النقدية والرافضة لنظرة الجيل الأول العاطفية ولاتفاقية أوسلو وآثارها مع اختلافات بالانتماءات السياسية ووجهات النظر. أما الجيل الثالث من شباب اللاجئين فقد مالوا أكثر نحو تدويل القضية الفلسطينية وحق العودة للوطن بشكل عام وليس بالضرورة للقرية أو البلدة ذاتها، مع ارتباط مزدوج بين "هنا وهناك" أي الوطن ومكان اللجوء أو الإقامة (Richter-Devroe, 2011). وكذلك تحدثت كريستين باكرلي من جامعة هارفرد عن رفض الجيل الجديد وصف "الضحية" الذي لطالما رافق اللاجئين الفلسطينيين من الأجيال السابقة.

أيضاً، كتبت الباحثة الفلسطينية صابرين الزبن ورقة[14] قارنت فيها بين الجيلين الثاني والثالث من اللاجئين الفلسطينيين وذلك بالنظر إلى هوية اللجوء لديهم ومدى الاختلاف فيها مع تقادم الأجيال، وذلك اعتماداً على عدد

---

[14] الورقة بعنوان "هوية اللاجئين في ثقافتهم ولغتهم المحلية: بحث مقارن بين الجيل الثاني والثالث للنكبة – مخيم الجلزون نموذجاً" ونشرها مركز بديل (المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين) عام 2007.

من المقابلات التي أجرتها مع أشخاص لاجئين معظمهم من مخيم الجلزون تقصت فيها كل من الثقافة واللغة والهوية لدى المبحوثين. وقد تبين لها من خلال تحليلها لتلك المقابلات أن هوية اللجوء تشهد تراجعاً مع تقادم الأجيال إضافة إلى التغير في مفهوم اللجوء لديهم، وفي المقابل تشيد الباحثة بالوعي السياسي بالقضية الفلسطينية لدى أبناء الجيل الثالث. كما أشارت إلى أثر الوعي الموجود لدى الجيل الثاني على ما يتم نقله من وعي للجيل الثالث. أما فيما يتعلق بحق العودة فقد اعتبرت أن "إمكانية التنازل عن حق العودة لدى أبناء الجيلين الثاني والثالث غير واردة وتعتبر خطاً أحمراً أمام جميع المغريات المادية" (الزبن 2007).

وظهرت المقارنة بين أجيال اللاجئين المختلفة أيضاً في عدد من المقالات والكتب، فيقول أحمد سعدي عن الأجيال المختلفة: "أبناء جيل النكبة لديهم معلومات حول ما حصل إذ كانوا هناك، وعاشوا في فلسطين قبل تغيرها، وهم يحملون الذاكرة، ومع ذلك يتهم هذا الجيل عادة بالتقصير في الدفاع عن فلسطين. وعلى هذا الأساس ما زال جيل القادة الفلسطينيين في ذلك الوقت يشعر بضرورة شرح وتبرير تصرفاته في زمن الحرب. أما جيل ما بعد النكبة فيستطيع تخيل ما حدث أو يقوم بزيارات قصيرة لأماكن مختلفة لتخيل ما كانت الحياة عليه من قبل" (سعدي، 2006، 69).

وحتى على الصعيد الإسرائيلي، ظهر هناك اختلاف واضح بالأجيال، فمع مرور الزمن وتجدد الأجيال، ظهر جيل جديد من المؤرخين الإسرائيليين الذين يبنوا روايات مختلفة عما كان عليه من سبقهم، وقد بلغ معظم هؤلاء المؤرخين الجدد الرشد بعد جيل كامل من حرب الاستقلال الإسرائيلية (بار أون 2006، 246).

الفصل الثاني: القرية الأصل والخروج منها

يأتي هذا الفصل لتسليط الضوء على ما قاله ورواه أشخاص لاجئون عاشوا تجربة اللجوء أو ورثوها، وعرض ومضات من روايات اللاجئ الفلسطيني واللاجئة الفلسطينية – من ثلاثة أجيال مختلفة، وهذا كنوع من "منح الصوت لمن لا صوت له" في التاريخ المكتوب كونهم الفئة الأضعف والمهمشة، والتي وبالرغم من أن أفرادها هم جزء لا يتجزأ من تاريخ النكبة الفلسطينية كونهم يمثلون ضحية وشاهداً وفاعلاً في أحداث ذلك العام، عام 1948، إلا أن صوتهم بقي خافتاً وغير مسموع على مدى عقود.

تم تقسيم هذا الفصل إلى أربعة أبعاد رئيسية وهي: أولاً، بعد خاص بروايات حول الحياة في القرية الأصل ما قبل عام 1948، حيث اختلفت أساليب المبحوثين في وصف تلك المرحلة من حياة الشعب الفلسطيني. أما البعد الثاني فقد اختص بالحديث عن سبب أو أسباب الخروج من القرية أو المدينة الأصل في ذلك العام، ومن المبحوثين من تحدث عن أسباب غير مباشرة وأخرى مباشرة، كما تحدث آخرون عن يوم خروجهم بشكل خاص. ثم يأتي البعد الثالث لوصف وتفصيل مسار التهجير ورحلة الشتات الطويلة التي مر خلالها اللاجئ وأسرته وأهل قريته. ويختم هذا الفصل بالبعد الخاص المتعلق بعودة المبحوثين لزيارة قراهم ومدنهم الأصلية بعد أن هجروا منها. وقد يظهر في هذا الفصل تركيز أكبر على أبناء الجيل الأول نظراً لكون الأبعاد التي يغطيها هذا القسم تختص بمسائل لم يعايشها أبناء الجيلين الآخرين المبحوثين هنا.

لكن لا بد بداية الإشارة إلى أن المنطقة الجغرافية التي تمكنت من تغطيتها خلال عملية البحث لهذه الدراسة كانت محدودة، حيث أن معظم المقابلات كانت في محيط مدينة رام الله وقراها،[15] إلى جانب عدد بسيط من المقابلات خارج البلاد كمصر والأردن. لكن تمكنت من خلال هذه المقابلات أن أشمل إطاراً جغرافياً أوسع بكثير بالنظر إلى القرى والمدن الأصلية التي قدم منها المبحوثون. فقد اشتملت المقابلات التي تم إجراؤها لهذا البحث ما يزيد على عشرين قرية/ مدينة. ففي هذا البحث وردت القرى والمدن التالية:

---

[15] "إن رام الله والبيرة هما الأكثر تأثراً بالنكبة بين المدن الفلسطينية... وصل اللاجئون في معظمهم إلى رام الله والبيرة في أواسط تموز 1948 مطرودين من مناطق اللد والرملة ويافا" (أبو دحو وآخرون 2010، 26-27).

(الساقية، عنابا، بيت نبالا، المغار، عين كارم، بيت ثول، الدوايمة، قطنة، العباسية، المزيرعة، سمسم، دير طريف، السافرية، بيت دجن، لفتا، خبيزة، السدرة، إلى جانب كل من مدينة يافا واللد والرملة وصفد).

واختلفت طريقة التعريف بالقرية/ المدينة الأصل لدى المبحوثين، فعند طرح السؤال "من أين أنتم أصلاً؟" هناك من اكتفى بذكر اسم القرية دون أي زيادة أو تفصيل، "أنا من بيت نبالا" أو "أنا من قرية اسمها السافرية"، "الأصل من يافا" وهكذا. لكن من جهة أخرى كان هناك العديد ممن باشر بتقديم تفاصيل أكثر عن قراهم، كمن يحدد موقعها بالنسبة للمدن والقرى الأخرى، أو من يصفها ويحدد ثرواتها ومواردها، وآخرون كانوا يحددون أعداد السكان فيها قبل التهجير.

مثلاً بدأت الحاجة أم حسين –70 عام– كلامها بوصف الموقع الجغرافي لقريتها بيت ثول قبل أن تتحدث عن تجربة لجوء أسرتها وخروجها من القرية، حيث قالت: "بيت ثول... تابع للقدس.. وين أبو غوش.. جنب أبو غوش لغربا شوي". وكذلك ابتدأ السيد حسن مقابلته قائلاً: "أنا من قرية صغيرة اسمها سمسم، هاي في جنوب فلسطين قريبة للمجدل ما بين المجدل وحدود غزة". لكن في المقابل لا بد من ذكر أن هناك بعض من لم يكن يعلم أي من تفاصيل عن قريتهم، مثل السيدة يسرى من الجيل الثاني والتي قالت: "ولا عمرهم حكوا"... وأيضاً الآنسة سيرين من الجيل الثالث من بيت نبالا التي قالت أنها لا تعلم شيئاً حتى أنها لم تعرف قضاء أي مدينة ولا أين تقع قائلة: "للأسف ما بعرف شي، حتى رحت عليها بس ناسية وين بالزبط".

<u>أولاً: الحياة ما قبل النكبة:</u>

لم تكن فلسطين قبل العام 1948 تتمتع باستقلال وحياة حرة ومستقرة خالية من المتاعب والصعوبات، بل كانت قابعة تحت الانتداب البريطاني الذي لطالما كدر على الفلسطينيين صفو العيش من خلال ممارساته الاستعمارية القمعية، وعبر الفلسطينيون دوماً عن عدم رضاهم عن تلك الأحوال في ذلك الوقت وكان أبرز مثال على ذلك ثورة عام 1936 – وهي على سبيل الذكر وليس الحصر.

لكن وبالرغم من ذلك، ورغم كل المناوشات التي كانت تحدث بين الفلسطينيين واليهود والقوات البريطانية في تلك الفترة، إلا أن أحداث عام 1948 كانت بالنسبة للفلسطيني هي الأصعب والأقسى مما أدى فيما بعد إلى حفر ذاكرة مؤلمة عن عام النكبة وما بعده، وبالتالي تم تصوير واستذكار الوضع قبل ذلك التاريخ وكأنه اتسم بمنتهى الهناء.

ومع مرور الأيام وتتالي التجارب المريرة في الحياة الفلسطينية اليومية، أصبحت الصورة المشرقة للحياة في القرية/ المدينة قبل التهجير هي الصورة السائدة والراسخة في أذهان من عاشوها، وكانت هي الصورة التي ينقلونها للأجيال اللاحقة – سواء كان الحديث عن الوضع المجتمعي العام، أو وضع أسرة المبحوث بشكل خاص. ففي مقابلات اللاجئين في هذا البحث، قلّة هم من تطرقوا للجوانب السلبية والصعبة في الحياة ما قبل النكبة، وكانوا غالباً من أبناء الجيل الأول وأحياناً قليلة وردت بشكل محدود على لسان بعض أبناء الأجيال الأخرى. وعدا عن ذلك، فإن جل ما يذكرون سماعه عن تلك الفترة كان إيجابياً وغالباً ما كان يوصف بأنه أفضل بكثير مما هو الحال اليوم.

ومن خلال السؤال عن وضع الحياة الفلسطينية قبل عام 1948، وبالرغم من شبه الإجماع بين معظم المبحوثين على السهولة والبساطة والسعادة في تلك الفترة، تعددت إجابات المبحوثين من أجل وصف جوانب تلك الحياة، فهناك من اكتفى بوصف الوضع بشكل عام وبكل اختصار كأن يقول "أحسن من اليوم" أو "كنا نعيش في بحبوحة من العيش" (أبو نادي 72 عام) أو "كنا عايشين أحسن عيشة، كنا عايشين مرفهين.. أحلى عيشة... " (الحاجة أم منير 72 عام) .. "كانوا راضيين بعيشتهم" (منال 24 عام) وغير ذلك. وعمد آخرون إلى تقديم تفاصيل أكثر عن تلك الحياة، كالتركيز على الحياة الاجتماعية وأعداد السكان، أو التركيز على الجانب الزراعي والإنتاجي، وهناك من تحدث عن جانب التنمية والتطور الذي أعاقته أحداث ذلك العام.

ومن الجدير بالذكر وجود اختلاف في المصادر التي استوحى المبحوثون منها إجاباتهم على هذا الجانب، فسواء من تحدث عن حياة مجمل السكان وعامة الشعب الفلسطيني في تلك الفترة بشكل عام، أو من تحدث عما عاشه أسلافه فقط، أي في قريتهم/ مدينتهم، كانت إجابات البعض من أبناء الجيل الأول نابعة من تجاربهم الشخصية التي عايشوها قبل النكبة، في حين كانت باقي الإجابات إما بناءً على حديث سمعه المبحوث من عم أو جد أو أحد الوالدين، أو بناءً على ما قرأوه في كتب التاريخ، أو شاهدوه في وسائل الإعلام.

- **الجانب الاجتماعي:**

إذا قارنا بين أبناء الجيل الأول أنفسهم، يتبين أن الصورة المشرقة عن الحياة في ذلك الزمن الجميل تتباين فيما بينهم، فأنا أذكر أن الحاج أبو حامد (جيل أول) كان من القلائل الذين لم يبدأوا حديثهم بوصف روعة تلك الأيام وهنائها، ورأيت أنه كان أكثر واقعية من غيره في استذكاره الحياة قبل عام 1948 حيث لم يصورها بأنها حياة رفاهية وبحبوحة، لكنه ما لبث أن عاد ليؤكد على أنه لم يكن هناك مشاكل تعكر صفو العيش، وعبر قائلاً:

> "حياة العباد كانت حياة بدائية، مفيش كان تراكتور للحراثة، اليهود كان عندهم كل إشي، الناس كانت تستعين بتراكتورات اليهود .... أول اشي ما كانش في مشاكل بين العرب واليهود، حياة عادية، كانت في المناسبات، الأفراح والأتراح عادية بتعزمو وبيعزمك" (أبو حامد، 78 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/25).

إلا أن كلام الحاج أبو حامد كان أقل كمالية مما كان عليه كلام الحاج أبو عوض عندما قال لدى سؤاله عن حياته قبل عام 1948:

> "قبل 48، ..الله أكبر..حياة حياة!! الواحد رزقه عنده، ماله عنده، ولاده عنده، خواته عنده، بناته عنده، قاعدين ببلد تلاقيها هيك إيد وحدة..القرى.. والمدن كذلك... تلاقيهم يقولولك أهلا وسهلا... من ممشاك لمرفاك والعين ترعاك والقلب يهواك، لحتى يمجدوا فيك.... مش زي اليوم!" (أبو عوض، 89 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/21).

وفي استذكار القرية و الحياة والأوضاع المعيشية فيها قبل عام 1948، يقول أبو مصطفى:

> "إحنا بلدنا بقت مشهورة... مشهورة بشغل من البلاد بقوا يجوا عنا .. بقت مشهورة بالشيد والفلايح والنحل..... يعني في الإحصا في سنة التلاتينات، بقى عددنا في البلد 1400 نسمة،... يعني إحنا هلقيت بقالنا 63-64 سنة طالعين، أكم ألف صرنا؟!.... يعني على قد ما قعدنا في البلد قعدنا متريحين يعني بلا مشاكل، .. أنا بحياتي في البلد صار طوشة وحدة بين الحمايل، ولا بقوا يعني زي الأخوة، ولاد بلد ويشطحوا مع بعض ويروحوا مع بعض تـ صارت النكسة... بس النكسة

صارت فرقت العالم ما خلّتش واحد مع أخوه"[16] (أبو مصطفى، 87 عام، مقابلة بتاريخ 2011/11/27).

أما أبو زيد، وكونه يعتبر من أبناء الجيل الأول الأصغر سناً في تلك الفترة، كان يستذكر القرية قبل عام 1948 بصورة تختلف إلى حد ما عما ذكره أبو مصطفى الذي عاش ما يزيد على عشرين عاماً قبل النكبة، فأبو زيد ابن التسعة أعوام حينها يذكر السنوات القليلة التي سبقت عام 1948 ولكن ليس بنفس الصورة المشرقة التي يذكرها غيره، فعند سؤاله عن القرية قبل عام النكبة لم يعطني الإجابة المعهودة التي قالها غيره التي تمثلت بـــ "كنا عايشين في بحبوحة، وما في مشاكل ..و و و " ولكنه أظهر في كلامه أن الفترة التي عايشها هي فترة بدايات التوتر بين الفلسطينيين واليهود حينها حيث قال:

"قبل 48 كانت مناوشات بين إسرائيل[17] والشعب الفلسطيني، كان الشعب الفلسطيني من الفقر اللي كان عندهم والأحوال اللي هم فيها، يبيع الواحد الشعيرات والقمحات والحصايد هذول ويشتريلو شقفة بارودة... سبع ثمان طلقات عشر طلقات...يعملوا لجان من الشعب من نفس القرية....و(الهجمات من اليهود) كانت كل يوم..كل ليلة...كل يومين...كل جمعة... على هالحال هذا كان الشعب الفلسطيني" (أبو زيد، 73 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/21).

وبالانتقال بالحديث إلى أبناء الجيل الثاني من المبحوثين، كان يظهر من كلامهم أن آبائهم وأمهاتهم هم من نقلوا إليهم هذه التفاصيل، وكان كلامهم يشمل الجانبين الإيجابي والسلبي للحياة قبل النكبة، فجمعت السيدة ملكة بين صعوبة الحياة بسبب الانتداب البريطاني وبين راحة العيش بقولها:

"كانت حياة كثير مليحة، عايشين في أمان كانوا رغم انه الانتداب البريطاني كان عندهم وكانوا يضيقوا عليهم ... كانت يعني في معاناة بس رغم ذلك كان أمي وأبوي يخرفونا خراريف كثير منيحة... كانوا عندهم البيارات، عندهم الزيتون عندهم الأرض تبعهم يحرثوها يفلحوها يعني كانت حياتهم كثير مليحة، يعني بيتذكروا الشقتين الصعبة والمليحة" (ملكة، 64 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/16).

وكذلك عبر الحاج كمال عن بساطة العيش وضيق الحال "أيام البلاد":

---

[16] استخدم الحاج أبو مصطفى هنا مصطلح النكسة قاصداً بذلك "النكبة"، وهو نتيجة نوع من اختلاط الأزمنة بين ما هو من الماضي القريب أو الماضي البعيد أو من الحاضر. وهذه الظاهرة سأناقشها خلال الفصل الأخير من هذا البحث.

[17] استخدم مصطلح إسرائيل عند الحديث عن اليهود والعصابات الصهيونية في تلك الفترة مع ان اسرائيل لم تكن قد قامت كدولة معترف بها في ذلك الوقت.

"آه كانوا يحكولنا يعني بقولوا لو وضعوا الشمس في يمينهم والقمر في يسارهم على ان يتركوا هذه البلاد لن يتركوها... يعني هم كان بودهم دائماً وأبدا الرجوع إليها، مهما كانت الظروف الرجوع للبلد أحسن... كانت حياتهم فش أحسن منها... نعم كانت حالة فقيرة لكن في بلادو الواحد، يعني لو يوكل حبة ملح وشوية الزيت البلدي افضلو من ما ياكل يوميا خروف" (كمال، 67 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/21).

أما عن أبناء الجيل الثالث، فقد لعب الآباء والأجداد دوراً رئيسياً في نقل ما رسخ في أذهانهم من صور الحياة قبل النكبة، ولكن أيضاً كان لكتب التاريخ ومواقع الانترنت وغيرها أثراً ظاهراً في إجاباتهم. وبالحديث عمن اعتمدوا على الأسرة كمصدر لهذه المعلومات، فيظهر اختلاف في نجاح الأسر في نقل هذه الصور، فمثلاً أظهرت مقابلة الآنسة سيرين ضعفاً في الموروث التاريخي الذي تنقله أسرتها لها عن قريتها –بيت نبالا– وحياة ما قبل النكبة بالرغم من أنها من عائلة بسيطة جداً وتعيش في مخيم وتعيش بنفس المنزل مع جدتها التي تجاوزت السبعين عاماً، وهذا يدل على قلة الحديث بموضوع النكبة والحياة ما قبل النكبة، ولا تعمل الأجيال السابقة على نقل التجربة للأجيال اللاحقة. فقد أجابت المبحوثة في كثير من الأحيان بـــ "ما بعرف وما كانوا يحكوا"، لكنها هنا حاولت أن تصف الحياة قبل النكبة بناءً على ما لمسته من فروقات في أسلوب الحياة، فما كان متاحاً لجدتها في الماضي هي ممنوعة من أن تعيشه اليوم، وما هو متوفر لها اليوم لم يكن متوفراً لجدتها:

"أكيد جيل ستي أيام زمان غير عن هالأيام هاي... أيامنا هيك انتفاضة، بس هم غير، كانت حرية تطلع وتنزل وتروح تشوف الأقصى وتروح حيفا... كانت تروح وتيجي وعادي كانت الأمور بس الأيام هذي صعب ... يا دوب الأقصى الواحد إنو يقدر يعبرو ويشوفه.. ياا دوب.. كانت أيام زمان أحلى من الأيام هاي... كانت تحكي كنا نعيش فش كهربا وفش اي اشي، حتى المي كانوا ايام زمان يعبوها.. بس كانت أيام حلوة، أديش كانت صعبة بس كانوا يحكوا عنها إنها حلوة وأحلى من الأيام هاي" (سيرين، 28 عام، مقابلة بتاريخ 2012/1/15).

أما السيدة رائدة، من بيت دجن، فقد أكدت على دور أسرتها في تصوير ظروف الحياة وطبيعتها في تلك الأيام قائلة:

"آه كانت كثير حلوة، كثير كثير، وبضلهم لليوم إمي وأبوي يحكوا يا الله ما أحلى أيام زمان كيف كانوا يعبوا المي من العين ويتجمعوا كلياتهم، ما كان في زي اليوم هاي التكنولوجيا اللي تبعدهم عن بعض، كانوا خلص دايماً مع بعض العيلة متجمعة بنفس البيت .. بفطروا مع بعض بتغدوا مع بعض، يعني بخلقوا من أدنى شي

بخلقوا فرح، مش زي اليوم... يعني لليوم أهلي بنكون قاعدين بيصيروا يحكولنا ... الله يرحم أيام زمان قديش كانت حلوة وجميلة، ما كانوا يمرضوا زي هلأ.... هدا الحنين اللي عندهم هو اللي بيخلينا نحس فيه، يعني انا ما عشت هديك الأيام بس لما أشوف ابوي بحكي هيك وإمي أنا بحن لهديك الأيام" (رائدة، 27 عام، مقابلة بتاريخ 2012/6/18).

وبالانتقال لفئة أخرى من أبناء الجيل الثالث الذين كثيراً ما اعتمدوا على مصادر أخرى لمعلوماتهم كالكتب والوسائل التكنولوجية الحديثة، أظهرت الآنسة رانيا نوعاً من الرفض لهذه الصورة المثالية التي يتم إسقاطها على تلك الفترة ما قبل أحداث عام 1948، واستمدت المبحوثة معلوماتها وإجابتها من دراساتها حول الموضوع وتاريخ القرى الفلسطينية خاصة قرية والدتها –لفتا– حيث أنها لم تعش في فلسطين بل عاشت بالخارج وحصلت على شهادة الدكتوراه، لدرجة أن لغتها العربية ضعيفة إلى حد ما. أيضاً أشارت إلى أثر وسائل الإعلام في إظهار صورة أكثر واقعية للحياة حينها خاصة مسلسل "التغريبة الفلسطينية":

"إحنا كتير بننظر للورا وبنشوفو كتير أفضل من اللي إحنا عايشينو، يعني هاي اللي قبل النكبة أنه فلسطين كانت "الجنة" وراحت الجنة،.. بس لا يا عمي...... هاي جزء من الخسارة (LOSS)، مثلاً التغريبة الفلسطينية أحلى إشي فيها بيّن الحياة ما قبل النكبة انه هي ما كانت جنة، كان عنا طبقية، كان في عنا نخبوية، كان في عنا كل هالأشياء مش انه .. آخ كانت عدالة و و... بس شوفي.. الحياة كان أحلى مهما كان مشكلة بس أكيد كان أحلى.. لأنه أرضنا، وكمان فش حد بيقدر يقول انه اللي إحنا هلأ عايشينو أحسن وأفضل لأنه فش حدا راضي بالوضع"[18] (رانيا، 37 عام، مقابلة بتاريخ 2012/9/27).

وكان الحال مشابهاً بالنسبة للسيد سليم التي يظهر ضمناً من إجابته أن مصادره هي كتب تاريخية ومراجع مكتوبة وليس فقط من الأسرة، حتى أنه تكلم بلغة عربية فصحى وعاد بكلماته كثيراً إلى الوراء لفترة الثلاثينيات حيث قال:

"قبل النكبة اللي صارت عام 1948 كان هناك غارات من قبل القرى الفلسطينية المحيطة ولاسيما من قرى أو من قبائل بدوية كانت تتمركز في منطقة السبع والنقب وذلك المحور، كانوا يغيروا عالمناطق الساحلية اللي هي على الرملة وكل الشريط الساحلي، كانوا يغيروا عليها لأسباب اقتصادية كانوا يسبوا نساء مرات كانوا ياخدوا

---

[18] كانت لغة المبحوثة تتسم بالضعف الى حد ما، كونها لم تعش في فلسطين كثيراً.

مواشي ويسرقوا ممتلكات كانوا يسرقوا مزروعات، وهاي الروايات مثبتة في الروايات التاريخية الفلسطينية، والآن الرملة نظمت نفسها تحت شباب أو لجان شباب للدفاع عن الممتلكات المادية الموجودة في الرملة، وفي الفترة بداية الثلاثينات كان فعلاً هناك ردع،... ولما اختفى الهجوم البدوي كان هناك ضرورة في إبقاء هذه القوات للدفاع، وكانت لا زالت موجودة، وتم إعادة تنظيمها فيما بعد في ثورة 1936 .. وبالتالي مدينة الرملة تميزت بأن كان فيها مقاومة وبعض المجموعات من الشباب الذين تنظموا على مستوى محدود وذكر أيضاً أنهم أغاروا على بعض مناطق للجيش البريطاني ذكر أنه تعسكر فيها إسرائيليين أو يهود.. واستشهد فيها كمان عدد كبير جداً.. إخوان أجدادي الاثنين استشهدا في هذه الهجمات..." (سليم، 26 عام، مقابلة بتاريخ 2011/10/16).

- **الجانب الزراعي:**

لم تخلُ أي من روايات الجيل الأول بشكل خاص من تعداد خيرات القرية ومحاصيلها ومزروعاتها وثرواتها الطبيعية (النباتية والحيوانية)، فنظراً لكون المجتمع الفلسطيني قبل النكبة مجتمعاً زراعياً ومعظم السكان كانوا من الفلاحين، تحتل الأراضي والمحاصيل الزراعية مركزاً مميزاً في نفوس من عاشوه، خاصة أن من خرجوا من قراهم في ذلك العام خرجوا في فترة الحصاد، وبقيت محاصيلهم التي لم يحصدوها أو التي حصدوها ولم يتمكنوا من أخذها تحفر ألماً وحسرة في نفوسهم. فيقول أبو عوض عن خيرات قريته بيت نبالا:

"في العصر هظاك..كانت في البلاد أكبر بلد بلدنا، الخيرات اللي بقت بالبلد جميع الخيرات اللي بالدنيا موجودة...إحنا الفلاحين بقت بلادنا أوسع من هان..هانا مفيش إشي بس حبة التين وحبة العنب يعيشوا فيها، إحنا فيه البرتقان واللمون والسمسم...السمسم هذا اللي هلكيت بتشتهي الحبة، بقى الواحد عنده دوار هلقد ..يجي الولد يقعد جنب الحوزة يفتح حجره.....والقمح والشعير بالبيادر، والحلال...يكون ألفين ثلث آلاف راس كل عيلة، يبقى الحلال كأنه سوق..هذا غير الغنم ملان والبقر لحالهن عجاجيل عجاجيل... وبتذكر أنا وأخوي 14 قنطار إذرة دخل دارنا لحالنا" (أبو عوض، 89 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/21).

ويقول عنها أيضا الحاج أبو إسماعيل:

"كنا عايشين عالزراعة والحلال، كان في جنب البلد معسكر للجيش الإنجليزي يشتغلوا فيه عمال، واللي عندهم يزرعوا ويقلعوا قمح وسمسم وخضرة ويشتغلوا

> بأرضهم، دور ملاح.. خير كثير لا يطاق.. خاصة بيت نبالا، الزيت اللي فيها..الزيتون.. كل المنطقة فش فيها قدها...بيت نبالا هان..منها وغربا سهل..وشرقا جبل..بتحدها بدرس ورنتيس شرقا ومطار اللد غربا ومن الشمال كوليه..الجنوب الحديثة ..محوطة بس عليها أرض كل القرى اللي حولها ما عندهمش متلها" (أبو إسماعيل، 78 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/8).

وبناءً على عظم دور الزراعة والمحاصيل الزراعية كونها كانت مصدر العيش قبل عام 1948، من المنطقي أن ينقل أبناء الجيل الأول هذه التجارب وهذه الذكريات عن "ثروة الأسرة الزراعية والحيوانية" لأبنائهم وأحفادهم، فيقول أحد أبناء الجيل الثاني، السيد صبحي:

> "أنا كنت اسمع من سيدي، يعني أبوي طلع كان لسا 9-10 سنين.. بيوعى بس مش كثير زي مثلا سيدي اللي طلع كبير، طلع فوق الخمسين... كان يحكي كيف كان وضعهم في البلاد يعني كان وضعهم كويس، عندهم ارض ويزرعوا ويوكلوا ويشربوا وعندهم غنم وعندهم بيارات زيتون بيارات برتقان وكل شي يعني كانوا عايشين بخير" (صبحي، 53 عام، مقابلة بتاريخ 2012/2/4).

وكذلك الحال بالنسبة للسيد كريم من عين كارم حيث يقول:[19]

> "بتذكر (شو كانوا يقولوا) أشياء مختلفة من الحياة العادية اليومية قبل النكبة، قبل ما يتركوا هناك. عن البيت عن الحديقة وكل الأشياء اللي كانوا يعملوها قبل، كانت ستي تحكي عن هاي الأشياء أكتر من ما كان تحكي عن الهجرة... العمل في الحقول (البيارات) وشو كانت تزرع... كل أنواع الزريعة، وشو كانت تعمل، كانت تروح تبيع أغراض بالقدس عشانها جمب عين كارم" (كريم، 28 عام، مقابلة بتاريخ 2012/11/10).

- **التنمية والتطور:**

أظهر عدد من المبحوثين نوعاً من الحسرة على ما كانت ستؤول إليه قراهم لولا ما حل بهم من مصاب عام 1948، فقد كان كل فرد من المبحوثين يرى أن قريته أو مدينته في تلك الفترة كانت هي الأفضل والأكثر تميزاً، ويشير إلى مدى التطور والتقدم فيها، فمنهم من تحدث عن بناء مدرسة جديدة لم يتسن للطلبة دخولها ومنهم من

[19] تم ترجمة أجزاء منهذه المقابلة من الانجليزية حيث كان المتحدث يتحدث بعض الكلمات العربية ثم ما يلبث ليكمل الفكرة بالانجليزية.

بنى بيتاً جديداً لم يحظ بفرصة السكن فيه وغير ذلك الكثير. ولم يقتصر هذا التوجه في تعظيم مكان الأصل على جيل دون آخر، بل ظهر الحديث عن مدى التقدم في القرى في كل جيل من الأجيال الثلاثة.

فمثلاً تحدثت الحاجة أم غنام عن قريتها الدوايمة قبل النكبة لتقول:

> "بتخيل...يعني شو بنت ست سنين، بس أنا ذاكرتي كويسة، أنا تعلمت قراية وعمري 60 سنة...، بلدنا كويسة وكبيرة... وباقي بدو يصير فيها بلدية وتصير اشي قبل ما نهاجر، بلدنا كل القرى اللي حوالينا.. إذنا، ودورا، وبيت جبرين، والقبيبة... هذول كلهم بقوا يجوا يتحوجوا من بلدنا" (أم غنام، 70 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/8).

ومن أبناء الجيل الثاني يقول السيد صابر عن قريته العباسية:

> "هي العباسية كانت مزدهرة قبل ما يطلعوا منها، كان إلها سوق يسموه سوق السبت ولا سوق الجمعة، وقريبة عاللد وكانت عدد سكانها تقريباً 15 ألف نسمة، كانت تعتبر كيف بنقول بالانجليزي Town لا هي قرية ولا هي مدينة، ... وما دمروش اشي فيها وسكّنوا اليهود" (صابر، 61 عام، 2012/4/16).

وحتى من أبناء الجيل الثالث، وإن كانت معلوماتها في هذا السياق مستمدة من كتب تاريخية وليس من روايات شفوية عائلية_ تحدثت لبنا عن قرية دير طريف قائلة:

> "يعني بقرأ كتير عن تاريخ القرية، بتتصدمي انه من قبل 48، كانت فيها مكتبة ستات ومدرسة ستات (سيدات) يعني أنا ستي .. تتحدث الانجليزية والتركية بطلاقة" (لبنا، 28 عام، مقابلة بتاريخ 2012/5/16).

ثانياً: سبب الخروج من القرية/ المدينة[20]

إن يوم الخروج من القرية/ المدينة بالنسبة للشعب الفلسطيني هو يوم كالحلم، تتسارع فيه الأحداث بوتيرة لم يكن يتخيلها شخص، ولأسباب لم يدركوها ولم يدركوا عقباتها، هو كحلم لم يصحوا منه حتى الآن، يعيشونه كل يوم عندما يستيقظون كل صباح ليجدوا بياراتهم وحقولهم ومحاصيلهم قد اختفت، عندما ينظر الرجل للمرآة ليرى

[20] تم تحديد نسب لأسباب الخروج من القرى والمدن الفلسطينية عام 1948 حسب كل من بني موريس وشريف كناعنة بحيث حصدت العمليات العسكرية الإسرائيلية نصيب الأسد بنسبة (70%) في حين توزعت النسب الباقية على اعتبارات محلية مختلفة وخوف عام (19%) وأوامر مؤسسات عربية رسمية وغير رسمية (5%) وحملات الهمس اليهودية/ النفسية (2%) وأوامر مباشر من الإسرائيليين بالرحيل (2%) وغير ذلك (القلقيلي 2004، 64).

عجوزاً قد ملأت التجاعيد وجهه وكفيه، بينما يذكر نفسه شاباً قوياً، ولا يذكر نفسه بين الشخصين (الشاب-العجوز).

"ما سبب الخروج من القرية عام 1948، هل كان هجوماً مباشراً أم بسبب ما سمع عن قرى أخرى أم ماذا"؟ هذا هو السؤال الذي تم توجيهه للمبحوثين، هو سؤال وُجِّه بشكل أخص لأبناء الجيل الأول كونهم هم من عايشوا ذلك اليوم بتفاصيله، وهم من يمكنهم تقديم الإجابات الأدق بالنسبة لهم، لكن أيضاً تم توجيهه لأبناء الجيلين الثاني والثالث لمعرفة ما نقله أبناء الجيل الأول لهم ولمعرفة سبب الخروج من منظور من لم يعش التجربة. إلا أنه وفي هذا القسم، سيكون التركيز على أبناء الجيل الأول بحيث يتم تفصيل إجابات المبحوثين حسب القرية/ المدينة، في حين يتم إيجاز ما يتعلق بالجيلين الثاني والثالث. مع الإشارة إلى أن الغاية من وراء هذا التقسيم واختيار مجموعة من القرى لتفصيلها في الجزء الخاص بالجيل الأول ما هو إلا لغايات عرض المعلومات والتفاصيل بطريقة سلسلة.

<u>**الجيل الأول:**</u>

- **بيت نبالا:**

كان عدد كبير ممن تمت مقابلتهم من الجيل الأول يعودون لأصول "نبالية" أي من **بيت نبالا** التي تم تدميرها بالكامل عام 1948، وعلى حسب قول أصحابها، لم يبق منها سوى المقبرة وقسم من المدرسة. فبعد أن استهدف القصف مدينة اللد وأجبر أهلها على مغادرتها، اقتربت نيران القصف إلى حدود القرية ما دفع آهليها إلى مغادرتها، وبالحديث عن أسباب مغادرة أهل القرية لبيوتهم وأراضيهم، تباينت وجهات نظر الجيل الأول من أهل القرية نفسها حول ما إذا كان هناك ضرورة للمغادرة في بادئ الأمر أم لا. فكثير من الذين تمت مقابلتهم أشاروا إلى أنهم غادروا بعد قصف مدينة اللد وليس عند قصف مباشر استهدفهم. فيقول الحاج أبو عوض أن البعض خرج مكرهاً وآخرون بإرادتهم، ويبرر خروجهم بعدم تمكنهم من الدفاع عن أنفسهم نظراً لقلة السلاح المتوفر بين أيديهم، فيقول:

"يابنتي احنا طلعنا من قلة السلاح، خفنا عالبنات... عالأولاد ... عالنسوان..إحنا طلعنا حبّي؟!! ما احنا مجردين..معناش سلاح نقاوم لا فوق ولا تحت" (أبو عوض، 89 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/21).

أما الحاج أبو إسماعيل فيرى الأمر بشكل مختلف، فبالرغم من أنه من ذات القرية وشهد ذات الأحداث، إلا أنه اعتبر أن خروج أهل القرية لم يكن مبرراً حيث قال غاضباً:

"بلدنا خص نص طلعت بطر من مرة... بطر ورئاء الناس زي ما بيقول القرآن..يعني بعد عشرين ثلاثين يوم تا دخلوا اليهود البلد... فش بدخلوهاش بالمرة... يعني لو ضلوا .. منطقة حرام ضلت بدخلوهاش..خوف وبطر..وكانت قضية دير ياسين... ضربت هالطيارة خافوا وطلعوا.." (أبو إسماعيل، 78 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/8).

وهذا ما ورد أيضاً في كلام أم عيسى والتي أكدت على أن خروج الناس كان خوفاً مما حدث في قرى أخرى، فتقول:

"بقوا طالعين أهل غربا ب 5/15 ..كفر عانا والساقية وهذول..والناس خافت من قصة دير ياسين ..يوم 8/1 أجوا طلعوا هالناس..قال صار طخ وصاروا اليهود ماخدين دير طريف..إحنا من الخط وشرقا وهم من الخط وغربا..طلعوا هالناس" (أم عيسى، 73 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/8).

أما أم سعد فلم تكن تذكر الكثير عن ذلك الوقت، إلا أنها قالت عن سبب خروجهم من القرية: "قالوا هيّمه أجوا اليهود أطلعوا..أنا ماشفتش.." والحاجة صبحية، وبالرغم من كبر سنها وكان عمرها 6 سنوات خلال أحداث نكبة 1948، إلا أنها كثيراً ما كانت إجابتها لا تعدو كلمة "ما بعرف"... فعند سؤالها لماذا خرج أهل بيت نبالا من القرية ردت بالقول:

"والله يا بنتي ما بعرف...ما بعرف ليش طلعوا..هم تقاتلوا ما تقاتلوا ولا شو صار...كنت صغيرة...كانوا يشحطوا فيي وأنا ماشي وراهم، بشحطوا فيي بين الشجر وماشيين..... وان جيتي لإمي وأبوي ما كانوا يخرفو.. الواحد يحكي الدغري...مش عارفة هم كانوا يخافوا يحكوا قدامنا ولا شو.." (أم سعد، 70 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/8).

- **عنابا:**

أبو مصطفى 86 عاما، وأبو زيد 73 عاماً هما لاجئان من قرية عنابا وهي قرية تبعد أقل من 3 كم شمال شرقي طريق القدس- يافا (الخالدي 1992، 239-240)، يستذكر كلاهما قريتهما المسلوبة بكل وضوح، فقد كانا واعيان تماما في تلك الفترة، فالحاج أبو مصطفى كان يبلغ من العمر 23 عاماً عندما تم تهجيرهم من عنابا، بينما كان أبو زيد طفلاً في التاسعة من عمره.

وعن يوم خروجهم ومسيرة التهجير التي مروا فيها، فبالرغم من أنهم من نفس القرية، إلا أن مسيرة خروجهم لم تكن نفسها، كما أن طريقة روايتهم لخروجهم من القرية كانت مختلفة. أبو مصطفى ظل يكرر على مدى مدة المقابلة كيف خرج الناس، تارة يتحدث بشكل عام عن أهل القرية وتارة يتحدث عن تجربته الشخصية، كما ذكر وعدد القرى التي انتقل إليها تعداداً دون بيان التسلسل... ففي البداية قال: "أني بقيت واعي .. طلعنا مشتتين.. اللي بيعرف ناس راح عندهم..وقعدوا الناس تحت الشجر"...

ثم يعود بعد ذلك ليستذكر تفاصيل خروجه من القرية ويقول:

> "هجموا علينا 3 مرات اليهود.. 3 مرات.....مش طلعنا ببلاش! .. لما هجموا علينا اليهود أول مرة ..طخ طخ ورجعوا اليهود.....ومرة بالنهار...رحنا عالبيدر....عندي حياة إمي تلفت بالطريق، يعني المسافة اللي مشيناها أبو كيلو بس... بس ضلوع... حملتها ورميتها ع ظهري وردينا رجعنا...والمرة الأخيرة صارت الناس تهرب...صاروا يضربوا وانقتل من بلدنا واحد ووحدة من يافا...... إحنا بدناش نهاجر، بديش أروح، كل الناس تهاجر وإحنا واقفين على هالحيط.. الناس رايحة جاية.. الطريق زي طريق النمل.... 17 بلد طلعن من بلدنا" (أبو مصطفى، 86 عام، 2012/11/27).

أما أبو زيد فيقول:

> "لما صار الــ48 الحرب المزبوط...أنا بتذكر كنت في عنابا.. طيارة أجت ضربت في عنابا.. ضربت عالبيادر اللي هي النوادر اللي كانوا يحطوا فيها الحصايد... البلد خافت.. أهل عنابا خافوا وكل القرية خافت وطلعت وين؟ عالجبل طشت كلها... فباتوا هذيك الليلة هناك.. بنفس الليلة إسرائيل هاجمت عنابا..إحنا كنا

حوالي الساعة 10-12 بالليل[21]...بتذكر في عنا ختيار حج.. كانوا المقاومين بعد الساعة 12 انسحبوا لأنه إسرائيل دخلت عنابا... طلعوا المقاومين شاردين مشرقين عالبرية، سألهم شو في؟ قالوا البلد انتهت خلص سقطت" (أبو زيد 73 عام، 2012/3/21).

- **الدوايمة:**

احتلت الكتيبة 89 التابعة للواء الثامن قرية الدوايمة بتاريخ 29/28 أكتوبر 1948 (بابيه 2007، 223)، وعند الحديث عن قرية الدوايمة والخروج منها، لا بد أولاً من الإشارة إلى أنه وبالرغم من أن مجزرة دير ياسين كانت الأشهر على الإطلاق من بين المجازر التي ارتكبتها العصابات الصهيونية بحق الشعب الفلسطيني عام 1948، إلا أن قرية الدوايمة شهدت مجازر توازي في بشاعتها مجزرة دير ياسين وغيرها.[22] وحول هذه المجازر يتحدث مهجرو الدوايمة عن أعداد كبيرة من القتلى ممن جمعتهم عصابات اليهود وقتلتهم وممن قامت الدبابات الإسرائيلية بملاحقتهم بعد فرارهم لتقتلهم بشكل جماعي. يروي الحاج أبو غانم ما يذكره عن هذه المجازر بقوله:

"في نفس اليوم اللي استلموا فيه البلد، شردت الناس على منطقة فيها مغارة... تخبوا في هالمغارة وتآووا فيها حوالي 150 واحد وأكثر... المهم أجوا اليهود ذبحوهم ذبحة وحدة. واللي لموه من البلد واللي لاقوه موجود في الدار لموهم صفوهم في البيادر ورشوهم...أول فوج وثاني فوج وثالث فوج، معاهم شيخ الجامع ظل واقف، كل صف يصفوه معهم يطخوهم وهو يظل واقف..... هذي اسمها مذبحة الدوايمة... غير اللي مسكوهم في البلد، وبقت بلدنا مليانة غربية كمان.. من اللي هاجر من غربا أجوا التجئوا عنا...اللي شرد شرد ..واللي الله سبحانه وتعالى قضى نحبه" (أبو غانم، 75 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/21).

ومن ناحيتها ذكرت الحاجة أم غنام هذه المجزرة باسم "طور الزاغ"[23] أو "عراق الزاغ" حيث قالت:

"طلعوهم ولحقوهم في طور الزاغ...لحقوهم اليهود بالدبابات...بقوا طالعين وشاردين قبل ما يجوا اليهود...لحقوهم وقتلوهم...ابن عمتي أجت رصاصة

---

[21] يقول وليد الخالدي في كتابه كي لا ننسى أن سكان عنابا نفذت ذخيرتهم بعد أن هوجموا عدة مرات وغادروا القرية بعيد الساعة الواحدة ليلاً باتجاه المفر الوحيد الذي تركه الجنود الإسرائيليون تجاه الشمال الشرقي (الخالدي 1992، 240).

[22] هناك مصادر كثيرة تحدثت عن مجزرة الدوايمة مثلاً: كتاب كي لا ننسى، وليد الخالدي ص158، جرح النكبة ص115، إيلان بابيه، التطهير العرقي في فلسطين ص223 الذي اعتبر أن "ما جرى لها ربما كان أسوأ ما حدث في تاريخ الأعمال الوحشية التي ارتكبت خلال النكبة"

[23] أشارت بعض المصادر إلى مجزرة الدوايمة باسم (عراق الزاغ) وهواسم كان يطلق على مغارة قريبة شرقي القرية اختبأت فيها مجموعة من العائلات والتي لاحقتها القوات الإسرائيلية واطلقوا عليهم النار بشكل جماعي. (أبو جابر 2007، 118)

بعينو... والبنت مريم مصارش فيها اشي.. مرة أبوها من حلاوة الروح غطت عليها...هاللي طاح بين الموات وهم يطخوا والموات فوقو ضلوا طيبين" (أم غنام، 70 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/8).

وعن يوم الخروج تمنت الحاجة أم غنام لو أنهم لم يخرجوا معتبرة أن الموت أفضل مما حل بهم، وتقول:

"أجوا اليهود من بيت جبرين ودخلوا عَ بلدنا.... طلعوا الناس يجروا.... ولو يا ريت الناس ظلوا ونصهم مات ونصهم طاب أفضل من ما طلعوا من بلادهم، يعني لو مات النص أحيا البلد" (أم غنام، 70 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/8).

وهكذا، يظهر أن أهالي قرية الدوايمة خرجوا منها نتيجة للهجوم المباشر على القرية وليس بناءً على خوف مما حل بغيرهم من القرى، بل حتى أنهم خرجوا من القرية بعدما شهدوا مجازر عنيفة وتركوا وراءهم الجثث.

- **المغار:**

تقع قرية المغار على أراضي ثلاث تلال في السهل الساحلي الأوسط قرب الرملة، وكانت غنية بالأراضي الزراعية الخصبة والمياه الجوفية العذبة (وليد الخالدي 1997، 257-260). ومن مهجري قرية المغار قابلت الحاج أبو حامد، والذي أشار إلى أنه وعائلته غادروا قبيل احتلال القرية من قبل الإسرائيليين ولكنه روى ما تم تداوله بين أهالي القرية ومن خرجوا منها حينها بقوله:

"أجوا إحنا ع بلدنا تقريباً بيوم 1948/5/10[24]... هاجموا البلد والهجوم كان عليها من محورين، من الشمال ومن الجنوب... شو الحجة اللي عند اليهود اللي كانوا يعملوها حتى يرعبوا الناس؟ ..العرض... موت موت..أنا بهمنيش أموت بس عرضي ما ينصابش، واليهود عندهم هذه إباحة فش عندهم أي مانع لكن لما أنا أشوف بنتي أو أختي بتنتهك... بتحملش" (أبو حامد، 78 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/25).

- **بيت ثول:**

تقع قرية بيت ثول على بعد كيلومترين إلى الشمال من الطريق العام الممتد بين القدس ويافا (الخالدي مرجع سابق، 594-596). وأكدت أم حسين (70 عاماً)، من مهجري بيت ثول، على أنه وبعد خروجهم من القرية بيوم واحد تم

[24] هوجمت القرية اكثر من مرة ويمكن اعتبار هذا التاريخ غير دقيق تماما، فحسب المصادر هناك حديث عن هجوم بتاريخ 1948/2/10 وآخر في 1948/3/29 ليأتي الاجتياح الذي قامت به قوات تابعة للهاغاناة بتاريخ 1948/6/10. (الخالدي 1997، 258-259)

دخولها من قبل اليهود لينسفوا البيوت التي كان من بينها بيت عمها. ثم تحدثت عن سبب الخروج من القرية بالقول أن أهالي القرية أصيبوا بالخوف على بناتهم وعرضهم وحياتهم خصوصاً بعد ان وصلتهم أخبار دير ياسين التي حدثت قبل أسبوع من خروجهم. لكنها أكدت كما فعل الكثيرون من اللاجئين قبلها ممن تمت مقابلتهم سواء في هذه الدراسة أو غيرها، على أنهم خرجوا متيقنين أن خروجهم لا يعدو كونه مؤقتاً لأيام معدودة سيعودون بعدها إلى أراضيهم وبيوتهم، وهو ما بينته عندما ذكرت ووصفت ردة فعل والدها عندما رفض طلب أمها السماح لها بحمل بعض الحاجيات من البيت قبل الخروج مؤكداً على أنهم سيعودون قريباً، وتذكر أم حسين كلمات والدها عندما قال "هذول ولاد الميتة هم بدهم يقدروا علينا ولا يوخذوا منا إشي؟!" وهنا علقت أم حسين بنبره سخرية ممزوجة بالحسرة: "بفكر حاله قوي هوته والعروبة تبعونه"!!!

- **يافا:**

تروي الحاجة أم منير قصتها مع ذكر أدق التفاصيل، فهي تذكر تسلسل الأحداث بدقة وتشير إلى أسماء وأعداد بدت واثقة منها، كانت تذكر حتى الحوار الذي كان يدور بين أفراد العائلة في ذلك الحين. بدأت روايتها باستذكار حادثة استشهاد والدها: "أبوي قتلوه... ذبحوه في البيارة... إحنا طلعنا ورجعوا يجيبوه لاقوه مذبوح بالبيت... كنا مرميين في الرمال في الصحرا خوف من اليهود". ثم تعود بالزمن لتروي لي تفاصيل تجربتها قائلة:

> "كنا بيافا ساكنين، أبوي كان تاجر بين مصر وفلسطين.... أخوي الكبير تسلح، خاف عليه راح ناقل التجارة تاعتو ونقلنا على بيارة في يبنا، بين يبنا والقبيبة وزبوقة وهدولة..منطقة هيك عند محطة الترين (القطار)... بيادر أبوي 77 دونم.... طلعنا فضِلنا في البيارة... في السنة هاي قويو اليهود وسلموهم البلد...كان في نخلة ع باب البيارة، السجرة بحالها انحرقت.... رحنا انتقلنا لبيارة صاحب والدي.... عشان بعيدة عن التطرف ما احنا جنب مستعمرة اسمها ديراون- كبانية ديراون... فيوم كنا قاعدين هيك أجى زي رش المطر رصاص.... والدي كان شوية مريض.. فقال أنا بروح اقعد تحت البركة وانتو اطلعوا تحت السجر، عشان ما ينزلش عليكم"[25] (أم منير، 72 عام، مقابلة بتاريخ 2012/2/12).

---

[25] أشارت الحاجة أم منير في حديثها عن سبب الخروج إلى الأثر الكبير الذي لعبه "الجواسيس" في المساعدة على خروج الناس من قراهم وبيوتهم ليتوجهوا نحو المجهول، وهذا ما سأتطرق له لاحقاً في الجزء الخاص بالمسؤولية في الفصل الرابع.

الجيلان الثاني والثالث:

بالانتقال للحديث عن أبناء **الجيل الثاني**، فقد كان من الطبيعي أن يستخدموا ضمير الغائب عند الحديث عن يوم الخروج من القرية والسبب في ذلك، فكانوا دوماً يستخدمون كلمات مثل (طلعوا، سمعوا، خافوا...)، مثل يسرى التي قالت أنهم خرجوا "من الحرب اللي كانت، لأنهم شافوا الناس قدامهم بطلعوا طلعوا".

وتحدثت السيدة ملكة عن يوم الخروج مستخدمة الكلمات التالية:

> "والله حسب ما إمي خرفتنا .. صاروا الناس اللي من اللد من يافا والقرى المجاورة الهم صاروا يجوا عالقرى القريبة... يحكوا كثير شغلات.. أجوا الناس هاربة من اليهود عأساس انهم عملوا كثير شغلات مثلاً اغتصبوا النساء وقتلوا الأطفال وقتلوا الناس في الجوامع... طلعوا هالناس عأساس خوف من المذابح اللي سمعوا عنها، خوف من اغتصاب النساء خوف من هدم الدور خوف من اعتقال الشباب (ملكة، 63 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/16).

وكذلك الأمر بالنسبة للسيد لطفي الذي أشار إلى جهل و"سذاجة" من خرجوا حينها معتبراً انهم تعرضوا للخداع من قبل الجيوش العربية، حيث قال:

> "والله ضحكوا عليهم وهزموهم، اللي هم جيشين غير إسرائيل، الأردن والعراقية... قالولهم بدنا نحمي البلد اطلعوا وسلموا البلد وطلعوهم وأجوا اليهود... الأسباب انهم طلعوا بيت نبالا ودير طريف والطيرة وكوليا ... هدول طلعوا بطلب من الجيش الاردني والجيش العراقي" (لطفي، 63 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/16).

وبالنسبة للسيد صبحي، فقد أجاب بشكل عام جداً، حيث تحدث عن التجربة الفلسطينية ككل وليس عن قريته أو عائلته فحسب وقال:

> "اليهود لما عبروا عالبلاد كانوا يقتلوا بكل بلد ويعملوا مجزرة وكانت الناس تهرب... كان في من الختيارية والشباب يدافعوا عالبلاد طبعاً بس بعرفوش للسلاح، كانوا ضعاف يعني يحمل البندقية ما يعرفش يطخ فيها والدول العربية كانت تعطيهم قنابل صوت، يعني مجرد صوت، والناس طبعاً صارت اللي خاف ع ولادو واللي واللي... طلعوا وهاجروا" (صبحي، 53 عام، مقابلة بتاريخ 2012/2/4).

أما السيد كمال فقد كان الوحيد من أبناء الجيل الثاني (كونه الأقرب لأبناء الجيل الأول) الذي تحدث خلال المقابلة باستخدام صيغة المتكلم وكأنه كان معهم في تلك الفترة، وعلى عكس الكثيرين ممن اعتبروا أن الختيارية هم من

شجعوا الخروج، حاول من خلال حديثه تحميل الشباب في ذلك الوقت وزر الموافقة على الخروج وترك القرية، فقال:

> "والله إحنا حسب الحديث والخراف حسب الكبار قالوا انه تطلعوش يا جماعة تطلعوش، يا بشر بدناش نطلع فمردوش عليهم الشباب الأصغر منهم .. أجوا اليهود والكيان الإسرائيلي ضربوا هالاكم من طلقة في الهوا قالوا قتلونا... سحبوا حالهم وطالعين" (كمال، 67 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/21).

وبالنسبة لأبناء **الجيل الثالث** فقد انقسمت إجاباتهم حول مسألة سبب الخروج، فهناك من هو ملّم بتفاصيل ما حدث بناءً على ما سمعه من الأجيال السابقة، كالسيد حسن الذي تحدث عن تجربة أهالي قريته سمسم قائلاً:

> "يعني الروايات اللي دايماً سمعتها من جدي ومن أبي أنه المنطقة اللي كانوا هم ساكنين فيها لا تبعد كثير عن بعض القرى الأساسية اللي تم فيها غارات إسرائيلية مباشرة وقتل مباشر منها بربرا والفالوجة ودمرة، كلها القرى هاي عانت من الإسرائيليين، فكان هروبهم بالأساس هروب وقتي ولحظي، يمكن كلمة هروب محاولة للدفاع ولإيجاد حماية لأولادهم ولعائلاتهم لفترة قصيرة فتوجهوا إلى غزة، ... بالأساس خوف مما حدث بالقرى الأخرى وإشاعات كثيرة وأشياء على المذياع اللي كانت بتقول اطلعوا احموا حالكم لفترة صغيرة عبين ما ترجعوا، وبالتالي كان في مزاج جماعي انه خلينا نترك لنحمي أولادنا ونساءنا وشرفنا وعرضنا.. إلى أن نعود ويجب أن نترك إلى أقرب مكان اللي نقدر نرجع بعد بساعات" (حسن، 39 عام، مقابلة بتاريخ 2012/9/27).

وفي المقابل كان هناك من لم يقدم أية تفاصيل كما حدث خلال مقابلة سيرين التي قالت "ستي يوم تهجرت كان عمرها 11 سنة بس ما كنتش تتذكر اشي".

ثالثاً: المسار الطويل[26]

الشكل (1): جانب من موجات لجوء النساء والأطفال الفلسطينيين عام 1948 خلال مسيرة لجوءهم من قراهم إلى؟! http://www.ihh.org.tr/15-mayis-nakba-buyuk-felaket/ar

حسبما جاء في القسم السابق من هذا الفصل، تعددت الأسباب التي أدت إلى خروج السكان الأصليين للقرى والمدن الفلسطينية عام 1948 وتهجيرهم، فمنهم من تعرض لهجوم مباشر أو خاف مما سمع عن جرائم اقترفت في قرى ومدن مجاورة أو غير ذلك، إلا أن طريق وطريقة اللجوء والشتات تشابهت لدى معظم المبحوثين، فكانت فئة قليلة ممن تمت مقابلتهم هي التي مرت برحلة لجوء قصيرة، أي أنهم انتقلوا مباشرة من قريتهم إلى المخيم أو إلى القرية/ المدينة التي يقيمون بها حالياً، و حتى من مر بقرية أو اثنتين خلال تلك الرحلة قد تعتبر رحلته قصيرة وبسيطة مقارنة بغيره ممن تعددت محطات توقفهم خلال رحلة شتاتهم قبل أن يتمكنوا أخيراً من الاستقرار في مكان واحد.

لا أعلم إذا كان من الممكن أن نقول أن بعض العائلات كانت "أوفر حظاً" من غيرها في هذا السياق، أم أن الرحلة في الحقيقة كانت أطول لكن بدأت تفاصيلها تتلاشى مع انتقالها عبر الأجيال، فمعظم من تحدثوا عن رحلات شتات قصيرة كانوا من الجيلين الثاني والثالث، فمثلاً يقول السيد حسن أن عائلته انتقلت مباشرة من قريتهم سمسم باتجاه

[26] ورد في كتاب أمكنة صغيرة وقضايا كبيرة إشارة "إلى استمرار العائلات في الانتقال من مكان إلى آخر في العام الأول وعلى مدار أعوام كثيرة لاحقة بحثاً عن المأوى والأمان والرزق، ولم تتوفر المخيمات بشكل ثابت إلا بعد فترة تزيد على العام. وفي تلك الأثناء اتجهت العائلات إلى الأقارب أو إلى جيران سابقين في القرى". (أبو دحو وآخرون 2010، 50)

الجنوب مباشرة ليستقروا في رفح/غزة. وحتى اليوم ما زالت عائلة رائدة في دورا القرع التي جاءوا إليها مباشرة بعد أن خرجوا من بيت دجن، أما عائلة السيد كمال فخرجوا من بيت نبالا نحو قرية تدعى كوبر التي أقاموا فيها عدة سنوات قبل أن ينتقلوا ليستقروا أخيراً في مخيم الجلزون. لكن هذا "الحظ" لم يكن حليف الكثيرين غيرهم، فيتحدث معظم أبناء الجيل الأول عن رحلة شتات اتسمت بأنها طويلة ومؤلمة.

فمثلاً، بعد خروجه من بيت نبالا، انتقل الحج أبو عوض (89 عام) وأسرته باتجاه قرية شقبة، ثم انتقل إلى عين الزرقا فقرية بيتلو ثم أبو قش وأريحا ودورا..حتى انتهى به الأمر مقيماً في مخيم الجلزون. وعند سؤاله عن سبب كثرة تنقله من مكان لآخر أجاب: "بدنا نرتاح بمطرح... بدنا نعيش... يعني أهل القرى شو بدهم يستقبلوا ... ما إحنا قدهم خمسين دور".

ومع طول وصعوبة الرحلة، طالت المقابلة مع السيد أبو صالح من قرية خبيزة، والذي تحدث عن المعاناة التي عاشها في رحلة اللجوء مع أنه لم يجرب معاناة حياة المخيم... فما بالنا بمعاناة من سكنوا المخيمات!!!. تحدث عن مسيرة خروجهم من القرية وتهجيرهم بعد ما اعتبره نوع من الخداع للسكان من قبل الجيوش العربية ليتم تسليم البلاد قائلاً:

> "كان هناك قرار جماعي بالخروج من القرية على أمل العودة كما وعدت قوات الجامعة العربية، وكان الجيش العراقي في تلك المنطقة... قال اخرجوا لأسبوع ثم تعودون لبيوتكم ومنازلكم ..... وإحنا لما خرجنا من خبيزة جينا على أم الفحم حتى سلمت عام 1949.... قعدنا سنة ثم خرجنا مرة ثانية...الخروج كان قرار جماعي يعني الكل خرج... يعني أنا أذكر انه حملوا الدواب والخيل والحمير أجلك الله وخرجوا باتجاه أم الفحم مروراً بقرية اسمها معاوية موجودة للآن في طريق قريبة من خبيزة" (أبو صالح، 72 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/21).

وكثيراً ما كان الحاج أبو صالح يتوقف خلال إجاباته ليروي مواقف يذكرها فتحدث عن ما رآه من دموع وبكاء من أمه عندما وصلوا أم الفحم، حيث وقفت على سطح بيت ونظرت باتجاه القرية واليهود يقصفوها ويهدموها، كما أود أن أذكر قصة ذكرها بأسلوب السخرية وهو يضحك عندما أخبرني عن "فرس" لهم هربت منهم وهم في طريقهم إلى أم الفحم وعادت إلى خبيزة معلقاً أنها "تفهم أحسن من أهل القرية"، وعما حل بهم بعد قرية أم الفحم يقول:

> وبعد أم الفحم..آآآه هاي قصة طويلة!!! إحنا جينا على عرّابة جنين.... ثم إلى الشونة الجنوبية ثم الرمثا.. على أساس أنه إلي خال موجود في سوريا من احد قادة الثورة الفلسطينية، وهذا كان محكوم بالإعدام عند الإنجليز وخرج من البلاد قبل 1948... بعث لنا انه الأوضاع هناك جيدة.... فخرجنا بطريقنا لسوريا... لكن تم منعنا ولم ننجح في الذهاب لسوريا فعدنا أدراجنا لبلد اسمها طوباس.... وعن الاستقرار من الرحلات المتواصلة .. أنا لما بدي أحصي... بحصي إني سكنت ب 19 بلد وفي 54 بيت قبل أن أستقر عام 1986 في عين سينيا...وما سكنت في مخيم" (أبو صالح، 72 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/21).

وكنت أتمنى أن أتمكن من وضع كامل تفاصيل رحلة الحاجة أم كرم التي تذكر رحلة لجوءها وتهجيرها من قريتها "عين كارم" بأدق تفاصيلها، فقد كانت المحطة الأولى بعد خروجها وأسرتها من عين كارم هي في منطقة قريبة تسمى "عين الخندق" وبقيوا فيها حتى احتلال صوبا المجاورة وبدأوا يشعرون بتهديد اقتراب اليهود، فغادر الجميع ورحلوا إلا قليل وهم منهم، حتى قرروا الرحيل ليلاً، وهنا كانت أصعب مراحل هجرتها برأيي وهي تروي كيف كانت تتألم خلال الرحلة خصوصاً أنها كانت تقطع مسافات مضاعفة:

> "صغير كان كرم، أحمل وأحط على راسي ونرحل أمشي زي هون ورام الله وأحط وأرجع أوخذ كرم... في الشوب أحطه تحت الدالية... أحط راسه تحت الدالية أحسن الشمس تيجي عليه وأروح....أحط الحمل اللي عراسي وارجع أوخذ كرم....أحط كرم مطرح ما أحطه وأحط الحمل على راسي وأروح اوديه...ضلينا لليل... اجريا بطلت اقدر أدعس عالأرض.. لا لابس ولا حافي... يوجعوني رجليي أقول مش قادر امشي" (أم كرم، 80 عام، مقابلة بتاريخ 2012/1/20).

ومشابهة هي تلك الرحلة التي مرت بها عائلة أم منير من مصر التي حاولت أن تروي تفاصيل تلك الرحلة بعد أن خرجوا من بيتهم لبيارات بعيدة اعتبروا أنها أكثر أمناً إلا أنهم تعرضوا للقصف وقد قامت العصابات الصهيونية بذبح والدها.. قائلة:

> مشينا 8 ساعات ما بين منطقة يبنا ومنطقة اسمها هربيان... لما وصلنا هناك في مدرسة لاقينا هناك في ناس عائلات كلها متكومة بالمدرسة.. قعدنا يومين والتالت اجى واحد بعرف والدي أخدنا ودانا على المجدل عندو وقعدنا حوالي 6 أشهر، كان اخوي الكبير راح ع الخليل،... أما أجى أخوي بدو يجي كانت المجدل احتلت... برضو نففس الشي قعدنا 7 أيام تحت الكروم... كل البلد مش بس إحنا..

طلعنا من المجدل على غزة من غير اخوي الكبير ضل بالخليل ما نعرف عنو اشي...قعدنا بخان يونس بس كانت عيشة مرة... بالوقت هدا صارت الطيارات تضرب على خان يونس... حاولنا نطلع على مصر... كانوا اللي الو معرفة بمصر يبعتولو تصريح ياخدو عالشخص 15 ليرة.. ب 1500 جنيه... أختي الكبيرة قالت إن شاالله نبيع كل ما نملك من دهب وبنعمل تصاريح.. وطلعنا وجابونا على مصر آخر سنة 1948. .... و**الشحططة هذي كلها أقل من سنة**" (أم منير، 72 عام، مقابلة بتاريخ 2012/2/12).

وفي حين اتسمت معظم رحلات الشتات بكونها جماعية بحيث ضمت غالباً جميع أبناء القرية الواحدة وأحياناً عدة قرى مجتمعة كما يذكر أبو مصطفى الذي قال أن "17 بلد طلعوا مع بلدنا"، كان هناك بعض الرحلات الفردية التي تضاعف صعوبة وقساوة الموقف، فبعد خروجه مع أهل قريته من المغار قضاء الرملة متنقلين من قرية لقرية عبر عجور وبيت جبرين والمجدل ثم إلى غزة، قامت ابنة الحاج أبو حامد بتذكيره ليروي عن رحلته التي خاضها وحده بعمر 14 عاماً من غزة إلى الخليل فيقول:

"أنا جيت من قطاع غزة للضفة الغربية ..أنا كنت 14-15 سنة، إجيت سفر ليلتين مشي من قطاع غزة للظاهرية مشي، يعني إنسان ابن 14 سنة يمشي ليلتين بين هالجبال، روّحت رجليي...رحت تحكمت ولحد الآن الألم عندي برجليي من هديك الأيام" (أبو حامد، 78 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/25).

وسأختم هذا القسم بالتأكيد على أنه وبالرغم من عظم المأساة وألم المصاب الذي حل بالشعب الفلسطيني، فإن رحلتهم لم تخل من طرق الترفيه عن النفس بما يتناسب مع ظروفهم في ذلك الوقت، وهذا ما يظهر في ما قالته الحاجة أم عيسى (73 عام) عندما سألتها عن رحلة خروجها حيث بدأت تغني لي ما كن "الصبايا" اللاجئات يغنين خلال الرحلة وخلال بحثهم عن الأكل والماء مثل:

قال اللاجي: يمّا يا بابيي .. ياما تنقلنا ع عيون الميي... قال اللاجي: يمّا يا راسي .. ياما تنقلنا في بلاد الناسي...

رابعاً: زيارة القرية/ المدينة بعد الخروج

الشكل (2): صورة لقرية صفورية قبل النكبة وأخرى حديثة بعد إخفاء معالمها العربية من قبل إسرائيل... http://adalahny.org

يظهر في الشكل مقارنة بين صورتين التقطتا لقرية صفورية التي هجر أهلها عام 1948 واستولى عليها الإسرائيليون، بحيث سجلت الصورة الأولى على أنها أخذت عام 1930 أي قبل النكبة وتظهر فيها بيوت الفلسطينيين الذين كانوا يقطنونها في ذلك الحين، في حين تختفي معظم- إن لم تكن كل- هذه المنازل في الصورة الثانية التي سجلت على أنها في عام 2006، فالأشجار الحرجية الخضراء قد احتلت مكان المنازل التي تم تدميرها وهدمها ماعدا واحد أو اثنين يظهران في طرف الصورة.

يمكن القياس على هذه الصورة عند الحديث عن القرى الفلسطينية المهجرة الأخرى، حيث يظهر من كلام أهالي القرى المهجرة وصف لذات الظروف والتغييرات التي ظهرت في الصورة المذكورة. فمن خلال المقابلات التي أجريتها مع المبحوثين في هذا البحث، تبين أن عدداً كبيراً منهم قام فعلياً بزيارة القرية التي هجر منها مراراً وتكراراً وبالأخص أبناء الجيل الأول، حتى أن أبناء الجيل الثاني تمكن معظمهم من ذلك، في حين كان الجيل الثالث هم الأقل حظاً في التمكن من دخول تلك القرى والمدن الفلسطينية المهجرة التي أخرجوا وأجدادهم منها. ولا بد هنا من الإشارة إلى أهمية القيام بمثل هذه الزيارات بالنسبة لجميع الأجيال، وأود هنا أن أنقل كلمات امرأة

فلسطينية على قناة الجزيرة، وهي لاجئة خارج فلسطين، والتي قالت: "زيارتي فلسطين مكنتني من أن أشاهد ما لم يستطع أجدادي أن يصفوه لي بصورة مفصلة."[27] وفيما يلي بيان لتجارب المبحوثين في هذا السياق.

الجيل الأول:

تميز أبناء الجيل الأول بأنهم تمكنوا جميعاً من العودة لزيارة قراهم حيث أنني لم أقابل أي منهم ممن لم تتسن له فرصة العودة لزيارة ودخول قريته ومكان سكن عائلته قبل التهجير، سواء كان ذلك بعد النكبة مباشرة أم بعد سنوات عديدة منها، ما عدا السيد أبو صالح الذي منع من دخول قريته خبيزة عندما حاول ذلك بحجة أنها أصبحت منطقة عسكرية مغلقة. أي أنه ومن أصل 18 شخص من الجيل الأول تمكن 17 منهم من التوجه إلى قراهم ليقارنوا وضعها بعد أن هجروا منها بما كان عليه الوضع قبل خروجهم.

يذكر الحاج أبو غانم أن أخوته تمكنوا من العودة إلى القرية مباشرة بعد سيطرة اليهود عليها، في وقت كان من يذهب للقرية لا يعود إذ كان يتم قتله من قبل العصابات اليهودية، لكنهم وعلى حد قوله "ما لقيوش في البلد ولا إشي". وحالها كحال جميع من قابلتهم من أبناء الجيل الأول، أكدت الحاجة أم غانم أيضاً أنها تمكنت من العودة لزيارة قريتها عدة مرات منذ النكبة، وتصف الحاجة أم غانم زيارتها للقرية بعد حرب الستة أيام قائلة:

> "رحنا ع بلدنا بعد ما طلعنا... رحت يجي خمس مرات عالدوايمة، دارنا متزكرها، بس الدوايمة زي ما تقولي ساحة واحدة، مهدومة فش فيها إلا هالدور بجناب البلد من برا، يعني مردمات وزي ما هم بطراف البلد، أما جوا البلد لا" (أم غنام، 70 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/8).

وغالباً ما أظهر أبناء الجيل الأول فخراً بكونهم يعلمون التفاصيل الدقيقة للقرية، حيث أنهم يميزونها ويعرفون طريقها رغم كل التغيرات التي تم إجرائها من قبل الإسرائيليين، فبالرغم من مرور كل تلك السنوات، كانوا يؤكدون على قدرتهم على تحديد القرية والتعريف بها وبكل القرى المحيطة. ويروي الحاج أبو حامد تفاصيل تجربته بزيارة قريته "المغار" قائلاً:

> "في ال87 فكرنا برحلة قلتلهم بشرط نروح عالبلد، جبنا هالباص وطلعنا وظل الشوفير يحكي قلتلو احكي بس لتوصل عند بلد اسمها قطرة اسكت هذي بلدي، قطرة والمغار 2 كيلو بعاد عن بعض... قلتلهم هذا مركز قطرة مركز البوليس تبع

---

[27] مقطع بثته قناة الجزيرة الفضائية بتاريخ 2012/9/28

الجيش البريطاني، وفيها عائلات كذا وكذا وسميتلهم إياهم، المهم دخلت البلد... أنا كان عمري 14 سنة لكن ما كنتش اقعد.. اعرف البلد بالشبر، البلد والحمد لله رب العالمين فش فيها بيت واقف، حتى الحجار فش منهم، حجار الدور، كان في تحت البلد سيل ووادي هذا كان مطموم لأن حجار البلد رموها فيه، إلا غرفة واحدة اللي هي كانت مدرسة، حاطين فيها عدة للعمال، حتى اللوح اللي كان لحد الآن مكتوب عليه... قريتنا دمرت نهائياً لأنه قبل بفترة واحد مر علينا قتلوه اليهود فانتقاماً لهاد نسفوا دبابة فيها 15 إنسان انحرقت باللي فيها فلما دخلوا كانوا مغللين يعني مين ما مسكوا بدهم يذبحوه فش فايدة، ودمروا البلد نهائياً....لكن القرى العربية اللي بدك تعرفيها بفلسطيني إجمالاً إذا بتشوفي صبر قولي هان كان بلد عربية والقرى اللي فش فيها صبر راحت بالمرة"[28] (أبو حامد، 78 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/25).

وكان هذا أيضاً مدعاة فخر الحاج أبو إسماعيل الذي أظهر تباهياً عندما ذكر تمكنه من معرفة تفاصيل قريته بيت نبالا في حين لم يتمكن من هم من الجيل الأول من القيام بذلك بعد هدمها وإخفاء معالم المنازل التي كانت فيها، ويقول:

"رحنا زيارة... بتعرفيهاش، غير المقبرة وشوية صبر، ومدرسة للصغار، بنينا مدرسة الشباب وبنينا مدرسة البنات ما استعملنهاش وطلعنا قبل ما نستعملها، المدرسة هناك بالشرق هدوها، الشجر هناك دياتي هذول زرعوها، كلها حافظها زي ما أني حافظ هون... من 67 عبرنا بالبلد، ختيارية وأنا جاهل صغير ... واحد عمرو 70 سنة ما عرف داره قلتلو تعال اوريك وين داركو...بعد مدة بسيطة معرفوش وين دارهم" (أبو إسماعيل، 78 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/8).

وذات الأمر ظهر في مقابلة الحاج أبو نادي من الساقية:

"مرة وحدة بقيت بدي أخش البلد بعد 67، قلتلهم أنا بدي أروح عبلدنا عالساكية، ازا إحنا مرينا من الخط هذا وأنا بدلكم عالطريق، مغيرين اليهود وعاملين جسر مرقنا من تحت الجسر ورحنا عالبلد وفرينا فيها، فيها يهود ومغاربة أعطل من اليهود، ماروكيين، شافوا الباص صاروا يرجموا علينا حجار وطوب ويصيحوا اطلعوا من هان... قلنا احنا كنا عايشين هان وبدنا نلف في البلد ونطلع وطلعنا وشفت بلدي والقرى اللي جمبها، بعرفهم كلهم، بعرفها يافا بالنتفة بالشارع" (أبو نادي، 72 عام، مقابلة بتاريخ 2012/11/27).

---

[28] تعتبر جذور نبات الصبار من أكثر الجذور انتشارة وقوة حيث أنها تعاود النمو بعد قطعها ، وكان الفلاحون الفلسطينيون يستخدمون نبات الصبار في تعيين حدود أراضيهم، لذا يشير بعض اللاجئين إلى أن المكان الذي يتواجد فيه الصبار هو مكان تواجد فيه الفلسطينيون في الماضي.

وكما ظهر في حديث الحاج أبو نادي، كان هو وأبناء قريته من الأشخاص الذين عادوا ليجدوا بيوتهم مأهولة بسكان من اليهود، وهو أيضاً ما وجدته الحاجة أم منير عندما جاءت من مصر إلى فلسطين لتزور مدينتها يافا وتدخل بيارة والدها ومنزلها الذي خرجت منه طفلة صغيرة، لتجد رجلاً غير والدها يعمل في الأرض، وامرأة غير والدتها تتنقل بين المحاصيل، وتصف زيارتها قائلة:

"رحنا بالـــ91 أنا وجوزي واخوي والعيلة زرنا البيارة لاقينا واحد هولندي من هولندا – يهودي، مراتو قاعدة عالمحراث بقوللو انت واخد البارة هذي إزاي؟ اخوي يا حرام بدو يشوف المعالم تاعتها ويروح من هين لهين، واليهودي بيقول لجوز أختي ..هذول أصحاب الأرض بس انت لا... وأنا لاقيت علبة سجاير عبيت فيها رمل بيقولي ليش هدا؟ قلتلو هذا دم أبوي بدي أضل أشم فيه وأخذو زكرى من دار أبوي، وهو صفن، قالي أنا مأجرها من الحكومة 99 سنة، طبعاً كل هذا ابن اختي يترجم لانه هو بيعرفش عربي وأنا بعرفش عبري، بقول لابن اختي قلو إن شاالله ما بيوعى هو وولادو يقعدوا فيها... إلا هو بيحكيلي ليـــــــــــــه؟؟؟ قلتلو هلأ نطقت عربي... يعني بيفهمو عليكي لذلك بتمنى كل شاب أو شابة يتعلموا لغة عدوهم لأنه ممكن يطحنك وانتي مش عارفة" (أم منير، 72 عام، مقابلة بتاريخ 2012/2/12).

وفي المقابل هناك من زار قريته ليعود وقد رسخت بذاكرته صورة القرية المهجورة الفارغة، التي تم هدمها ولم يتم السماح بالسكن فيها، فتقول أم حسين (70 عام) عن زيارتها لبيت ثول: "زرت زيارة مع أهلي ... يما ناسفين الدور فش دور ولا اشي، في حجار بس محل البيت"، و قالت أم عيسى (73 عام) عن وضع بيت نبالا: "رحنا خطرة فرجة، هادّين البير ويديروا الزبايل فيهو ومش مخليين إلا القبور"

وتقول أم صبحي عما شهدته من الدمار والتخريب الذي لحق بقريتها بيت نبالا:

"مرتين ثلاث زرتها، زي ما هي، مهددات الدور والبيار (الآبار) مفتحات بوابهم وكل بير مفتوح بابو ومحطوط عليها حجر وهالزتونات وفي شجر تينات، وصبرة عالطريق عند الجسر هذا الجسر بيروح على دير طريف... بقينا مع زلام كبار يقولولنا هذي بلادنا وهذي هيك وهذي هيك" (أم صبحي، 70 عام، مقابلة بتاريخ 2012/2/4).

أما أبو زيد فقد تحولت قريته إلى منطقة عسكرية ولم يبق لها أثر حيث يصفها بقوله:

"بال67، فش فيها بناء مدمرة كلها فش فيها ولا حجر، بعدين عاملينها كلها مسرح للدبابات للتدريب وأنفاق، حوالي النفق 50-60 متر كلها للدبابات، جميع القرى أنا شفتها زي برفيليا وهذي كلها اللي ذيال عنابا، برفيليا وفي بيجي 10-12 بلد هذي كلها ما فيها بنا ولا شي" (أبو زيد، 73 عام، 2012/3/21).

الجيل الثاني:

كما ذكرت سابقاً، تمكن العديد من أبناء الجيل الثاني من القيام بزيارات لقرى أجدادهم وآباءهم، وكان لطبيعة الظروف التي عايشوها في جيلهم تتيح أمامهم فرصة التنقل والدخول إلى تلك المناطق التي يسيطر عليها الإسرائيليون، فلم تكن الحواجز ونقاط التفتيش مشددة ومعقدة كما هي اليوم، لم يكن جدار الفصل يمنعهم من المرور، بل كانوا في أشد أوقات التشديد الأمني يتمكنون من إيجاد طريق بديل يمكنهم من الوصول إلى غاياتهم. كما كان عدد كبير منهم ممن يعملون بتصاريح عمل داخل إسرائيل، فمثلاً يقول صبحي عن زيارته لقريته بيت نبالا:

"آه طبعاً.. رحنا.. أنا بالنسبة إلي كثير، كنا بنشتغل بإسرائيل كنا نميل ع بلدنا بس هي بلدنا طبعا فش فيها ولا اشي، فش فيها غير المدرسة بس" (صبحي، 53عام، مقابلة بتاريخ 2012/2/4).

وفي ظل تلك الظروف، وعبر جمعيات مختصة،[29] تمكنت مجموعات من الأسر من تنظيم رحلات جماعية لزيارة قراهم بيوتهم، بحيث كانوا يتوجهون في حافلات كباراً وصغاراً للقيام بزيارات ورحلات تمكنهم من تذكر تلك الأيام والمشاهدة ما كان يوماً ملكهم وقد صار محرماً عليهم، وكان الصغار منهم يرون بأعينهم حسرة الكبار ويسمعون كلامهم عندما يذكرون مواقف عايشوها في كل زاوية من زوايا القرية، فيقول كمال:

"آه رحنا، شكّلنا رحلات من البلد ورحنا عليها.. والله أنا انبسطت لما وجدت أخي الكبير واجوا وشافوا، في النشيشية في الدار ساقطة على مدخل الدار فقعد عليها وصار يبكي اخوي الكبير، قال هذا مدخل الدار تبعنا، واحنا ماشيين .. قالوا هي قبر خالي هناك... في هناك زي ما تقولي جامع، كان سيدي مقبور في هذا

---

[29] في كتاب أمكنة صغيرة وقضايا كبيرة جاء الحديث عن هذه الجمعيات التي كانت "تهدف لدعم أهل المخيم لا سيما من هم من البلدة نفسها. كما أعلنت أنها تعمل على إبقاء قضية اللاجئين حية في الذاكرة وتحديداً لدى الأجيال الجديدة" (أبو دحو وآخرون 2010، 95).

المكان... صاروا يقولوا هاي المقبرة وهاي سيدي ويصيروا يعيطوا هالكبار وأصير أعيط معهم" (كمال، 67 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/21).

إلا أن البعض الآخر لم يتمكن من مرافقة من هم أكبر سناً منه ممن قد يساعدوه في التعرف على تفاصيل هذه القرية وتصوير الحياة الفلسطينية فيها، وهذا حال السيد مناضل الذي لم يتعرف على أي من تفاصيل قريته سوى تلك اللافتة التي كانت تحمل اسم حمولته/ قبيلته كونه يعتبر من القبائل البدوية:

"والله بكل أسف أنا زرت مرة وحدة وما كان معي ناس من الكبار، يعني مكتوب عليه أرض السطرية حتى الآن إحنا عربنا اسمهم عرب السطرية... وبس" (مناضل، 64 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/16).

وكذلك الأمر بالنسبة للسيد لطفي الذي تحدث عن أنه زار قريته الأصل مراراً، لكنه لم يتعرف على شيء هناك كونه لم يعش فيها ولم يزرها برفقة من عاشوها، لكن وكغيره من اللاجئين حرص على جمع حفنات من ترابها وثمارها:

"زرتها.. يعني لا أحصي كم مرة، لاني عارف محل دار ولا محل قبر، بس لما يشعر الواحد انه هاي أرضه وارض أجداده بيشعر بالأمان مهما كان... يعني أنا لما كنت انزل هناك كأنه أنا في بلدي الأصلية ووالد هناك... والله لقطت منها ووديت على عمان خروب وزتون" (لطفي، 63 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/16).

ومن ناحيته، تمكن السيد صابر من إجراء المقارنة بين ما كان يسمعه من آبائه وأجداده عن قريته وبين ما شهده بأم عينه عند الزيارة، وقد حظي بفرصة دخول بيت عائلته في القرية (العباسية):

"زرتها مرة واحدة تقريباً في السبعينات، طبعاً فيها اختلاف عما بيقولوا هم..مش اختلاف كان كثير كثير، بس فيها مباني وفيها عماير ساكنينها مستوطنين ويهود متدينين"... يعني أنا لما رحت وقالوا هدا بيتنا ساكنين فيه يهود، دخلونا عالبيت قلتلهم هدا بيت ابويا، قالوا هدا بيت أبوك بس هذي أرضنا انتو اخدتوها منا، لأنهم مشبعين انه إحنا أخذنا الأرض من اليهود" (صابر، 61 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/16).

<u>الجيل الثالث:</u>

بخصوص أبناء الجيل الثالث، فمن أصل 15 مبحوثاً ومبحوثة من هذا الجيل، تمكن أربعة منهم فقط من زيارة قراهم في حين لم يحظ الباقون بتلك الفرصة قط. وعند الحديث عن القرية الأصل وزيارتها، أظهر العديد منهم

عن تعلقهم القوي بالقرية وحرصهم على زيارتها في أي فرصة تتاح لهم، وهو ما أنشأه آبائهم وأجدادهم عليه، فحسب السيد حسن:

> "أبوي أخدني أول مرة وأنا عمري خمس أو ست سنين وأخدني أكتر من مرة بعديها، بس من يوم ما أخدني ووراني التينة اللي دايماً أبوه بيحكيلو عنها ووراني وين البيت الأساسي وأكد تماماً على أنه أتذكر أنه هو ولد هون وأنه أمه وأبوه تهجروا من هون قسراً وأكد أنه أنا لازم أتذكر دايماً أنه هاي القرية أصلي وهذا البيت كان لازم أكون أنا مولود فيه وهذه التينة كان لازم أنا آكل منها.. وأنا ذاكرها لحد اللحظة" (حسن، 39 عام، مقابلة بتاريخ 2012/9/27).

إلا أنه وفي المقابل، أظهر آخرون نوع من الشعور باليأس من إمكانية الوصول إلى قراهم، فعند سؤالي لمنال من السافرية (24 عام) عما إذا كانت زارت قريتها يوماً أم لا، قالت: "لا ما عمري زرتها ولا راح أحاول".

أما لبنا فأكدت على أنها زارت قريتها ووصفت الشعور الجميل الذي أحسته أثناء تلك الزيارة، إلا أنها بينت وبوضوح أنها لن تكرر تجربة زيارة القرية، فقد تقبل العودة للقرية بشكل نهائي إلا أنها لن تقبل أن تدخلها مجدداً كزائرة، وأشارت هنا إلى قضية ما يقال عن قريتها (دير طريف) بأن معظم أهل هذه القرية باعوا أراضيهم بيعاً، وفيما يلي ما قالته لبنا بهذا الخصوص:

> "لما رجعت ع دير طريف في أجزاء من الأشيا اللي ستي حكتها شفتها، ستي كانت تحكيلي عن تلات معالم هو حاووز المي وبيارة بردقان كتير كبيرة كانت تتلاقى هي وسيدي فيه وجسر شيطان... في قناة زغيرة عليها جسر خشبي يعتبروه جسر شيطان لأنه بالشتي يتزحلقوا الستات عليه... هدول التلات معالم شفتهن ما بتتخيلي شعوري لما رحت وشفتن انه واو ستي ما كانت تخبص وهاي الأشياء موجودة... هي مرة وحدة وأنا ما قدرت ارجع على فكرة ... لأنه ما بعرف ازا صح المعلومة ولا لا ويقال انه مبيوعة الأرض، ففي جزء كبير منها معمر عليه جزء مهبط من مطار ومساكن طيارين.." (لبنا، 28 عام، مقابلة بتاريخ 2012/5/16).

أما أدهم، فقد كان من القلائل الذين تمكنوا من المشاركة في الرحلات الجماعية التي ينظمها أهالي القرى إلى قراهم وبلداتهم الأصلية ويقول:

> "آه إحنا عنا جمعية بتسويلنا زي لقاء أو رحلة، بتوخذلنا تصاريح وبنروح مع بعض، ... وعنابا في مناطق كثير فيها، البيوت القديمة والآثار القديمة موجودة،

مش كل القرية ، في حارة من القرية، الاشيا التانية هدوهن وسووهن حديقة للحيوانات، للبقر" (أدهم، 28 عام، مقابلة بتاريخ 2012/2/20)..

وحول بقية المبحوثين، فأكدوا جميعاً على أنهم لم يتمكنوا يوما من زيارة أراضيهم ومنازل عائلاتهم في القرى المهجرة. ولكن منهم، خاصة من هم خارج فلسطين، أظهروا حنيناً وارتباطاً بأرض فلسطين ككل وليس فقط في أرض القرية الأصل، فكونهم بعيدين عن فلسطين جغرافياً، ومع مرور الزمن أصبح ارتباطهم بفلسطين ككل أقوى من ارتباطهم بالقرية أو المدينة، خاصة أن معظمهم ممنوعون من دخول حدود فلسطين، وهذا ما لمسته لدى كل من قابلتهم من الخارج كالحاجة أم منير في مصر والشابة حنان من الأردن، فحنان هي فتاة فلسطينية أصل عائلتها من صفد، لم تكن تعلم الكثير سوى أنها ترجع لأصول "صفدية"، لكنها لم تكن تعلم أي تفاصيل أخرى عن الخروج والتهجير وما إلى ذلك، وبالمقابل، فقد أظهرت ارتباطاً شديداً في فلسطين، وخاصة القدس، وعندما سنحت لها فرصة الدخول لأيام معدودة، حرصت على جمع أكياس من تراب المسجد الأقصى وأغصان الزيتون فيه لتقدمهم هدايا لأقاربها في الأردن وسوريا، حتى أن منهم من طلب ذلك بنفسه.

الخلاصة:

من خلال المقابلات المعروضة في هذا الفصل تبين بداية ضرورة العمل على مقارنة الجيل الواحد بنفسه قبل السعي للمقارنة بين الأجيال المختلفة وذلك نظراً لظهور اختلافات واضحة بين أبناء الجيل الواحد، وكان ذلك في جوانب عدة كتلك التي تتعلق بطريقة تعريفهم لقريتهم/ مدينتهم الأصل وطريقة سردهم للأحداث التي شهدوها وطبيعة خروجهم. كما ظهر أثر لعامل التغير والتطور في العالم من عولمة وتكنولوجيا وغيرها وخاصة على الجيل الثالث، ويمكن ملاحظة ذلك عند النظر إلى المصادر التي استمد منها المبحوثون معلوماتهم، ففي حين كان أبناء الجيل الأول يقدمون المعلومات بناءً على تجاربهم أو ما سمعوه من أقرانهم، لكن أبناء الجيل الثالث كثيراً ما أشاروا إلى أنهم اعتمدوا على كتب أو مقالات إلكترونية قرأوها على الانترنت، وآخرون تحدثوا عن تجاربهم خلال السفر إلى دول أوروبية تمكنوا خلالاها من الاطلاع على مصادر ومراجع مميزة مثل ما حدث مع الشاب سليم الذي أشار إلى أنه وخلال تواجده في فرنسا علم بالصدفة عن وجود جهة مركزية في مكتبة فرانسوا ميتران

تعمل على إجراء بحوث خاصة بإعادة إحياء معلومات تتعلق بالنكبة الفلسطينية وتعتبر من أكبر الأرشيفات الخاصة حول العالم، وهذا الشيء غالباً لم يحظ به أبناء الجيل الأول ومعظم أبناء الجيل الثاني.

كما تبين نوع من التقلص في حجم التفاصيل التي يقدمها أبناء الجيل الثالث عن تفاصيل مسار رحلة التهجير والخروج، فقد كان مسار الرحلة الذي يرويه أبناء الجيل الأول غالباً أطول من مسار الرحلة الذي ترويه الأجيال الأصغر، وقد يعود السبب في ذلك إلى ضياع بعض التفاصيل خلال انتقال هذه التجربة من جيل إلى آخر. كما كان لدى أبناء الجيل الأول نزعة للحديث والكلام أكثر عن أحداث وتفاصيل مختلفة، وبغض النظر عن طبيعة المعلومات التي كانوا يقدمونها، كانوا يتحدثون لفترات أطول من معظم أبناء الجيل الثالث، وهذا ما يبرر وجود مقابلات طويلة لأبناء الجيل الأول مقارنة بمقابلات الجيل الثالث.

الفصل الثالث: ماذا بعد الخروج؟!

مر الفلسطينيون في رحلات لجوء فردية حيناً وجماعية أحياناً أخرى، وتفرقت الأسر والعائلات، وتشتتت علاقات الجوار، فانتشر المهجرون كل حيثما تيسر له اللجوء؛ فواحد نجا بنفسه نحو الشمال وآخر قادته الظروف جنوباً، في حين لم يتمكن آخرون من النجاة أو تحمل مشاق التجربة. وفي النهاية، كل الطرق تؤدي إلى نهاية واحدة بالنسبة لهؤلاء اللاجئين، تمثلت تلك النهاية بحياة المخيم في معظم الحالات ما عدا بعض الحالات التي تمكنت من الاستقرار خارج مخيمات اللجوء وذلك إما لكونها عائلات ميسورة أو حتى غير ميسورة منعها كبرياؤها من تقبل حياة المخيم.

ويأتي هذا الفصل ليسلط الضوء على الظروف التي تعرض لها اللاجئ الفلسطيني بعد هذه النقلة النوعية في طبيعة حياته ليعيش حياة من نوع آخر، حياة تحول فيها "أصحاب الأرض" إلى "زوار أو دخلاء" في أراضي الغير. وطبعاً يهدف الفصل إلى تقصي أي فروقات قد تظهر بين الأجيال فيما يتعلق بالعناوين المبحوثة هنا. وأول ما سيتم التطرق له في هذا الفصل هو "الخيام" والمخيمات، فهي الصدمة الأكبر التي أثرت في نفوس الفلسطينيين في ذلك الوقت، فتباينت ردود أفعال الناس ومدى تقبلهم لفكرة أن تأويهم خيمة بعامود واحد أو بثلاثة أعمدة، خيمة لا تقي برداً ولا حراً. فمن المبحوثين من عاش في هذه المخيمات الخاصة باللاجئين وآخرون رفضوا ذلك قطعياً. أما أولئك ممن قبلوا الخيام كوضع مؤقت، وبعد أن طال بهم الانتظار للعودة إلى قراهم الأصلية، فبعضهم سعى لتحسين وضعه لحين حل قضيتهم عبر العمل على الاستقرار في أماكن أخرى كاستئجار بيت أو غرفة، لكن أيضاً في المقابل كان هناك من رفض ذلك مفضلاً البقاء في خيمة على أمل العودة سريعاً لبيته. وفي قسم آخر من هذا الفصل، سيتم تخصيص الحديث لعرض روايات المبحوثين وتقييماتهم المتعلقة بعمل وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين/الأونروا، سواء كان ذلك في سنوات بداية عملها أو في الوقت الحاضر.

كما سيتطرق هذا الفصل إلى ظروف أخرى وجوانب أخرى من حياة اللاجئين ما بعد الخروج. حيث سيتم الحديث عن موضوعين أساسيين، أولهما يتعرض لمسألة العنصرية ضد اللاجئين من خلال ما يظهر في رواياتهم عما واجهوه من معاملة وعنصرية من قبل الفلسطينيين الآخرين من أهل القرى والمدن المجاورة التي لجئوا إليها. أما

الجانب الآخر فيغطي جانباً له علاقة بالنوع الاجتماعي، بحيث يتم فيه استعراض لما ورد في روايات اللاجئين المبحوثين عن المرأة ودورها في فترة النكبة وما بعدها، وكيف تمكنت النساء الفلسطينيات من التعامل مع المحنة والظروف الجديدة.

أولاً: المخيم والأونروا

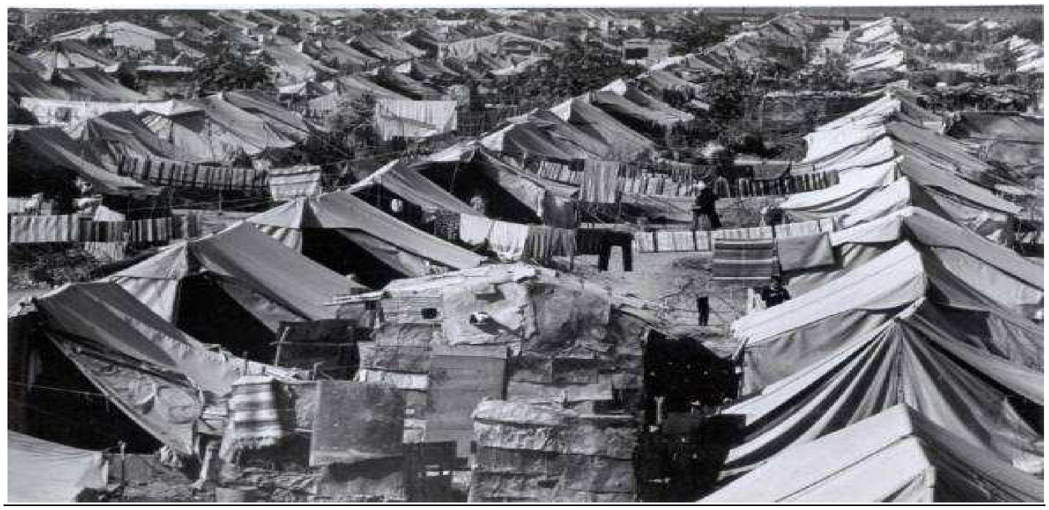

الشكل (3): أحد المخيمات الفلسطينية بعد نكبة 1948
occupiedpalestine.wordpress.com

تأسيس المخيمات[30]

في أعقاب حالات اللجوء الواسعة عام 1948، بدأت المنظمات الدولية والجمعيات الخيرية كالصليب الأحمر والكويكرز وغيرها، العمل على تقديم المساعدات لهؤلاء اللاجئين بهدف تزويدهم بأبسط أسباب العيش، إلى أن قامت هيئة الأمم المتحدة بتأسيس وكالة متخصصة لرعاية شؤون اللاجئين الفلسطينيين عام 1949 وهي الأونروا، والتي بدأت بمباشرة أعمالها عام 1950، أي بعد عامين كاملين من حياة العراء عاشها الفلسطينيون حينها. وكان الأساس في هذه الوكالة أن تكون وكالة ومؤسسة مؤقتة ترعى شؤون اللاجئين الفلسطينيين لمدة محدودة إلى حين

---

[30] تم تعريف المخيمات على أنها "أماكن تتميز بتواريخ وسمات خاصة وعامة ولا يكف سكانها عن إنتاج المعاني وتشكيل عالمهم الاجتماعي.. إضافة إلى كونه مكان تشريد واقتلاع دائمين فهو في الوقت نفسه مكان للعزلة والاستبعاد ونقطة تتقاطع عندها تحولات وقوى محلية وأخرى إقليمية ودولية". (أبو دحو وآخرون 2010، 48-49).

حل مشكلتهم وعودتهم إلى ديارهم وقراهم وأراضيهم التي هجروا منها، وكان كل الظن حينها أن هذه المسألة لن تتجاوز عدة أسابيع أو شهور، ولم يكن في الحسبان أن تستمر لسنوات وعقود دون إيجاد حل جذري لها.

وهكذا، ظهرت مبادرات إنشاء وتأسيس المخيمات الخاصة لإيواء هؤلاء اللاجئين، حيث كان يتم تعيين مناطق محددة بالقرب من المدن والقرى الرئيسية أو بالقرب من عيون الماء (سواء داخل حدود فلسطين أو في الدول المجاورة التي استقبلت اللاجئين)، ويتم فيها جمع الناس المهجرين وتوزيعهم على خيام منتشرة في تلك البقعة، وهكذا تم إضافة عنصر جديد على الخارطة الجغرافية في فلسطين والدول المضيفة، فأصبح "المخيم" يظهر على الخرائط إلى جانب "القرية" و"المدينة".

كما كان يتم تسجيل أسماء اللاجئين وأعدادهم وتوزيع المؤن عليهم بناءً على ذلك التسجيل. وتعتمد جميع الإحصائيات التي أحصت اللاجئين الفلسطينيين في الغالب على إحصاءات الأونروا التي حصلت عليها من المؤسسات والمجموعات التي سبقتها في مساعدة اللاجئين، ثم أضافت عليها واستمرت في جمعها، ولكن ذلك لا يعني دقة هذه الإحصاءات، فهناك الكثير من الفلسطينيين الذين تهجروا داخل الأراضي الفلسطينية أو في الدول المجاورة، لكنهم لم يسجلوا لدى الأونروا أو رفضوا العيش في مخيمات اللاجئين،[31] وذلك لأسباب تتراوح بين عدم الرغبة أو عدم القدرة. وبالتالي، من لم يرغب حينها أو لم يقدر على التسجيل، لم يستحق أن يحصل على تلك المساعدات وبالتالي لم يحصل في المستقبل على "صفة اللجوء" من الأونروا.

حياة المخيم (هل عاش بالمخيم أم لا)

حصدت حياة المخيم وظروف العيش فيه حصة كبيرة من كلام وروايات اللاجئين المبحوثين في هذا البحث، فمنهم من قضى معظم سنوات حياته في هذا المخيم إن لم تكن كلها (كأبناء الجيل الثاني والثالث). كثيرون بدأوا يعددون احتياجاتهم وما ينقصهم قبل أن يعرفوا أننا لسنا من جهات للمساعدة أو من مؤسسات وجمعيات خيرية معنية بدعم

---

[31] من ينحدرون من الطبقة الوسطى أعدادهم لا تظهر بدقة في سجلات الاونروا نتيجة عزوفهم عن تسجيل أنفسهم في سجلات الأونروا (تماري 2006، 106).

اللاجئين. وأظهرت المقابلات التي تم إجراءها اختلافات بين اللاجئين المبحوثين في عدة مجالات، كان أولها مسألة العيش والإقامة في المخيم نفسه، فمنهم لاجئ يقطن المخيم، وآخر لم يقم في مخيم لجوء قط مع أنه يؤكد على أنه لاجئ كغيره من اللاجئين.

أما من أقام في المخيمات فقد تباينت الآراء حول طبيعة الحياة في المخيم، إلا أن الصفة السائدة هناك بين من قابلتهم كانت إلى حد ما تتصف "بالرضى" كونهم لم يتذمروا كثيراً من تلك الحياة، بالرغم من بعض الشكاوى والاستياء الذي تم التعبير عنه حول بعض القضايا المنتشرة هنا وهناك، كعدم وجود حماية وأمن خاصة في المخيم فكل عليه "أن يحمي نفسه" حسب تعبيرهم، إلا أنه ونتيجة مرور عشرات السنين على وضعهم في تلك المخيمات، يبدو أنهم اعتادوا عليها ولم يتذمروا كثيراً.

أيضاً ظهر نوع من الاختلاف الواضح بين ساكني المخيم الواحد ممن قابلتهم، فبالرغم من أن هياكل البيوت من الخارج كلها متشابهة في المخيم، إلا أن داخلها يظهر اختلافاً اجتماعياً ويكشف عن وجود طبقات اجتماعية مختلفة في المخيم، حاله كحال أي مدينة أو قرية أخرى. فبعض البيوت كانت مبنية بناءً حديثاً، أي تم تحديثها عما كانت عليه عند استلامها، وكان حجر البناء المستخدم يعكس صورة تظهر أن آهلي البيت مقتدرون ويعيشون حياة أفضل من غيرهم، وكان أثاث البيت جميلا وجديداً. وفي المقابل طغت سمة البساطة والفقر على عدد كبير من البيوت الأخرى التي كانت ضيقة ومكتظة بالأطفال والكبار في غرفة واحدة، والأثاث قديم ومهترئ.

ومع ذلك لم ألحظ تذمراً في نفوسهم من حياتهم تلك، فجميعهم يعتبرون هذا الوضع مؤقتاً، ومهما طال بهم الزمان، مآلهم إلى بيوتهم وقراهم المحتلة. لكن أبرز التعليقات أو الملاحظات التي أبداها أهل المخيم كانت تتعلق بالعلاقات الداخلية بين الأهالي، فمع كل الجهود التي بذلوها للحفاظ على عاداتهم وتقاليدهم التي اعتادوا عليها في قراهم قبل النكبة، أشار كثيرون إلى التغير الملحوظ في طبيعة هذه العادات والعلاقات الاجتماعية، فمثلاً، عند سؤال الحاجة أم غنام عن وضع وحياة المخيم، لم تشتك من وضع اقتصادي أو مادي أو غيره، وكانت إجابتها مقتضبة جداً حيث قالت: "حياة المخيم بقت مليحة وعاطلة... لكن بقوا الناس أحسن من اليوم...عندهم ترابط أحسن... هلأ في... بس مش زي أول".

ولم تقتصر ظروف الحياة الصعبة على أولئك الذين عاشوا في المخيمات بعد التهجير، بل أيضاً من لم يسكن مخيماً عاش حياة صعبة لا تقل المعاناة فيها عن الحياة داخل المخيم. وبالحديث عن هذه الفئة من اللاجئين، أي أولئك الذين لم يسكنوا المخيمات لسبب أو لآخر، فظهر أن عدم إقامتهم بمخيم يعود لظروف منعتهم من التمكن من التسجيل لدى الأونروا أو لعدم رغبتهم في ذلك، إما لكونهم أوفر حظاً من غيرهم حيث وجدوا المأوى والمسكن بطريقة ما لدى أسرة أو أقارب ساعدوهم في محنتهم، كما حصل مع الحاج أبو صالح الذي قال:

> "ما سكنت بالمخيم... بيجوز طبيعة رحلتنا وظروفنا ما سمحت... إحنا جينا من أم الفحم وفوراً إلى عطارة وسكنا في البلد" (أبو صالح، 72 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/21) .

وفي حالات أخرى كان ذلك لعدم تقبلهم لوضع التشتت ورفضهم القبول بالأمر الواقع، حيث يظهر عدم تصديق هؤلاء اللاجئين لما حل بهم، واقتناعهم بأن ذلك الحال لن يدوم إلا لأسبوع أو اثنين على أبعد تقدير وبالتالي لا يوجد حاجة وضرورة للتسجيل والإقامة في مخيم أو غير ذلك، وهذا ما يظهر في تجربة الحاجة أم كرم التي رفض زوجها التسجيل لدى الأونروا رفضاً قطعياً. وتروي أم كرم النقاش الذي دار بينها وبين زوجها بهذا الخصوص حيث رفض السكن في مخيم أو التسجيل لكرت المؤن معتبراً حسب ما نقلت عنه زوجته قائلة ...

> "قال لي إحنا أُخرى يوم يومين ثلاث..أسبوع بنروّح.....طيب صاروا يوزعوا في المخيم.. يا ابن الحلال هيهم أجوا في لفاتوة خوالي قالوا هاتي نسجل اسمك توخدي لك خيمة تقعدي في المخيم في الأمعري...أجى قلتله هيك هيك... قالي مجنونة انتي...قلتلو ناخدلنا خيمة بنقعد فيها بنستر حالنا، وانت اللي بتجيبهن بنوكل فيهن بدال ما ندفع أجار دار...قال تحلميش تقعدي في المخيم... إحنا بدناش مخيم ... بس عشنا عيشة ذل... انذلينا انذلينا" (أم كرم، 80 عام، مقابلة بتاريخ 2012/1/20).

<u>هل تخرج من المخيم أم لا؟</u>

> "إن ارتباط اللاجئ بمكانه الأصلي وحلمه بالعودة إليه ... سيتراجعان ليحل محلهما ارتباط جديد بالمكان يتحول فيه الطارئ إلى دائم" (أبو دحو وآخرون 2010، 89).

أيضاً فيما يتعلق بالمخيم والحياة فيه، حاولت الاستفسار ممن قابلتهم عما إذا كانوا يقبلون الخروج من المخيم ليعيشوا في ظروف "قد تكون أفضل" خارج المخيم في أي مدينة أو قرية أخرى. فقد خرج قبلهم الكثيرون واستقروا خارج المخيمات، وأصبح معظم اللاجئين الفلسطينيين في الأراضي الفلسطينية هم ممن يعيشون خارج المخيمات، بينما لم يعد أولئك المقيمون في المخيمات يشكلون أغلبية اللاجئين.

جاءت الإجابات على هذا السؤال معظمها تشير إلى أنه لن يتم الخروج من المخيم إلا إلى "البلاد" أو إلى "القبر"، والإجابة الأولية لدى معظم المبحوثين على سؤال "هل من الممكن أن تترك المخيم في يوم من الأيام لتحسن وضعك المعيشي خارجه" كانت في الغالب "لا" خاصة من قبل كبار السن من الجيل الأول. لكن ما يختلف بين المبحوثين هو ذلك السبب الذي يعود وراء عدم رغبتهم بالخروج من المخيم، فلن أقول أنهم جميعاً يرفضون الخروج لأسباب سياسية ووطنية، كخوفهم على هويتهم كلاجئين أو بسبب تمسكهم بالمخيم كرمز للجوئهم، بل أيضاً كان هناك أسباب أخرى منها اجتماعية وأخرى اقتصادية.

وبخصوص "الحفاظ على هوية اللجوء" من خلال البقاء في المخيم، هناك من وافق مع هذه الفكرة معتبراً أن هوية اللجوء تحفظ وتعزز داخل المخيم، حتى أن هذه الفكرة كانت موجودة منذ أول أيام اللجوء، فمنذ بداية الحياة في المخيم، وجد الفلسطينيون فيها وفي الخيام نوعاً من الحفظ لحقوقهم كلاجئين، وبالتالي رفضوا الخروج، ويظهر ذلك في قول الحاج أبو حامد الذي يستذكر كيف قاوم اللاجئون في الخيام تشييد البيوت وبنائها وفضلوا الخيام على البيوت المغطاة خوفاً من أن تطول أزمتهم ويظهروا وكأنهم سكان عاديون وتنسى مأساة لجوءهم، حيث روى الحاج:

> "في يوم من الأيام فكروا وقالوا للناس تعالوا بدنا نبني ... قالوا بدناش نبني لأنه إذا بنينا بكرا بيجوا جمعيات استخباراتية على أساس أنه هدول مش لاجئين.. هدول مستوطنين ومتوطنين... إحنا بدنا نضلنا بالخيمة... بعض الناس بنوا وبعض الناس – أو أغلب الناس لا– إلا في الأخير أقنعوا الناس بطريقة أو بأخرى[32] أو بواسطة

---

[32] في محاضرة له بعنوان "الشاعرية والسياسة في الممارسات المكانية في مخيمات اللجوء الفلسطينية"ألقاها في معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية في جامعة بيرزيت بتاريخ 2012/12/15، تطرق د. خلدون بشارة إلى استخدام "اللغة" في إقناع الفلسطينيين من لاجئي المخيمات لقبول بناء بيوت مكان الخيام، حيث كان اللاجئون رافضين لفكرة تشييد المنازل لكي لا يصبح وضعهم دائماً كنوع من رضوخهم للأمر الواقع وتوطينهم في المخيمات، وما أوضحه د. بشارة أن الجهات المعنية أقنعت هؤلاء الناس ببناء تلك البيوت من خلال طرح فكرة تسميتها "ملجأ" وليس منزل.

الدول العربية.. انه يا عمي حرام ... هانا في منطقة الضفة الغربية ثلوج... هاي خيمة... يعني ياما ناس تنزل الخيمة فوقو من الثلج" (أبو حامد، 78 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/25).

وكذلك الحال بالنسبة للحاج أبو زيد الذي قال:

"يمكن ما أطلع... طالما أنا موجود في المخيم أنا حافظ حقوقي... الحقوق ما بتروح بس أنا عشت في مخيم الجلزون ومناخ المخيمات أحسن من غيرو....وأنا بقول، اللاجئين... كل واحد لازم يرضى في المعيشة اللي هو عايش فيها... كل اللي بيشتروا وبيقيموا وبيتاجروا .. كله هدا مش داخل عقلي" (أبو زيد، 73 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/21).

وبعيداً عن العوامل السياسية والوطنية، ظهر العامل الاجتماعي ليلعب دوراً كبيراً في امتناع اللاجئين عن الخروج من المخيم، فطبيعة العلاقات داخل المخيم والروابط الاجتماعية العائلية وغيرها كالصداقة والمعرفة والجيرة، كلها تؤدي إلى تعلق أبناء المخيم في هذه الحياة، فليس بالأمر السهل أن يترك شخص ما مكاناً أقام فيه على مدى عشرات السنين وبات يعرف كل صغيرة وكبيرة فيه، وبنى علاقات وروابط متينة فيه، وطبعاً يختفي أثر هذه العوامل كلياً في حال كان الحديث عن العودة إلى القرية أو "البلاد". وهذا ما ظهر في كلمات الحاجة أم غنام عندما سألتها عما إذا كانت تحب أن تخرج من المخيم، لتقول:

"أنا لأ بحبش... لإني وأنا 13 سنة جيت ع هذا المخيم... بحبش أطلع منو...خلص في إلي صاحبات ختيارات زيي وجارات... بنزنق بطلع عليهم.... أما عالدوايمة آه والله... عاليوم" (أم غنام، 70 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/8).

وبالإضافة إلى العاملين السابقين، ظهر أثر العامل الاقتصادي والمادي جلياً في كلام عدد كبير من المبحوثين، فتقول الحاجة أم سعد:

"أطلع؟! أنا معي أطلع؟؟... لا ما بطلع... وعيالي هان وقرايبي هان وكل عيلتي هان... بطلع ع بيت نبالا يا عالقبور... بس شـــــو بـــــدو يوصلنا بيـــــــت نبـــــــالا!!!" (أم سعد، 70 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/8).

وبالنسبة للحاج أبو عوض، أظهر أن سبب رفضه للخروج مادي وليس خوفا على هوية اللجوء أو على علاقات اجتماعية فيقول:

"ما بقدر أعيش برام الله...بدي مادة لأعيش برام الله...ما أني متخبي تخباه من المصروف العادي.. بدي آكل لقمة ناشفة بس أضل عايش عبين ما يهونها علي... رام الله بدها الجخاخين" (أبو عوض، 89 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/21).

ومن ناحيتها أظهرت الحاجة أم صبحي (70 عام) رغبة في الخروج لكن هذه الرغبة كانت مدموجة بحسرة من عدم القدرة على تحقيق ذلك عندما قالت: "عاليـــــــــــوم لـــــو يرقينا يودينا ع رام الله"!!

أما أبو إسماعيل (78 عام) فأجاب بحدة وباقتضاب دون تبرير أو توضيح سبب: "بطلعش إلا ع غربا... عالبلد... والله ما بطلع من الجلزون".

وفيما يتعلق بالجيل الثاني، قليلون هم من رفضوا فكرة مغادرة المخيم، كالسيدة يسرى التي اعربت عن عدم رغبتها بمغادرة مخيم الجلزون بقولها: "لأ بحبش، خلص تعودنا عليه، أما عاللد آه، بس غير هيك لا، خلص عشنا فيه وعمرنا فيه"، وكذلك السيد كمال والذي يعتبر أقرب للجيل الأول منه للجيل الثاني حيث يبلغ من العمر 67 عاماً، لكنني اعتبرته ضمن الجيل الثاني كونه هو اعتبر نفسه كذلك ولأنه لا يذكر عن عام 1948 سوى ما سمعه من والده وأعمامه. يقول السيد كمال عن الخروج من المخيم:

"ع بلدي آه، أنا بدي أرجع عوطني وبس، غير هيك فش ولو يعطوني مال الدنيا لا يمكن أن أخرج من هذا المكان لأنه هذا المكان يدل على أنه أنا موجود لاجئ في مخيم الجلزون، لاجئ من قريتي إلى هان، فأنا لغير بلادي ما برجع" (كمال، 67 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/21).

معظم الآخرين ممن عاشوا في المخيمات وخرجوا منها ليستقروا خارجها أو ما زالوا يعيشون فيها، فظهر في كلامهم أنهم يبدون ليونة أكثر من أبناء الجيل الأول فيما يتعلق بالخروج من المخيم، ولا يجدون في ترك المخيم أي تهديد لهويتهم كلاجئين، وبالنسبة للسيد لطفي (63 عام)، وهو لاجئ من مخيم الجلزون سافر إلى أمريكا وخرج من المخيم ليستقر اليوم في بيت جديد وراق قام ببناءه خارج أطراف المخيم، يعتبر أن رفض أو عدم الخروج من المخيم ليس لأسباب وطنية أو للحفاظ على الهوية بل لأن "الناس خايفين لأن فش عندهم قوة الاتكال والاعتماد على أنفسهم أنه يطالبوا بحقوقهم" ووافقته زوجته أن الخروج من المخيم لا يشكل مشكلة حيث قالت:

"طالما أنه معاه الواحد كرت المؤن وطالما إنه معروف إسمه وعنده أرض ببلدو فلسطين... يعني مثلاً بيت نبالا ما حد بنساها، يافا ما حد بنساها، ليش بدنا نخاف نطلع، بعدين وضع الناس في المخيم، في ناس وضعهم سيء جداً بتلاقي حوالي

> عشرة وحداش في غرفتين ولا تلات غرف يا دوبك" (ملكة، 63 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/16).

وبالنسبة للسيد صبحي (53 عام)، فقد أبدى أمله بأن يتمكن يوماً من الخروج من المخيم معتبراً انه أفضل له ولأسرته حيث قال: "طبعاً، يصحلي أطلع من هان بطلع، يعني أنا قاعد في المخيم ضياق ودوشة... أما برا طبعاً بيعيش الواحد وحتى الأولاد بيتربوا أحسن".

وكما هو الحال في الجيل الثاني، أيضاً العديد ممن قابلتهم من أبناء الجيل الثالث هم حالياً يعيشون خارج المخيمات، أي أن مسألة الخروج من المخيم لا تشكل أي خطراً على واقع وهوية لجوءهم، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على تراجع دور المخيم في تكوين هوية اللاجئ الفلسطيني، فلم يعد المخيم وابن المخيم هو فقط من يعتبر لاجئاً، بل بات اللاجئون خارج المخيمات أكثر من اللاجئين داخلها، وكما يقول السيد وليد:

> "الآن المخيمات موجودة بس اللي خرجوا من المخيمات صاروا أضعاف، لكن هو موجود ومعه كرت المؤن، وبعدين معظم المخيمات في بلادنا ما عادت تتسع لهذه الزيادة الطبيعية، فهم بيخرجوا لكن المخيم سيبقى، حتى مخيم شعفاط حاولوا إنهم يبادلوه أو يقايضوه رفضوا أهل المخيم" (وليد، 50 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/15).

لكن أيضاً لا يمكن تعميم ذلك على جميع أفراد الجيل الواحد، فهناك من الجيل الثالث من يرفض الخروج من المخيم، كالآنسة سيرين (28 عام) التي أشارت إلى أنها لا تتمنى الخروج من المخيم وكأن المخيم بأسره بيتها وتحس بالطمأنينة فيه وتقول: "أكيد لأ، خلص لأني عشت فيه وتربيت فيه وكل حياتي بالمخيم، حتى لو أروح شمات هوا آه بس إني أعيش برا بقدرش، يوم أعبر المخيم بحس بالراحة كثير".

ومن الجدير بالذكر أيضاً وجود حالات ممن غادروا حياة المخيمات تنكروا للمخيم وحياته ولصفة "لاجئ"، فأذكر عندما كنت أحاول التواصل مع لاجئين لغايات المقابلات، طلبت المساعدة من شخص أعرفه خرجت عائلته من مخيم الأمعري قبل سنوات عديدة، وباتوا الآن يملكون أفخم المنازل في أغنى أحياء رام الله، إلا أنه أجابني منفعلاً "وليش بتتوقعي إني بعرف ناس من الأمعري؟". وكذلك حدث عندما تواصلت عبر صديقة لي لترتيب مقابلة مع لاجئ فلسطيني يبلغ من العمر 24 عاماً خرجت عائلته عام 1948 من فلسطين وعادوا مع العائدين ودخول السلطة بعد أوسلو، وصادف تواجد هذا الشاب حينها في البلاد حيث أنه يدرس طب الأسنان بالخارج، لذا اعتقدنا

أنه من الممكن أن يساعد بما أنه يمثل فئة مختلفة من اللاجئين المبحوثين كونه لم يقم في فلسطين بل كان من لاجئي الخارج، إلا أن المفاجأة كانت ظاهرة على وجه صديقتي عندما قوبلت بالرفض وقالت لي تماماً ما يلي:

> "أنا بس حكيتلو هو عطول حكى أنتي ليش مفكرتيني لاجئ؟! حكيتلو مش إنت ولدت برا وأهلك طلعوا من 48، قال آه بس مش معناتها إني أنا لاجئ هيني قاعد بفلسطين وأبوي بيشتغل هان، حكيتلو يعني ليش انت هيك أخذت الموضوع يعني استغربت من ردة فعلو... ما حبش إني استعملت الكلمة وما حبش إني فكرت فيه إنه ممكن يساعد بالموضوع.. يعني انثقل من كلمة لاجئ وما حبش يحط حالو بهذي المجموعة كأنه هو عيب ولا غلط...يمكن هدا الإشي بيدل على كيف هو عاش برا، يمكن هو عاش بذل لأنه لاجئ فخلص بدو يطلع من هاي الصورة" (صابرين، 24 عام، مقابلة بتاريخ 2012/9/7).

<u>دور الأونروا:</u>

كما ورد سابقاً، تم عام 1949 تأسيس وكالة تابعة للأمم المتحدة وهي الأونروا، وذلك لتشكل وكالة مؤقتة متخصصة في غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين. ونظراً لأن الأونروا أنشأت من أجل اللاجئين الفلسطينيين بشكل خاص، تم استخدام ذلك كحجة ومبرر لإقصاء هؤلاء اللاجئين واستثناءهم من أي ترتيبات خاصة باللاجئين الآخرين حول العالم وعلى رأسها استثناءهم من ولاية المفوضية العليا لشؤون اللاجئين UNHCR. وبناءً على تجربتهم مع خدمات الأونروا منذ نشأتها وحتى اليوم، تم سؤال اللاجئين المبحوثين عن تقييمهم للدور الذي لعبته الأونروا في قضية اللاجئين الفلسطينيين. وأظهرت إجابات هؤلاء اللاجئين أنهم لا ينكرون الدور الإيجابي الذي لعبته الأونروا في بداياتها في مساعدة المنكوبين على تخطي مرحلة صعبة من حياتهم من خلال تزويدهم بالمؤن والحاجات الأساسية للحياة، لكن هذا الدور أخذ بالتضاؤل شيئاً فشيئاً إلى أن قارب على الاختفاء. إضافة إلى ذلك كان هذا الدور الإيجابي يعتبر بنظرهم بسيطاً جداً مقارنة بالدور السلبي الذي لعبته الأونروا خصوصاً على الصعيد السياسي، حيث أن دورها الإنساني الجيد كان غطاءاً لدور سياسي أدى إلى نتائج خطيرة وسيئة في قضيتهم.

الجيل الأول:

كان هناك إجماع بين جميع من قابلتهم من أبناء الجيل الأول على أن دور الأونروا الحالي هو دور سلبي بامتياز، كونها امتنعت حتى عن توفير المؤن للكثيرين منهم. فيقول أبو إسماعيل : "الآن دورها ســــــــلبي" و أم سعد قالت: "بقت أول تعطي كل شي.. حليب تمر بيض..أما اليوم.. هَي الهم سنتين معطوش"

ويستذكر الحاج أبو صالح تلك الفترة التي كانوا يحصلون فيها على مؤن ومساعدات الأونروا، ويعبر عن مدى اهتمام الناس حينها في تلك المساعدات التي برأيه عملت كغطاء للعمل على إلهاء الناس بلقمة عيشهم، فيقول:

> "معنا بطاقة أونروا... بقى يوم ما يوزعوا عيد...الناس في هذه الفترة من 1948 إلى 1961/1960 كانوا يعيشون ظروف قاسية جداً... يعني لولا المؤن اللي كانت توزع على اللاجئين لما استطاع الناس العيش،... بس الناس كانت مشغولة في لقمة العيش... يعني بشكل كبير جداً، وكأنه هذا أحد الأهداف التي كان يخطط لها حسب ظني.... لكي يبقى الناس يركضون ويلهثون وراء لقمة العيش ولا يحصلون عليها.... حتى أنهم ينسوا ما تركوا وراءهم وبلادهم.... حتى أطفالهم كثير منهم لم يدخلوا المدارس لأجل أن يعملوا... البنات كانت تخرجن للجبال يلقطن خبيزة وحميض حتى الناس تلاقي اشي تاكلو.... هذه أمور أنا عايشتها.... بس برغم ذلك أذكر تلك الأيام، ورغم المعاناة الشديدة أحن لتلك الأيام لأنه فيها فعلاً تعودنا على الصبر وتحمل المشاق ... حتى أنا مثلاً لم أدخل المدرسة إلا بعد أن وصلت لسن الثامنة" (أبو صالح، 72 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/21).

لقد وردت هذه الفكرة عن مساعي الوكالة لتشتيت تفكير الناس بعيداً عن العودة والأرض نحو التفكير بتوفير لقمة العيش والطعام عند معظم المبحوثين هنا، فالحاجة أم غنام كررت ما ورد في مقابلات غيرها من المبحوثين عندما قالت:

> "الوكالة هي اللي لهت الناس بنتفة هالطحين والتموين اللي بيعطوها للناس... إلا لو كان في زي اليوم ثورة زي اللي في غزة ، هان.. ما كان ما صارش اللي صار" (أم غانم، 70 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/8)

وكذلك ترى الأمر الحاجة أم حسين:

> "الأونروا... تولتهم صارت تبعتلهم طحين ومؤن... صاروا زي ما تقولي أركنوا... يعني قالك إحنا بنتعب وبنشقى الفلاحين... خليها تيجينا لعنا... وسكتوا" (أم حسين، 70 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/8).

وفي نفس السياق، آخرون من اللاجئين لم يروا في الأونروا سوى أداة بيد القوى العظمى العالمية، فالحاج أبو حامد ربط بشكل مباشر بين سياسات الوكالة وسياسات ومصالح تلك الدول عندما قال:

"هذي أمريكا وبريطانيا... بدهم يقيموا اسم شعب فلسطيني لاجئ... وبدهم يلهوا الناس باللقمة... حبة الأكل.... جوعان بدو ياكل... من وين بدو يروح يجيب... زمان الإنسان كان عندو أرض... يروح يعمل يجيب، بس هلأ؟!" (أبو حامد، 78 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/25).

وهذا أيضا عبر عنه السيد أبو زيد:

"الوكالة مساعدة من الدول الغربية علشان يسكتوا الشعب الفلسطيني في النكبة تبعتو... صاروا يهينولو من جميع المواد الغذائية... بيجوز لو فش مساعدات كان الوضع بيجوز تحلحل وبيجوز ما صارش هاللي صار... لكن كل هذا بسبب الدول الغربية اللي تعاونت على الشعب الفلسطيني بواسطة أميركا وبريطانيا وصاروا يعطوهم مساعدات مشان يخمدوه ويلبدوه للشعب الفلسطيني وما يثورش ويرجع القضية الفلسطينية" (أبو زيد، 73 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/21).

بالإضافة إلى ما سبق، كان هناك حديث عن دور الوكالة في بداياتها وقبل مسألة توزيع المؤن والخيام، وهو الدور الذي لعبته في نقل اللاجئين من أماكن تجمعاتهم الأولى إلى المخيمات الرئيسية المعروفة، حيث كانت تغري أولئك اللاجئين بأنها ستعمل على توزيع المساعدات والخدمات فقط لمن ينتقل إلى مخيماتها التي أنشأتها، وبالتالي ساعدت في نقلهم من أماكن لجوءهم الأولى التي غالباً كانت في بقع قريبة من قراهم وأراضيهم ليقيموا في مخيمات جماعية تشرف عليها الوكالة. مثلاُ، أشار السيد أبو زيد إلى أن الوكالة كانت تمر على اللاجئين وتحذرهم من أنها لن تقدم مساعدات أو مؤن إلا لمن ينتقل إلى المخيم كذا، كما كانت توفر لهم وسائل النقل للذهاب إليها.

ولا بد من الإشارة إلى بعض التعليقات حول أداء الوكالة خلال توزيع المؤن، حيث كان هناك حديث عن فساد في عملية التوزيع، ليس من الوكالة مباشرة ولكن من الأشخاص الذين أوكلتهم الوكالة للإشراف على عملية التوزيع، حيث كان يتم حرمان بعض العائلات من حصصهم من المساعدات بالرغم من أنهم مسجلون رسمياً في سجلات الأونروا. ويروي أبو نادي عن مثل هذه الحالات قائلاً:

"هذا كانوا ما يعطوش توزيع إلا لواحد يكون عندو ممثل عند الوكالة... إحنا سجلنا مع واحد قعد 4 اشهر ما يعطيناش يقول بيجيش الكم اسم.... سجلنا مع واحد من كفر عانا ... هذا يلهط الأكل تبعنا.. يوخدو... وكانوا يفرقوا أشياء باهظة... يعني

> اللي بدو يحمّل وعندو 8/7 أنفار... بدو فولكس فاجن يحملها...رحنا رجعنا ع مركز البوليس كشفوا وقالوا يا عمي 5/4 اشهر الكم بتوخدوا وهي اسمكم... مع مين انتوا؟ قلنا فلان الفلاني...جابوه.. ضربوه وبهدلوه... قال يا عمي بقى يجي خربان!!!" (أبو نادي، 72 عام، مقابلة بتاريخ 2012/11/27).

وأخيراً، لم يكن اللاجئون وحدهم من يحصلون على بطاقات الأونروا، فكثيرون من أهل القرى والمدن مسجلين لدى الأونروا ويحملون بطاقاتها ويحصلون على المؤن بالرغم من أنهم ليسوا "لاجئين" حسب تعريف الأونروا للاجئ الفلسطيني، ويدافع هؤلاء عن اعتبارهم أنفسهم لاجئين بحجة أنهم خسروا من أراضيهم وبيوتهم كما خسر اللاجئون، إلا أنهم قد يكونوا خسروا إحدى أراضيهم في منطقة ما ولكنهم ما زالوا يقيمون في قراهم وبيوتهم الأصلية، ولم يتعرضوا للتهجير، أو الترحيل القسري، لكنهم يعتبرون أنفسهم لاجئين ومن حقهم الحصول على مؤن ومساعدات الأونروا كأي من اللاجئين الآخرين.

الجيلان الثاني والثالث:

لا تختلف آراء الجيلين الثاني والثالث كثيراً عن آراء الجيل الأول فيما يتعلق بدور الأونروا، ففي بداياتها كانت تشكل مساعدة جيدة كونها كانت توفر للاجئين ما يمكنهم من العيش، لكن بالنظر إلى دورها فالوضع مختلف حيث أنها خفضت مساعداتها بمعدلات كبيرة ولم يعد اللاجئون يشعرون بأهمية ما تقدمه.. تقول السيدة ملكة من الجيل الثاني:

> أولها وأنا بنت صغيرة بقينا ناخد مؤن يعني كانوا يجيبوا شغلات، كانوا يعطوا طحين.. رز.. حمص.. فول.. زيت حتى مرات كانوا يجيبوا جبنة... بنساش هذا الاشي لما كنا صغار ... أما الأيام هاي شطبي عليها" (ملكة، 63 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/16).

ويشير زوجها السيد لطفي إلى أن استفادة الفلسطينيين من الأونروا تعتبر ثانوية بالنظر للمدى الذي يستفيد منه غير الفلسطينيين حيث يقول:

> "أولاً، اللي هي وكالة الغوث أو أي شي بدك تسميها لا تقدم للشعب الفلسطيني 15% من المكلفة فيه... موظفة أجانب بياخذوا الحظ الأوفر من المعلوم... يعني كم من الشعب الفلسطيني بشتغل أو بوخذ منصب بمعاش يرضيه؟! يعني معاش واحد

أجنبي بعشر معاشات مدير مخيم أو مدير المنطقة... فإذاً مين اللي استفاد من الأونروا تاعتكم؟ اللي هم بريطانيين وفرنسيين وأمريكان... مش الشعب الفلسطيني... وسياسياً 75% منهم الموظفين يخضع للبلد اللي هو فيها، إذا كانت سياستها مع إسرائيل تماشى معهم وإذا كانت ضد إسرائيل تماشى معهم" (لطفي، 63 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/16).

وبالنسبة للسيد صبحي، يرى أن الأونروا تسببت بترسيخ الاحتلال وتثبيته حيث يقول:

"فش واحد بيموت من الجوع ولو فش أونروا... الناس بتموتش... يعني الأونروا كانت تعطي شوية طحين شوية شعيرية شوية حليب بس تسليك... أما شو هي معيشة الناس؟! ماهلقيت هيهم عايشين الناس.. بيجوز هي اللي خلت الاحتلال على روسنا" (لطفي، 63 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/16).

ولا يختلف الأمر بالنسبة للشاب كريم -الذي يبلغ من العمر 28 عاماً ويقيم في فرنسا- عن آراء عديدين غيره ممن اعتبروا دور الأونروا إيجابياً في بداياتها لكنها تراجعت عن هذا الدور، كما أشار إلى عدم رضاه عن طبيعة الدور ككل:

"كانت ايجابية في البداية، بس كمان بالبداية الأونروا كان مفترض تكون لسنتين ومؤقتة، وهاي مشكلة انه الأونروا بقيت لأنها صارت توفر غذاء وفرص البقاء، بس هدا مش دورها.. هي المفروض أنها تعترف بحقوقنا مش بس تعطينا الغذاء" (مقابلة بتاريخ 2012/11/10).

ثانياً: العنصرية والعلاقات الفلسطينية الفلسطينية

كحال أي تجمع سكاني في العالم يعيش في ظل ظروف معيشية صعبة مثل الاكتظاظ السكاني الكبير وتدني مستوى المعيشة، بدأت المشكلات تظهر داخل تجمعات المهجرين وفي المخيمات الفلسطينية مما أدى مع مرور الوقت إلى تشكل صورة نمطية سلبية لدى الفئات الأخرى من السكان عن اللاجئين وخاصة لاجئي المخيمات. فأصبح شائعاً عن سكان المخيمات أنهم يتمتعون بصفات سيئة وغير محمودة في المجتمع، فمن الناس من يرفض ويتجنب التعامل معهم بحجة أنهم "أبناء مخيمات" فمثلاً من يرفض فكرة الزواج من أهل المخيم. وعلى الصعيد الشخصي لمست هذه الصورة النمطية عندما بدأت العمل على هذا البحث، حيث تعجب كثيرون من إقبالي على

هذا النوع من الأبحاث التي تتطلب دخول المخيمات، كما حذرني كثيرون بضرورة اصطحاب شخص موثوق وعدم الذهاب بشكل منفرد إلى داخل المخيمات.

ومن خلال عملي داخل هذه المخيمات وتعاملي مع عدة عائلات، تحدث كثيرون عن هذه الصورة النمطية السائدة في المجتمع، وحاولوا كثيراً أن يدافعوا ويبرءوا أنفسهم من الصفات السيئة التي ألصقت بهم، ومن طريف ما حدث خلال المقابلات، إصرار عائلة على الحديث عن أن أبناء وأطفال المخيم هم كغيرهم من الأطفال، يربيهم آباؤهم على الأخلاق الحسنة واحترام الآخرين وما إلى ذلك، وحين انتهاء المقابلة خرجنا لنستقل السيارة ونغادر، وإذ بـــ "أطفال الحارة" قاموا بإتلاف عجلات السيارة مما اضطرنا للتأخر ما يقارب الساعة من أجل إصلاحها.

يمكن القول أن هذه الصورة النمطية التي انتشرت حول اللاجئين وسكان المخيمات تطورت وتوسعت حتى باتت تمثل شكلاً من أشكال العنصرية التي تعيق وتؤثر كثيراً في حياة اللاجئ الفلسطيني، فأصبح مسمى "لاجئ" أو "ابن/ بنت مخيم" يشكل عقبة ودلالة سوء بالنسبة لحاملي هذه الصفات والمسميات، ليس فقط في فلسطين بل أيضاً خارجها. كما أن هذه الظاهرة ليست ظاهرة جديدة بل هي ظاهرة نشأت مع نشوء قضية اللاجئين.

ولا بد هنا أن أذكر أنني لم أكن خلال تحضيري للعمل على هذا البحث أسعى سوى لتحليل المقابلات من بعدين أو ثلاثة أبعاد رئيسية على أبعد تقدير، ولم تكن مسألة العنصرية من ضمنها، لكن مجرى المقابلات قادني لاتباع منهج كرة الثلج بحيث اتسع أفق الحديث وتوصلت إلى نقاط وجدت أن لها من الأهمية ما يمنعني من أن أمر عليها مرور الكرام وأن التزم "خطتي الأولية" دون ذكرها منها كانت قضية عنصرية الفلسطينيين أنفسهم تجاه اللاجئين. فلا أدري كيف قادتني إحدى المقابلات للسؤال عن كيفية تعامل أهل القرى والمدن مع اللاجئين، وما إذا واجهوا عنصرية أو تمييزاً ضدهم، وصدقاً، جاءت ردة الفعل والإجابات على هذا الاستفسار في هذه المقابلة بطريقة أذهلتني ودفعتني لأن أدرج هذا الجانب كعنصر أساسي في جميع المقابلات الأخرى التي أجريتها، ليتبين لي أن هذه القضية قد تركت أثراً كبيراً وواضحاً في قلوب وعقول معظم من قابلتهم خاصة من الجيل الأول، لدرجة أن أحدهم رفض رفضاً قاطعاً أن يتم تسجيل إجابته عن هذا الجانب لما رأى فيها من حساسية وألم، ومع أنني سألت هذا السؤال في ما اعتقدته "نهاية" المقابلة، إلا أن الحديث عن العنصرية استغرق مدة تجاوزت مدة جميع الأسئلة والأبعاد السابقة.

اختلفت الآراء التي حصلت عليها من المبحوثين عند السؤال عن طبيعة تعامل الفلسطينيين الآخرين معهم أثناء محنتهم، وما إذا كانوا شعروا بعنصرية ضدهم من قبل أهل القرى التي هجروا إليها. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه لا يمكن التعميم في هذا الموضوع، فكل شخص منهم كانت له تجربته الخاصة والمختلفة عن غيره. فمنهم من نفى وجود أي نوع من العنصرية من قبل أهل القرى والمدن الأخرى وأكد على أنهم استقبلوهم بترحاب وتعاطف، وفيما يلي بعض الأمثلة:

(جيل أول) أبو إسماعيل– 78 عام: "معاملة أهل كوبر..احترمونا...أجار ببلاش سقيفة بغرفة...قعدنا 6 سنين عند ناس دون مقابل... أعوذ بالله ما في عنصرية أبداً أبداً... ربنا الله".

(جيل أول) أم فرج– 70 عام: "والله كانوا مناح يشفقوا علينا لأننا مهاجرين معناش ولا أواعي ولا اشي، أعطونا أواعي وحرامات... لا فش عنصرية".

(جيل ثاني) انتصار– 61 عام: "لا لم أسمع، ما عمريش سمعت عن هدا الإشي، عنا هون في بلادنا عادي ما في عنصرية".

(جيل ثالث) الشقيقتان ميس– 20 عام وميساء– 19 عام: "لا ما في عنصرية أبداً"

وفي المقابل كان لعدد كبير غيرهم تجارب مريرة ومؤلمة ما زالت راسخة في أذهانهم معتبرين أن "جرح ذوي القربى أقوى وأصعب". فمثلاً سأبدأ بتجارب من قابلتهم من الجيل الأول، ولم أجد ما يمكن أن أقدم به مقابلتي مع السيد أبو نادي الذي أظهرت كلماته حجم التعامل العنصري الذي تعرضت له عائلته وأهالي قريته حيث قال:

> "كانوا الناس بيقولوا انتوا بعتوا أرضكم لليهود وجيتوا هان... إلى خوات تنتين توفين بدنا ندفنهن بدورا .. رفضوا... والبيرة، ممنوع لاجئ يدفن بالبيرة.... المية (الماء) بقوا يمنعوها أهل دورا ... تا جينا هون عالنبي صالح... رحنا نزورهم شردوا من وجوهنا... رحنا نزورهم عالكروم بدنا شوية تين بدنا نوكل... شردوا... وأهل سردا أكثر من عشرين مرة طردوا أهل الجلزون عن المية (الماء).. طب هي المي إلكم؟ مهي تبع ربنا... كان الوضع سلبي... ولِا لو لاقوا ناس احتضنوهن وبقوا يقاوموا.. مفيش كان دبابات ولا طيارات زي اليوم.. كان رجعوا عالبلاد!...وبقى أبوي يروح عالفرن.. يا جماعة بيعونا بعشر قروش عشرين قرش لهالأولاد... والله ولا واحد... القروية هذول... يقولوا لا يا عمي

> إحنا بدنا نطعم ولادنا...طب وأخوكم المسلم هذا؟!... ما كانوش في قلبهم حزن عالناس" (أبو نادي، 72 عام، مقابلة بتاريخ 2012/11/27).

وكما أكدت الحاجة أم كرم عن سوء المعاملة عندما تحدثت بألم عن نظرات الناس لها عند خروجها متوجهة لتعمل في بيوت الناس وتقول.. "الله يسامحهن"، أشارت الحاجة أم غنام إلى أن العنصرية موجودة تجاه اللاجئين حتى الآن ولم تقتصر على فترة التهجير وتقول:

> "عنصرية في... ولهالقيت ولبكرا.... بقوا بلد اسمها دورا الخليل يقولوا بعيد عنك للحمار... جقمك (وجهك) زي جقم اللاجي... ما قبل اليهود كان عادي زينا زيهم .. مش كان إلنا أملاك ودور وأراضي؟..." وتتدخل ابنتها هنا لتقول.."بتلاقي بقولك (ولاد مخيم)...نظرة الناس كلهم... موجودة النظرة... بيحس الواحد فيها" (أم كرم، 80 عام، مقابلة بتاريخ 2012/1/20).

أما الحاج أبو حامد فرفض أن يتم تسجيل كلامه عندما سألناه عن العنصرية، وقال لي "هذا الكلام خليه على شقة". أجاب السيد حمد بتأثر شديد عن هذا السؤال وأشار إلى العنصرية الشديدة التي كانت ضد اللاجئين من قبل الفلسطينيين الآخرين من أهل المدن والقرى. وأكد على ما ذكرته الحاجة أم غنام سابقاً عندما ذكر أن بعض الناس كانوا يقولوا للحمار "وجهك زي وجه اللاجي" مشيراً إلى أن البريطانيين ساعدوا في خلق النعرات بين مدني ولاجئ وفلاح وبدوي من خلال دعم بعض العائلات الكبيرة في القدس مثل "النشاشيبي" الذين عملوا من خلال "الفتوة" ضد آل "الحسيني الذين شكلوا ما يسمى "نجادة". وأبرز الروايات التي رواها خلال حديثه عن العنصرية كانت قصة ذكر تفاصيلها بالاسم والمكان والزمان عن شخص "فلسطيني" أكد أنه يتولى منصباً مرموقاً اليوم، كان يحرض ضد اللاجئين ويقول... "اقتلوا اللاجئ وأنا بدفع ديته قطف عنب".

ومن ناحية أخرى، تحدثت الحاجة أم منير عن العنصرية التي يواجهها الفلسطينيون اللاجئون في الخارج، وخاصة في مصر، حيث تحدثت عن مشاركتها كفلسطينية في احد المعارض والاحتفالات التي حضرها الرئيس السابق حسني مبارك، لكنها كانت تلاحظ الحراسة والمراقبة المخصصة عليها، فقد تم وضع اثنين من القناصة يصوبون عليها ويراقبونها طول مدة تواجدها هناك وذلك حسب ما اعتبرت "لأنها فلسطينية" وتتسائل قائلة:

"ايش معنى أنا؟؟ هو أنا هاغتالو؟....إحنا الفلسطينيين هون عايشين عيشة الغلب... إقامة غلبة... للعلم دفع استرليني... ممنوع تشتغلي... لأنك فلسطينية تعدي أجنبية" (أم منير، 72 عام، مقابلة بتاريخ 2012/2/12).

وفيما يلي تجارب وردود للمبحوثين من الجيلين الثاني والثالث حول مسألة العنصرية، سأبدأها بما قاله السيد حسن 39 عاماً (جيل ثالث) والذي فسر ظاهرة العنصرية بالكلمات التالية:

"في كل المجتمعات موجود فكرة النظرة النمطية وبالتأكيد موجودة في المجتمع الفلسطيني ولكن مجتمعنا متسامح وقادر وقابل للتعايش، مثلاً انه تستقبل غزة ثلاث أضعاف سكانها لاجئين دون مشاكل تذكر دليل.... بس من الطبيعي أن يكون هناك تخوف من أصحاب الأرض انه ماذا سيجري لنا ولأهلنا وممتلكاتنا، ولكن لم أسمع عن حادثة طرد اللاجئين أو عدم استقبالهم، لكن في بدايات الهجرة كان صعب أن يتزوج لاجئ من سكان المناطق الأصلية (غير اللاجئين) ولكن الآن انتهى بعد ظهور طبقات من اللاجئين واتفاقية أوسلو اللي جلبت طبقة جديدة من اللاجئين" (حسن، 39 عام، مقابلة بتاريخ 2012/9/27).

ومن الجيل الثاني، فإن السيدة ميري– 59 عاماً التي قالت "والله كانوا يحكوا ... ييي هدا بعيد عنك لاجئ... وأهل رام الله ما بيقولوا عنا إلا لاجئين" وأيضاً السيدة ملكة، كلتاهما تحدثتا عن شعورهما كلاجئتين بالعنصرية من قبل غير اللاجئين، فتقول السيدة ملكة (جيل ثاني) عن تجربتها وهي طفلة صغير في بداية سنوات اللجوء:

"أنا شخصياً بدي أقولك عن حالي شغلة صارت وأنا عمري أربع سنين، بقولش عن كل الناس عاطلين، بس وإحنا في عجول كنا نروح نلعب إحنا والبنات وكانت في عين نروح نملّي منها، في ذيال العين في شجر مثمر، مش عارف يومها هي تفاحة هي نجاصة؟ .. طلتها عن الفرع ولا عن الأرض وأكلتها؟ في وحدة معايا رايحة قايلة عني إني طلت تفاحة وأكلتها... أنا قاعد مش مطلع عإشي، داير ضهري وقاعدين، أجت المرة صاحبة الشجرة والله هيك غمضت ديتها.. (أي ضمت قبضة يدها) وضربتني على زرد ضهري وتقول يجعلك ما توكليه وما ينفعك..." (ملكة، 63 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/16).

ولكن وبالانتقال للجيل الثالث، فقد لاحظت أن البعض تحدث عن العنصرية بطريقة مختلفة إلى حد ما، حيث لم يكن الكلام عن عنصرية شعروا بها من غير اللاجئين، بل ظهر من حديثهم وبالرغم من أنهم لاجئين، أن لديهم نوع من العنصرية تجاه اللاجئين الآخرين. وهذا يشير إلى نقطة مهمة وهي العنصرية بين اللاجئين أنفسهم،

كالعنصرية ممن هم خارج المخيمات ضد من هم من المخيمات أو العكس، أي أن العنصرية لم تعد تقتصر على اللاجئ وغير اللاجئ، بل اتسعت لتصبح بين اللاجئين أنفسهم فتقول رائدة:

> بحس العنصرية موجودة تجاه المخيمات والناس الموجودين بالمخيم، أنا مثلاً كنت البنت الوحيدة بالمدرسة اللي جاي من برا المخيم، كنت ساكنة بالضواحي، كانوا شايفيني بنت غريبة عليهم وكنت أنا أحسهم غير عني... يعني هم لاجئين وأنا لاجئة بس هم بنات مخيم كانوا .. فكانوا يعاملوني غير ودايماً ينتقدوني..." وتضيف أن والدها رفض أن يقيموا في المخيم قائلة: "أبوي رفض نسكن المخيم، حتى رفض يدرسنا بالمدرسة اللي فيها المخيم ورفض يدرس أختي مع انه ما طلعلها بمدارس رام الله... لأنه ما بحب أبوي، وبيعتبر المخيم غير عننا.... درسنا في مدرسة الوكالة بعدين أبوي طلعنا كلنا.. ما خلانا عشان المخيم... قال ما بحب انه تختلطوا بولاد المخيم لأنهم ثقافتهم غير"!! (رائدة، 27 عام، مقابلة بتاريخ 2012/6/18).

وتقول لبنا عن أقاربها في مخيم الوحدات بالأردن:

> "أنا شخصياً مع إني فلسطينية وأهلي لاجئين وعاشوا بهذا المخيم بس أنا استفزيت كتير من المكان وأكيد ما رح ارجع أدخلو... بحس حتى بيئة الناس كتير سيئة، العقلية... ما بيتقبلوا الآخر ... بتحسيهم رجعيين .. غير عنا" (لبنا، 28 عام، مقابلة بتاريخ 2012/5/16).

ثالثاً: دور المرأة الفلسطينية

يعمد الكثيرون ممن يتحدثون عن فترة النكبة عام 1948 وما بعدها إلى تهميش دور المرأة وإظهارها على أنها عنصر غير فعال بالأحداث ومجريات التاريخ، فيظهرونها على أنها مجرد تابعة للرجل ويحملونها بطريقة غير مباشرة جزء من المسؤولية كون خروج عدد كبير من الفلسطينيين في ذلك الوقت جاء بسبب "الخوف" عليها وعلى عرضها كونها مخلوقة ضعيفة غير قادرة على حماية نفسها. وهناك من كان أقل تطرفاً في هذا السياق واعتبر أن المرأة لم تكن غائبة تماماً ولكنها كانت تقتصر على القيام بأعمالها الطبيعية التي كانت تشكل نوعاً من المساعدة للرجل في تلك الفترة، كالطبخ وحفظ الأموال والأوراق والرعاية بالأطفال.

وهذا ما ورد في روايات البعض من الرجال والنساء الذين قابلتهم، فتقول أم حسين:

"النساء، دورهم يعملوا أكل ويحضروه للثوار ويودوهم للثوار يطعموهم، شو بدو يكون دورهم، لا يلبسوهم ولا يمشوهم مع الثوار" [ويتدخل إبنها ليقول]: "رجال غاد ما كانتش تلاقي دور.. سلاح ما فيش، هتلاقي سلاح لمرأة؟!.... الدور عليهم اليوم يا ستي" (أم حسين، 70 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/8).

ويقول أبو مصطفى: "المرأة في الهجرة.. في ناس شحدن، وفي ناس اشتغلن عند الناس، وفي يلقطوا زيتون وناس يسرحن عالحصيدة". ومن ناحيتها تحدثت الحاجة أم منير عن دور المرأة بشكل عام قائلة:

"المرأة هي اللي متوقف عليها الرجل، مين اللي بيدفع الرجل للأمام؟ مهي المرأة... كانت كتير تجاهد بالهجرة، يساعدوا رجالهم يتسللوا من تحت السلك يروحوا يقطفوا أو يسرقوا البرتقال ويعملوا اللي بدهم إياه عند اليهود ويرجعوا" (م منير، 72 عام، مقابلة بتاريخ 2012/2/12).

ولا بد هنا من الحديث عن دورها هي كامرأة فلسطينية لاجئة، فما زالت حتى اليوم تلعب دوراً هاماً، فهي مربية فاضلة ومشرفة على الطالبات الفلسطينيات في مصر، أظهرت من خلال كلامها والتعامل معها تميزها بقوة الشخصية والثقة بالنفس. تعمل هذه السيدة على مشاركة تجربتها وعائلتها خلال اللجوء والتهجير، وتنقلها للطالبات اللاتي تعمل معهن، تغرس فيهن حب الوطن وحب العلم وتشجعهن على الحفاظ على أصولهن الفلسطينية، فبالرغم من أنها عاشت في مصر منذ صغرها، ما زالت تتحدث باللهجة الفلسطينية القديمة وتستخدم الكلمات و المصطلحات التي كانت تسمع جدتها وأمها يستخدمنها. تعلم طالباتها طبخ المأكولات الفلسطينية التقليدية، وينتجن أعمال يدوية فلسطينية. أيضاً أشارت إلى أنها تشجع أبنائها على الزواج من داخل فلسطين حتى يتمكنوا من العودة للإقامة والسكن فيها كي لا يعتادوا الغياب عن فلسطين، ولكي يقتربوا أكثر من أراضي أجدادهم في يافا.

أما أم كرم... فكل قصتها التي روتها تظهر دور المرأة، ولو كان ممكناً لوضعت كل كلمة قالتها في هذا البحث.. ففي كثير من تفاصيل حياتها وحياة أبنائها كان دور الأب أقل، مع أنها أكدت أنه كان يعمل ولم يحرم أطفالها من شيء بالرغم من قلة المعاش... لكنها كانت تردد كثيراً خلال روايتها استخدام صيغة المتكلم ... "بدي أنيم

ولادي.... بدي أطعمي ولادي... بدنا نعيش" وهذا إن دل على شيء إنما يدل على عظم الدور الذي اضطلعت به خلال تلك الفترة. وتقول والحسرة بنبرة صوتها وبلمعة عينها:

"كنت أروح أشتغل عالبيوت... عند الناس... بدي أعيش، بدي أعيش ولادي... أخبي عن نفسي، أشتهي ألبس لبسة، أشتهي أوكل أكلة... يعني الحمد لله... ضليت أحوّش أحوّش وبقيت أحطهن في البنك كل ما أروح على عمان، ما بقاش هون بنوك... أروح على عمان أحط 200 – 300 ليرة أكون محوّشهن... اشتريت هالأرض... ببلاش ما كلفتنيش ألف دينار... من تعبي وشقايا... جوزي فلس ما حط معايا فيها" (أم كرم، 80 عام، مقابلة بتاريخ 2012/1/20).

أما الحاجة أم غنام فقد ذكرت دور المرأة في حفظ حجج الملكية والنقود في تلك الفترة عندما تحدثت عن أن أمها تمكنت من إخراج جميع الحجج والكواشين الخاصة بهم قائلة: "إمي طلعت كل الحجج والكواشين مع اخوي...الوراق مع اخوي... دار عمي لا أما دار أبوي آه امي مطلعة..صاحية". لكنها أيضاً أشارت إلى طبيعة المجتمع والوضع السائد في فترة النكبة والذي كان برأيها يمنع المرأة من أن تقوم بدور ملحوظ ومؤثر، حيث قالت:

"الناس بقوا يا خالتي مش زي اليوم... تعليم كثير ما بقاش... هلقيت الناس المرأة بتتعلم والمرأة بتدخل في الدولة والانتخابات وبتسوي كل شي... زمان بقاش هذا الحكي... زمان بقت المرأة تتجوز ويمكن خطيبها ما يشوفها.. مش زي اليوم" (أم غنام، 70 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/8).

أيضاً عبرت عن أن صبر المرأة وتحملها جلل المصاب وتبعاته هو أمر مهم بحد ذاته، فبالنسبة للمحتل الإسرائيلي، لا فرق بين رجل وامرأة فيما يحصل من مأساة، وهي شخصياً روايتها تظهر ما تحملته المرأة في أعقاب النكبة: ""أنا انسحبت وقعدت 30 يوم في التحقيق عشان ولادي... فش اشي نخاف عليه... بقوا يوخذوني من المسكوبية يجيبوني عند ولادي ويرجعوني عالمسكوبية".

فيما سبق، يظهر الحديث عن دور المرأة الفلسطينية عاماً وموسعاً وجاء كإجابات مباشرة عند التساؤل عن الدور الذي لعبته المرأة فترة النكبة وخلال رحلة التهجير، لكن عند سماع روايات اللاجئين أنفسهم وتجاربهم بشكل عام وفي إطار الحديث عن جوانب أخرى في تلك الفترة، ظهر لدى المبحوثين، ذكوراً كانوا أم إناثاً، بروز لدور المرأة بشكل أكبر وأعمق مما تحدث عنه التاريخ المكتوب، ومما أجابوا عنه بأنفسهم عند سؤالهم عن ذلك. فحتى لو لم

يتم الحديث بشكل مباشر عن دور المرأة الفلسطينية فترة النكبة وما بعدها، كان يظهر ذلك الدور جلياً من خلال كلام المبحوثين خاصة في مقابلات الجيلين الثاني والثالث، حيث كان حديث هذه الفئات من المبحوثين يسلط الضوء على أثر ودور الأمهات والأخوات في كثير من المواقف خاصة فيما يتعلق بنقل الروايات والأحداث التي شهدوها خلال النكبة، فمثلاً، يروي السيد كرم عن أمه:

> "امي هي بتحكيلنا اكتر شي، وامي بتتذكر لحد الآن لما كانت حاملة الكيس هذا فيه أغراض اللي يناموا فيها ... بتتذكر بعدين أبوي ما كانش حاكيلها، بعدين عرفت انه كان مخبي بارودة في الكيس وتمشي وتمشي بدون ما توقف.. لما حطت الكيس سمعت شي طأ (طق) في الفقرة، وردت بعد شوي تريحت وحملت الكيس وكملت مشي... من يومها بتشعر بوجع بضهرها" (كرم، 65 عام، مقابلة بتاريخ 2012/11/10).

أما في مجال المقاومة، فلم يأتِ الكثيرون على ذكر الدور المقاوم للمرأة الفلسطينية، حيث لم يشر إلى ذلك صراحة إلا الشاب أدهم عندما تحدث عما كان يسمعه عن إحدى نساء العائلة التي استشهدت فترة النكبة وقال أنها "تدعى الحجة فتحية وهي معروفة كانت هي وشخص ثاني مقاوم، هي كانت تقلو (تنقله)، يعني دورها كان شوي عملي مش مساند".

وقد أشار الكثيرون إلى أن المرأة الفلسطينية اقتصر دورها خلال الهجرة وبعدها على الاهتمام بشؤون أولادها التي كان الرجل قد تركها، إلا أن المواقف التي اضطلعت بها تلك المرأة لا تقل أهميتها عن أهمية حمل السلاح حينها، فإن دور المرأة وإن لم يكن ظاهراً وواضحاً في ذلك الحين، وحتى إن لم تكن شاركت كثيراً في الأعمال المسلحة كما يقولون، يظهر الأثر العميق الذي تركه وجود المرأة الأم والزوجة والأخت في حياة اللاجئين التي يروونها. فمثلاً السيد أبو صالح، والذي أصبح معلماً وعاش من مهنة التعليم، يذكر كيف حاربت أمه من أجل أن يكمل تعليمه رغم كل الظروف الصعبة، فقد جاءت أحداث النكبة في نهاية عام دراسي مما أجبر الأطفال الفلسطينيين أن يتركوا مقاعد الدراسة وأن يحرموا من فرص التعليم والدراسة لأسباب كثيرة أهمها كان كثرة التنقل والتشتت، وأحياناً كان بسبب رفض مدارس القرى الأخرى استقبالهم:

> "لما رجعناع طوباس وبدي ادخل الصف الثالث كان العام الدراسي بادي...مدير المدرسة رفض انه يقبلني بالمدرسة على افتراض انه فش وساع وعلى افتراض

إني ماكملتش صف ثاني فكيف بدي ادخل صف ثالث... طب ما كملتش ثاني.. بدخل ثاني....! لا ما فيش إلك مدرسة... لم أعد إلى المدرسة إلا بعد اعتصام والدتي في بيت المدير وإسماعه أنها لن تخرج من البيت إلا إذا قبلني في المدرسة... واستطعت بهذا الطريق أن أعود إلى المدرسة.. يرحمها الله هي كانت سبب عودتي إلى المدرسة ولا المدير بكل بساطة فش إلو محل.. ومع ذلك فهو لاجئ، بديش أذكر أسماء... كان لاجئاً وقال أن اللاجئين مالهمش مدارس" (أبو صالح، 72 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/21).

الخلاصة:

تبين في هذا الفصل، وبالرغم من صعوبة حياة المخيم وظروفه، إلا أن معظم المبحوثين المقيمين في المخيمات أظهروا قناعة ورضى بتلك الحياة. ولكن من جهة أخرى، ظهر تباين في مدى الارتباط بهذا المخيم بين الأجيال المختلفة، فقد لوحظ انخفاض في مستوى التعلق بحياة المخيم مع مرور الوقت، ففي حين كان الخروج من المخيم مرفوضاً بشكل كبير بين أبناء الجيل الأول، بدأ هذا التمسك يتضائل شيئاً فشيئاً لدى أبناء الجيل الثاني، أما أبناء الجيل الثالث فلم تعد مسألة الخروج من المخيم وتركه تشكل مشكلة أو أمراً مرفوضاً لديهم، بل على العكس كان عدد كبير منهم قد تركوا حياة المخيم فعلاً وانتقلوا للعيش خارجه، في حين لم يبدي من لازال مقيماً فيه أي تحسس عند الحديث عن احتمال الخروج منه.

أما فيما يتعلق بوكالة غوث وتشغيل اللاجئين (الأونروا) فلم يظهر اختلاف يذكر في توجهات اللاجئين –على اختلاف أعمارهم– في حديثهم وتقييمهم لأداء الأونروا تجاه اللاجئين، فجميعهم أكدوا على الدور السلبي الذي تضطلع به خاصة في الفترة الأخيرة، كما أشاروا إلى أنه وبالرغم من الدور الإيجابي الذي لعبته في الماضي من توفير مساعدات ودعم لهم، إلا أن معظمهم شكك في النوايا والأهداف المخبأة وراء ذلك.

وأخيراً، فيما يتعلق بموضوع العنصرية تجاه اللاجئين، سواء كانت تلك العنصرية من غير اللاجئين أو بين اللاجئين أنفسهم، فتبين أن الجيل لا يلعب أي دور في ذلك، بل هي تجارب شخصية تختلف من شخص لشخص ومن عائلة لعائلة، وأحياناً كانت تختلف من منطقة لمنطقة، فمثلاً جاء الحديث عن منطقتي دورا والنبي صالح ضمن المناطق التي مارست العنصرية ضد اللاجئين، في حين كانت مناطق أخرى قد رحبت بهم واستقبلتهم أحسن استقبال.

الفصل الرابع: آراء وتوجهات الأجيال

يمكن اعتبار هذا الفصل كاستطلاع لرأي المبحوثين بخصوص مسائل هامة وأساسية في حياتهم وقضيتهم، ويمكن التمييز بين ما سيتم عرضه من مقابلات المبحوثين في هذا الفصل عما تم عرضه في الفصول السابقة في أن هذا القسم سيعنى بعرض ما طرحه المبحوثون من آراء وتوجهات خاصة نابعة من طريقة كل منهم في الحكم على الأمور وتقييمها، وليس مجرد سرد لحدث ما شهدوه أو سمعوا عنه كما كان في الفصول السابقة. فكما تبين من تلك الفصول، فإن الحديث عن القرية الأصل أو عن مسار التهجير وحياة المخيم وغير ذلك، كان كله من منطلق تجربة تم ويتم عيشها فعلياً ويتم تناقلها عبر الأجيال بشكل فردي أو جماعي، لكن غالباً هي تجارب جماعية كون الشعب الفلسطيني عاشها بشكل جماعي وليس منفرد. أما الآراء الواردة هنا فهي عبارة عن توجهات خاصة تختلف الأسباب في تبنيها بين مبحوث وآخر، وقد يتشابه العديد منهم في هذه التوجهات والآراء إلا أنها بالنهاية تبقى فردية.

وقد يرى البعض أنه ما من فرق بين رواية التجربة وإظهار الرأي، خاصة أن الرأي هو بدوره مبني على أساس التجربة، لكن ما تبين من خلال المقابلات التي تم إجراءها مع المبحوثين ومن خلال الكلام معهم، سواء ما تم تسجيله أم لم يتم تسجيله، أظهر أنه وبالرغم من المرور بنفس التجربة وذات الرحلة بذات التفاصيل، إلا أن الآراء الفردية تختلف فيما يتعلق بالحكم على بعض القضايا الرئيسية والمركزية في القضية الفلسطينية، فقد تبين أن هناك عدة عوامل أخرى تؤثر على آراء اللاجئين وعلى حكمهم على الأمور غير ذلك الأثر الذي تضفيه التجربة الجماعية.

بداية لم يكن عامل العمر أو اختلاف الجيل هو السبب الوحيد أو الأساسي وراء اختلافات الآراء والتوجهات بين اللاجئين المبحوثين، فقد أخذت الاختلافات بين المبحوثين طابعاً مغايراً عما كان متوقعاً، حيث ظهر أن التوجهات العامة في الآراء والاختلافات الأساسية كانت تظهر في كل جيل من الأجيال الثلاثة على حد سواء، وكل توجه لجيل معين كان يظهر له مثيل في الجيلين الآخرين. ومن هنا تبين لي أن الاختلافات بين المبحوثين لا تعود فقط لعامل الجيل، بل أن هذا العامل لم يكن مؤثراً في بعض الحالات مقارنة بغيره من العوامل. فجاءت عوامل كعامل

الأسرة أو الانتماء السياسي أو التعليم لتترك أثراً واضحاً في بلورة آراء اللاجئين تجاه قضايا حساسة ورئيسية كحق العودة والمسؤولية والأجيال الأخرى. ناهيك عن أثر التغيرات الدولية والتغيرات الاجتماعية والدين والبيئة، بالإضافة لعامل مكان إقامة اللاجئ – مخيم أو غير مخيم.

ففي كثير من الأحيان، تكون الأسرة هي المصدر الأول لبلورة وتشكيل التوجه والرأي لدى الأطفال والشباب في البيت، وينشأ الطفل ليصبح شاباً وهو مؤمن بأن ما سمع والده أو جده يقوله هو الرأي الصائب، ويتمسك به كنوع من المسلمات التي لا مجال للتغيير أو التشكيك فيها. ويصبح تبني آراء الأجيال السابقة شيئاً فطرياً يؤثر على آراء الأجيال اللاحقة في المستقبل. فطفل في الخامسة أو السادسة من عمره لا يكون مدركاً لمعنى هتاف أو نشيدة حفظها أو سمع والده يرددها، لكنه يرددها وبفخر،[33] فمثلاً، أثناء مقابلتي والده الذي يعتبر من أنصار حركة حماس، التقيت بالطفل حمدي الذي كان منصتاً لكلمات والده وإجاباته خلال المقابلة ليفاجئني بانفعاله ودخوله في الحديث قائلاً: "أنا بحب حماس، واليهود أصلاً تسحسلوا [يقصد تسللوا] ع فلسطين وبس أكبر بدي أصير قسامي".

وقد ظهر أثر واضح للانتماء السياسي في طريقة تفكير الأفراد في هذه القضايا، فقد نلقى شقيقين من ذات العائلة وذات الجذور التاريخية ممن عاشوا ذات الظروف الحياتية، إلا أن ميول كل واحد منهم إلى توجه سياسي معين يفرض اختلافاً كبيراً في هذه التوجهات والآراء، حيث يتبنى كل منهم إلى حد ما التوجه العام للحزب أو الفصيل الذي ينتمي إليه أو حتى يدعمه فقط. لكن هذا الجانب لم يتم لمسه مباشرة من خلال المقابلات المسجلة، حيث أن مسألة الانتماء السياسي في هذه الأيام باتت تعتبر مسألة شديدة الحساسية في الساحة الفلسطينية، وبالتالي لم يكن المبحوثون متقبلين لفكرة التطرق لهذه الجوانب أثناء المقابلة، وكانوا يشعرونني بعدم رغبتهم في ذلك على الدوام، حتى أصبحت لا أتطرق لها بشكل مباشر أبداً كي لا أقابل برد فعل سلبي يؤثر لاحقاً على مجرى المقابلة ككل. لكن من خلال دخول المنزل والالتقاء بهم وبأفراد عائلاتهم والإطلاع على تفاصيل من حياتهم، كان يظهر جلياً أثر الميول السياسي، وكانت تظهر صور الابن السجين والابن الشهيد على نفس الحائط وبتوقيع فصيلين مختلفين، فالأول شهيد تنعاه حركة حماس والآخر أسير تمجده حركة فتح.

---

[33] وقد وردت مثل هذه التجربة في كتاب معاناة اللاجئ الفلسطيني، عندما ذكر الكاتب تجربته مع طفل لم يتجاوز الثلاث سنوات كان ينشد "والله ما نسينا... فلسطين بلادنا وضو عينينا" ويقول ... "أعرف أنه قد لا يعي تماماً ما يقول، ولكنني أعرف أيضاً أن هذه الأهاجيز ستنغرس في ذاكرته لتصبح إيماناً، يتحكم بكل سلوكه وسيرة حياته، فيبقى وفياً لدار آباءه وأجداده، وساعياً لتحقيق حلم حوالي سبعة ملايين لاجئ فلسطيني". (صالح 2010، 115).

تم تقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة أقسام رئيسية يغطي كل منها قضية معينة يبدي المبحوثون آرائهم فيها. يأتي القسم الأول ليتناول مسألة هامة وحساسة وهي مسألة المسؤولية، أي من هي الجهة التي تتحمل المسؤولية عما حل بالشعب الفلسطيني عام 1948، وبيان رأي كل مبحوث في هذا الموضوع. أما القسم الثاني فهو أيضاً يغطي آراء المبحوثين في مسألة بالغة الأهمية بالنسبة للاجئ الفلسطيني بغض النظر عن عمره وجيله، ألا وهي مسألة العودة وحق الرجوع إلى الأرض المسلوبة. وأخيراً يشتمل القسم الثالث والأخير على استعراض لآراء أجيال اللاجئين المبحوثين بالأجيال الأخرى.

<u>أولاً: المسؤولية:</u>

من خلال التساؤل عن الطرف الذي يعتبره اللاجئ مسؤولاً عما حصل للفلسطينيين من نكبة عام 1948، كانت معظم الإجابات الأولية والتي يفتتح المبحوث فيها إجابته توجه أصابع الاتهام لعنصر بحد ذاته كانت في معظم الأحيان تقتصر على أحد الطرفين، بريطانيا والعرب. ولكن من سياق الحديث على مدى المقابلة وتوصيف المبحوثين لما حدث في تلك الحقبة، كان يتم تحميل المسؤولية إلى أطراف أخرى وظهرت عوامل وأسباب فرعية أخرى قد لا تقل أهميتها عن غيرها، يرى المبحوثون أنها لعبت دوراً رئيسياً في أن وصلوا لما هم عليه من شتات ولجوء.

- **الجيل الأول**

في معظم الأحيان كان نص السؤال المطروح هو: لمن تحمل المسؤولية عما حدث لكم؟ ومن هو المسؤول عن الذي حصل؟ وما لفت انتباهي هنا أنه قليلاً ما قام أبناء الجيل الأول بتوجيه إصبع الاتهام مباشرة لليهود أو الصهاينة كمسؤول أول أو مباشر، بالرغم من أنهم العدو الأول للفلسطينيين والمستفيد الأكبر مما حل بهم، مثلاً حملت السيدة أم فرج المسؤولية لليهود قائلة: "اللي هجم علينا بتحمل المسؤولية، اليهود.. بعرفش عن الباقي"، وفي بقية الحالات كان يتم تحميل المسؤولية لليهود بشكل ثانوي ومرتبط بالدور البريطاني فقط. وفي المقابل، وبالرغم من أن الدور العربي في ذلك الوقت كان من المفترض أن يكون دوراً داعماً ومسانداً للفلسطينيين، وبالرغم من

أنهم دخلوا الأراضي الفلسطينية ليقاتلوا العدو الصهيوني، إلا أن عدداً كبيراً ممن تمت مقابلتهم حمل العرب مسؤولية مباشرة وكبيرة عن ضياع "البلاد". وحتى عندما لم تكن الإجابة المباشرة تحملهم المسؤولية، كانت كلمات اللاجئين في سياق المقابلة عن الجيوش العربية ودورهم تحملهم المسؤولية بطريقة غير مباشرة. مثلاً السيد أبو حامد حمل العرب المسؤولية المباشرة قبل أن يشير إلى مسؤولية بريطانيا التي سلحت اليهود وأيدتهم قائلاً:

> "أحملها أنا للدول العربية لأنها هي ما ساعدت... حياة عبد القادر الحسيني الله يرحمو بعث لجنة على سوريا مشان يعطوهم سلاح.. مع الأسف طلع عبد القادر الحسيني من سوريا صفر اليدين. ولا شي" (أبو حامد، 78 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/25).

كذلك كان رأي الحاجة أم غنام (70 عام) عندما قالت أنها تحمل المسؤولية لــ : "رؤساءنا اللي باعوا بلادنا.... للخونة العرب ... كل رؤساءنا هم اللي مش كويسين" وأبو مصطفى (87 عام) الذي قال: "كل العرب مسؤول عن *النكسة*..لأنه تخلوا العرب، حياة المرحوم عبد القادر بيك طلع على سوريا يجيب سلاح ما أعطوش... روّح زعلان"

وقد حظيت الجهات العربية بنصيب الأسد من حيث تحمل المسؤولية عن أحداث النكبة بالنسبة للاجئين الفلسطينيين، وتباينت أسباب تحميل العرب المسؤولية، فمنهم من اعتبرهم متعاونين، وآخرون اعتبروهم متخاذلين، سواء كان ذلك تخاذلاً في قتالهم ومحاربتهم كجيوش أم تخاذلاً في تسليح الشعب الفلسطيني، ولا يختلف هنا الحال بالنسبة للسيد أبو إسماعيل عمن سبقوه في هذا الإطار وهو الذي قال أنه يحمل المسؤولية:

> "للحكام العرب بالوقت هذاك.. أولهم عبد الله ونور السعيد وفاروق...هو اللي بيبقى مأجور بيقدر يطول شي من بيتي بلا ما أأمره؟؟... هذول كانوا مأجورين....الجيش الأردني أجوا معفرين قال دمرنا هداسا ودمرنا و و.. ثاني يوم إلا هم عالجسر عالشريعة رايحين... بقوا يضربوا قنبلة شرايط فاسدة .... كيف بدها تقابل مدافع إسرائيل وأميركا؟"(أبو إسماعيل، 78 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/21).

أما أبو نادي فقد اعتبر العرب مسؤولين وذلك بسبب ظروفهم في تلك الفترة المتمثلة بكونهم منقسمين وغير مجتمعين على رأي واحد، فقد اختلف العرب في تلك الفترة على طبيعة التعامل مع الموقف ومع القضية، ويقول أنه يحمل المسؤولية لــِ:

"الشتات العربي.. في كان مقاومين مع الحج أمين الحسيني.. وفي كمان واحد كان طلع في المنطقة هذي بعرفش اسمو... الثانيين زي اليوم فتح وحماس وجبهة شعبية... شرذمة كان في... هذا اللي خرب الدنيا... والجيوش العربية مش كلها على قلب رجل واحد... اللي كان يضرب ضرب مزبوط وللقضية وللشعب والله الجيش المصري.. اما الجيش السوري في يافا وفيه الحفّا تبعون الأردن هذول لابسين زنوبا والهم جدايل ... كلهم عالفاضي" (أبو نادي، 72 عام، مقابلة بتاريخ2012/11/27).

ولكن عند تحميل المسؤولية للعرب، لم يكن القصد مقتصراً على الدول العربية وجيوشها فحسب، بل يشمل ذلك أيضاً الفلسطينيين أنفسهم من مخاتير وقادة، وهذا ما عبرت عنه الحاجة أم كرم عندما قالت أنها تحمل المسؤولية لـــ:

"أهل هالبلد هالكبار اللي عاملين حالهم زعما... أي ما انتو اللي خربتوا البلد.... رحلوا العالم قام لاقينا البلد مصفية.... اليهودي صوفر هاد تبع الشرفة رمى مناشير في الليل وحط على بواب المخاتير.. قال ترحلوش يا أهل عين كارم إحنا وياكو سوا... أنا مستعد كل يوم انزللكو ترك خبز... ترحلوش.. تخافوش... وما ردوش المخاتير... كل واحد على راسو ورحلوا..."(أم كرم، 80عام، مقابلة بتاريخ 2012/1/20).

وهنا حملت الحاجة أم كرم "المخاتير" الفلسطينيين مسؤولية الخروج والتهجير، وهو ما ورد بشكل مباشر أو غير مباشر في مقابلات أخرى، فخلال الحديث مع الحاج أبو صالح من خبيزة، روى رواية سمعها تتردد على ألسنة كبار القرية أن قريتهم كان من الممكن أن لا تتهجر لولا قرار المختار، فحسب الرواية يقال أن رئيس مستوطنة جلعاد المجاورة جاء مع مجموعة من المستوطنين إلى بيت المختار ليمهله 24 ساعة ليقرر إذا ما أراد هو وأهل القرية أن يبقوا في القرية مسالمين فلا يمسهم أحد، أو أن يغادروا القرية، وهنا يقول الحاج أبو صالح:

"والمختار طبعاً أخذ قرار بالخروج، حسب الروايات، والمختار في تلك الأيام لما يوخذ قرار خلص يعني لا بد من الجميع أن يلتزم، أما ليش طلع، فهان بتصير التحليلات ويعمل الشك والظن، إنه هل كان متعاوناً معهم أو لم يكن متعاوناً معهم، أو أنه عنجهية وكبر ويعني كان مخدوع بقوات الجامعة العربية، بس كلها بتضل شكوك وظنون، وإن بعض الظن إثم.... وطلعنا من خبيزة على أم الفحم، قعدنا سنة في أم الفحم حتى سلمت عام 1949 ثم خرجنا مرة ثانية لكن الشاهد في الحديث أنه مختار القرية بقي في أم الفحم ولم يخرج وللآن هو وأولاده وأحفاده باقيين في أم

الفحم مع أنه هو اللي قرر أنه يطلعوا الناس!" (أبو صالح، 72 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/21).

وكذلك اعتبرت الحاجة أم منير "الكبار" أي القادة والمخاتير الفلسطينيين والعرب مسؤولين بقولها:

"هم الكبار ... اللي كانوا ماسكين... الحاج أمين الحسيني اول واحد خاين كان.... الملك عبدالله دخللنا الجيش.. لبسو الجيش الأردني ودخل حطهم بالجامع في اللد وطخهم كلهم عن بكرة أبيهم الشباب كلهم...أمين الحسني كان متفق مع عبد الله... كان في خيانة ولا ليش قتلوه في الجامع.... الملك فاروق بعت سلاح فاسد....هذي كانت خيانة عربية مدبرة ومين راسهم.. الانجليز هم سبب المشكلة" (أم منير، 72 عام، مقابلة بتاريخ 2012/2/12).

وإلى جانب أدوار هذه الفئات العربية التي تحملت مسؤولية في خروج أهالي القرى والمدن الفلسطينية المهجرة، يأتي الدور الذي لعبته فئة المتعاونين مع الإسرائيليين والجواسيس المندسين والمنخرطين في صفوف أبناء الشعب الفلسطيني. وقد أجمع الكثيرون ممن تمت مقابلتهم هنا – وبشكل خاص الجيل الأول- على الدور الخطير الذي لعبه هؤلاء وما زالوا يلعبونه ليومنا هذا. فحتى اليوم، تعمل هذه الفئة كثيراً في المساعدة على بقاء إسرائيل وأمنها وتحقيق مصالحها، وذلك من خلال استهداف المقاومين وضرب المصالح الفلسطينية في الصميم. وفي هذا السياق، كان الحاج أبو نادي من الساقية من أكثر من شددوا على أثر هذه الفئة منذ بداية النكبة الفلسطينية وحتى يومنا هذا، وبالحديث عن الفترات التي تلت النكبة، وخلال فترات ليست بالبعيدة تحدث الحاج قائلاً:

"إحنا هان اللي عامينا التقارير، عنا مرض.. يعني هذا فلان بشوّش على المجموعة تبعتي خليه جوا [أي بالسجون].. اليوم انقلبوا الشاطر اللي بيكتب تقرير بالثاني، قضيتنا بدها وحدة وتضامن" (أبو نادي، 72 عام، كقابلة بتاريخ 2012/11/27).

وبالرجوع بالزمن أكثر إلى الوراء تحدث الحاج عن "المندسين بين العرب" خلال بداية حياة المخيمات قائلاً:

"إحنا هان بالجلزون تاجت اليهود طلعنا فوق وصاروا اليهود يطخوا .. كانوا سيارات بس عليهن علم عراقي، ولما نزلت إلا زلمة لابس عباه واقف وبيقول ليش قاعدين؟؟ اطلعوا خذوا عيالكم واطلعوا، اليهود قاعدين بيذبحوا الشباب وبوخذوا البنات، وبعد ما هدي الوضع شفت الزلمة بيتردد عدائرة الحكم العسكري، وسألت واحد من وين هذا بقولي من أبو غوش... كانوا هذول زي مكتب ثاني زي ما بنقول [أي جواسيس] كانوا يخشوا يهيئوا الوضع لطلوع من البلاد لأنه إسرائيل ما بدهاش مواطنين.. وبدهم ياخدوا البلاد فاضية"(أبو نادي، 72 عام، كقابلة بتاريخ 2012/11/27).

أما عن مسؤوليتهم – أي العملاء– في تشجيع الخروج ومغادرة القرى والمدن أثناء النكبة، أشارت الحاجة أم منير أكثر من مرة إلى الدور الذي لعبه هؤلاء في تشجيع الهجرة حيث تقول:

"انتي عارفة كان في جواسيس هدول البيارية أغلبهم جواسيس متعاونين مع اليهود... أجى البياري لإمي قالها.. انتي معك اتنين شباب و4 بنات هلأ ممكن يحطوهم على حضنك ويدبحوهم زي ما حصل بدير ياسين..لازم تطلعوا....امشوا لأنه اليهود هيغتالوكم ويمكن يلحقوكم يغتالوكم اطلعوا" (أم منير، 72 عام، مقابلة بتاريخ 2012/2/12).

تميزت المقابلات السابق ذكرها في هذا السياق بأنها إلى حد ما عملت على تحديد المسؤولية بتحميلها إلى طرف واحد بشكل خاص وهو بالغالب العرب، لكن هناك من عمد إلى توسيع إطار المسؤولية المحملة من خلال وصف الوضع بشكل عام في فترة النكبة وبالإشارة إلى عدة جوانب مختلفة، فمثلاً كانت المسؤولية التي يحملها الحاج أبو صالح تتقسم بين عدة جوانب وهي كالتالي:

"كل من عاش في تلك الحقبة فهو مسؤول.. وكان يدرك.. لأنه على سبيل المثال كان بإمكاننا أن نبقى كما بقي سكان بعض القرى زي الفريديس بمنطقتنا ما طلعوش... في ناس بعد ما طلعوا على ام الفحم وعلى القرى المجاورة حسبوها صح، وظلوا زي أهل أم الزينات مثلاً... في ناس ما حسبوهاش صح وتشتتوا.... هذا جانب. ... والجانب الثاني الأنظمة الحاكمة. الجهل أيضاً كان عامل من العوامل... عملية التجهيل تمت في عهدين..الأتراك الطورانيين اللي حكموا الدولة العثمانية في أواخر عهدها وكانت سياستهم التجهيل والتتريك... أيضاً الإنجليز اللي انتدبونا وكانوا سبباً في ذلك..الأنظمة العربية التي حكمت الشعوب العربية بالحديد والنار وإلى يومنا هذا أيضاً مسؤولة... كل هذه العوامل تجمعت... ولا استبعد عامل المؤامرة...وبصورة رئيسية يجب أن يتحمل المسؤولية الانتداب البريطاني" (أبو صالح، 72 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/21).

وجاءت بريطانيا لتحتل المرتبة الثانية بعد الأطراف العربية من حيث تحملها المسؤولية حول نكبة عام 1948 بالنسبة للاجئي الجيل الأول، فكونها كانت دولة الانتداب المسيطرة على فلسطين وشهد التاريخ أنها ساعدت ودعمت العصابات الصهيونية وسلمتهم فلسطين بناءً على خطة مسبقة، يجعلها مسؤولة بنظر هؤلاء اللاجئين إلى جانب الصهاينة. فمثلاً أم سعد قالت أن المسؤولية على "الإنجليز... والجيش العربي ما سوى ولا شي... وهينا قاعدين بنستنى برحمة الله". وبالنسبة للحاجة أم حسين:

"بريطانيا هي سبب كل المشكلة لفلسطين.. هي اللي سلمت... يجي كان واحد ضابط يلف،... وإذا واحد سكين معاه.. يعني عربي.. بيجوز يا يعدمه..يا يحبسه أكم سنة سنتين ثلاث... أما اليهود يجيبوهم ويسلحوهم... يحطوا سماسرة يوخذ قطعة ارض واحد بغلاء ويعطيها لليهود... هذي بريطانيا السبب الأول والأخير... بريطانيا هي السبب واليهود" (أم حسين، 70 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/8).

والحاج أبو غانم حمل المسؤولية المباشرة لبريطانيا والاستعمار قائلاً:

"إحنا ما كانلناش رأي... كان الانتداب... يعني مين بدو يتحمل المسؤولية؟! الانتداب.... هذي مؤامرة دولية كانت على فلسطين خاصة"... أما عن الفلسطينيين والعرب فيقول: "الشعب مهو أعزل....الدول العربية مهي مستعمرة يعني هون مسؤولية الاستعمار" (أبو غانم، 75 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/21).

وكذلك بالنسبة لأبو زيد الذي حمل بريطانيا المسؤولية إلى جانب إسرائيل، لكنه اختلطت عليه المسميات للوهلة الأولى وأشار إليها بداية باستخدام اسم "أميركا"، ولكن من حديثه كان واضحاً أنه يقصد بريطانيا وليس أمريكا، وفيما يلي نص ما قاله:

"إسرائيل وأميركا هي سبب النكبة..التقسيم اللي صار وقتيها بدهم يعطوهم وطن قومي لإسرائيل.... أكتر شي بريطانيا هي اللي خربت عالشعب الفلسطيني واللي جابت إسرائيل... هي بريطانيا هيته اللي جابت وجعة الراس..... لاني أنا بشوف كانوا يجيبوا أفلام عالتلفزيون كانت اليهود تيجي بالليل على مينا يافا وينزلوهن اليهود بريطانيا.... لأنها حكمت بريطانيا وبعد ما خلصت سلمتها لإسرائيل" (أبو زيد، 73 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/21).

وظهر دور العامل الدولي في حديث الحاج أبو عوض، والذي حاول تفسير دور القوى العالمية وعلى رأسها بريطانيا في حياكة مؤامرة على الشعب الفلسطيني وتسليم فلسطين لليهود مقابل الاستفادة من أموال أغنيائهم للخروج من أزمة ما بعد الحرب العالمية الثانية التي أوقعت بهم خسائر مادية كبيرة، فيقول:

"المسؤول الأول اليهود وبريطانيا... لما صار المبيع والمشترى بحرب ألمانيا وتركيا... انكسرت ألمانيا وتركيا مع بعضها... انو بقى بيمول بريطانيا وفرنسا؟ اللوبي اليهودي ويمدهم بالمصاري ويمشو....قبل من زمان تركيا باقيين 5 أو6 كراتين يهود هان... لما تبقى ماشي انت وياهن تقول –اشمل– يظل عالشمال.. من الخوف. بس أغنيا.. وبريطانيا طالعة من الحرب فقيرة بدها توكل... بدها تلهط مصاري" (أبو زيد، 73 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/21).

وأخيراً، كان من أبناء الجيل الأول من اتسم كلامه بعدم التيقن أو عدم الإلمام بهذا الجانب من المقابلة، فقالت الحاجة أم عيسى مترددة "الله اعلم الإنجليز... الجيوش العربية.. ما كنا نشوف شي"، وكذلك كان الأمر بالنسبة للحاجة أم صبحي التي قالت: "ما بعرف... ما بعرف ليش طلعوا.. تقاتلوا ما تقاتلوا ولا شو صار.. إن جيتي لإمي وأبوي ما كانوا يخرفوا... الواحد يحكي الدغري".

- **الجيل الثاني:**

لم تختلف آراء الجيل الثاني كثيراً عن آراء الجيل الأول، فقد كان هناك شبه إجماع بين المبحوثين على تحميل كل من بريطانيا والعرب القسم الأكبر من المسؤولية، وقد يعود ذلك إلى كونهم مقربين من الجيل الأول واستطاعوا سماع وجهة نظره وذكرياته وخبراته حول هذه المسألة، لكن كان هناك زيادة في مدى تحميل إسرائيل واليهود المسؤولية مقارنة بالجيل الأول. وأبرز مثال على ذلك ما قاله السيد صابر الذي جمع بين الأطراف الرئيسية الثلاثة التي أشار إليها أبناء الجيل الأول (العرب وبريطانيا واليهود) ولكن مع تغيير ترتيبهم واضعاً اليهود في المرتبة الأولى قائلاً:

> "بحملها لليهود وبريطانيا. بريطانيا أكثر شي بتتحمل لأنها كانت محتلة فلسطين وساعدت اليهود في الاستيطان هانا وكانت تجيبلهم سلاح وتسلحهم والفلسطيني مسدس إذا مسكو معاه إعدام كانوا يعدموه.. هذا أبّياتنا بيقولوا هيك، يعني سكينة ممكن يروح فيها ست سنين..يعني تآمر كبير على الفلسطينية، كمان في كان تقصير من الدول العربية، المجاهدين كانوا يطلبوا سلاح، عبد القادر الحسيني كان يطلب سلاح من سوريا ومن الأردن ومصر، ولو كان في سلاح اليهود عمرهم ما أخدوا فلسطين" (صابر، 61 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/16).

ولقد انقسمت آراء الجيل الثاني من المبحوثين حول مسألة المسؤولية بين من يحمل المسؤولية لطرف واحد دون غيره، ومن يحملها لأطراف متعددة. ولكن هنا ظهرت فئة جديدة لم تظهر لدى الجيلين الأول والثالث وهي فئة الذين رفضوا تحميل المسؤولية لأحد. مثل السيد مناضل الذي قال:

> "أنا لا أحمل المسؤولية لأحد، اللي حصل في ال48 هو قدر، قدر الشعب الفلسطيني بالابتلاء وأنا بحملش ربنا مسؤولية... ربنا أراد أن تحدث هذه المصيبة ابتلاء للشعب الفلسطيني، امتحان للشعوب العربية قاطبة...هل ستعينهم هل

> ستعاديهم؟؟؟... من جانب آخر ربنا أراد أن يفضح الكيان الإسرائيلي ويكشفهم أمام العالم.... وكيف أحمل عدوي مسؤولية؟ وهل أحمل القدر مسؤولية؟؟ أحملها لنا هربنا من أرضنا؟؟ مهو الإنسان لما تتعرض روحه للخطر أمامه كل الخيارات أن يتصرف... لذا أنا لا أحمل المسؤولية لأحد" (مناضل، 64 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/16).

وكذلك قال كرم الذي حاول أن يتحدث من منظور تاريخي، فما حدث حدث، كما حاول تصوير اختلاط المشاعر والأفكار داخله عند الحديث عن هذا الموضوع، فهناك عوامل كثيرة لعبت دور ولا يمكن تحميل طرف محدد المسؤولية:

> "أنا بقول، بدي احكي بقدرية، بقول انه هيك التاريخ صار وبكل فترة تاريخية في مسؤولين حكام رجال وأقوياء بيعملوا اللي بدهم إياه بس التاريخ بتم يتغير، يعني زي الانجليز والعصابات الصهيونية وتخاذل الدول العربية وجهل الفلسطينيين كل هاي عوامل ساهمت في النكبة إلا انه التاريخ مستمر والحقيقة ما انتهتش وممكن لفلسطين كمان الظروف تتغير ويرجعوا عالبلد بطريقة أو بأخرى... كمان بقول: بسأل مرات بقولهم ليش خرجتوا؟ ليش ما تميتوا؟ ليش ما تم الواحد يموت يعني؟؟ يعني لازم الواحد ما خرج.. بيحكولنا كنا نفكر إنها أسبوعين .. حتى لو... بقدروش يقتلوا كل الناس" (كرم، 65 عام، مقابلة بتاريخ 2012/11/10).

وبالانتقال لمن لجئوا إلى تحميل المسؤولية لطرف واحد دون غيره، فسأبدأ بكلمات السيدة يسرى (52 عام) التي بدا أنها متأثرة بأحداث العالم الحديث ولم تتردد لحظة قبل أن تحمل أمريكا المسؤولية عما حصل قائلة: "لأمريكا، هيهم لليوم بغلبوا فينا". وأيضاً السيد كمال (67 عام) الذي قال "الحكومة البريطانية اللي سبب تهجيرنا وسبب قهرنا في هذه البلاد واللي ساعدت إسرائيل".

وهناك من حاول بداية حصر المسؤولية بطرف واحد لكنه ما لبث أن أدرك أن هناك أطراف أخرى مثل السيدة ميري (59 عام) التي أجابت على سؤالي عندما سألتها عمن تحمله المسؤولية مباشرة بالقول: "اليهود طبعاً مين بدو يكون؟" ثم عادت في قسم لاحق من الحديث إلى تحميل المسؤولية للعرب قائلة:

> "للعرب اللي ما ساعدوا، كأنه سلموا البلاد تسليم باتفاقيات بنعرفش عنها، سرية بس هلا الجيل إللي طلع ما سكتش عهذا الشي، هم رضيوا بالأمر الواقع وقعدوا وعاشوا... بس الجيل لما كبر ما بدو احتلال، بدو وطن.." (ميري، 50 عام، مقابلة بتاريخ 2012/10/14).

وكان ذلك الحال في إجابات عدد من أبناء هذا الجيل، فالسيدة انتصار (61 عام) التي حملت المسؤولية بداية لليهود ثم كررت ذلك قائلة: "اليهود طبعاً اللي طلعتنا وعملتلنا هالعزاب.. اليهود، وطبعاً بتعاون مع الرؤساء الكبار بس الأصل اليهود". ويرى السيد صبحي (53 عام) أن "بس بريطانيا، وطبعاً برضو الدول العربية عليهم لوم كثير".

ومن ناحيتها، لم تحصر السيدة ملكة المسؤولية بطرف واحد دون غيره فجمعت بين كل من العرب وبريطانيا واليهود في تحمل المسؤولية قائلة:

> "والله أنا بحمل المسؤولية أول شي للبريطانيين بعدين لتخاذل الدول العربية لأنه ما كانش حد عندو حساسية أنه هذي فلسطين تنو نجنّدلها جنود تتدافع عن أهلها.... الشغلة التالتة يعني اليهود الملاعين بتعرفي اليهود هم أساس كل بلاء" (ملكة، 63 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/16).

أما لطفي، فقد أظهر اختلافاً عند إجابته عن موضوع المسؤولية، فقد ابتدأ بتحميل المسؤولية للشعب الفلسطيني نفسه، كما أدخل طرفاً جديداً لم يذكره أحد قبله وهو "روسيا" حيث قال:

> "أولاً أنا أحملها للشعب الفلسطيني لأنه ما في عنده المحبة والمودة مع بعض... ولو كانت الناس عندها نفس القوة ونفس اللي إحنا فيه هلقيت –الوعي– ما طلعوا... ما كان لا طلعوا ولا صاروا مهاجرين ولا صارلهم اسم لاجئين بس كانوا ضعاف فش عندهم وعي وفش عندهم وعي ديني.... أما على هوا اللي سمعناه.. بتتحمل المسؤولية بريطانيا وروسيا، روسيا أول دولة بتعترف بإسرائيل وروسيا أول دولة ودت اليهود اللي في روسيا على إسرائيل قبل ما يجوا اليهود اللي في أوروبا... بعدين تبنتهم أمريكا واحتضنتهم بريطانيا يعني تلاتة مدللين دللوهم، وألمانيا بتساعد رغم انفها مش بخاطرها... ونحنا وينتا صار عنا جيوش عربية؟؟ اللي كان قائدهم بريطاني هذا جيش عربي؟؟ إذا لم يحكم العربي عربي لساناً وفصاحة هذا مش جيش" (لطفي، 63 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/16).

ويتفق معه السيد وليد في تحميل الشعب الفلسطيني المسؤولية بشكل رئيسي كونه اتسم بالجهل وعدم الوعي، إلى جانب أطراف أخرى وضحها كما يلي:

"المسؤولية يشترك فيها عدة أطراف، في طرف رئيسي أنا شخصياً بيجوز أحمله المسؤولية هو انه هناك كان في جهل عند الشعب فلسطيني وكان هناك تواطؤ من قبل الدول العربية وكان هناك استعمار بريطاني. التواطؤ العربي منذ الشريف حسين مع بريطانيا، وإحنا بنعرف انه الملك حسين الأول صاحب الثورة العربية والملك عبد العزيز – وهذا معروف وموجود بالتاريخ– وافقوا على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.. وسلمت فلسطين تسليم لليهود.. في ال48 كمان دخلت الجيوش العربية سحبت السلاح من الشعب الفلسطيني وهذا شيء عجيب بحجة انه لا نريد فوضى بالسلاح، مع انه كان هناك دعوة من قيادات في العالم العربي انه يا عمي سلحوا الشعب الفلسطيني ويكفيكم اليهود" (وليد، 50 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/15).

- **الجيل الثالث:**

يقول بول ريكور "إن الجيل هو مزيج من الذاكرة والتاريخ، هكذا هو وهكذا كان لكن بعلاقة وبنسب انقلبت على ما يبدو خلال مسيرة الزمن" (ريكور 2009، 597). يظهر أثر هذا الانقلاب في النسب بين (الذاكرة والتاريخ) عند الحديث عن المسؤولية عن أحداث عام 1948 بالنسبة للأجيال المختلفة، فبالنسبة للجيل الأول كانت الذاكرة طاغية على التاريخ، فكانوا يبنون آراءهم حول المسؤولية بناءً على ما يذكرونه من ذلك العام، فهم يذكرون أن بريطانيا كانت هي المهيمنة على البلاد كونها كانت دولة انتداب تستعمر البلاد، ويذكرون أن الجيوش العربية دخلت ولم تنجح في حماية حقوق الشعب الفلسطيني أو تحقيق ما أرادوه بالعودة إلى بيوتهم وأراضيهم، لذا ساد الرأي الذي يحمل كل من بريطانيا والعرب المسؤولية الأكبر.

وبالانتقال بالحديث إلى آراء الجيل الثالث حول من هو الطرف المسؤول عما حل بالفلسطينيين عام 1948، فقد ظهر تغير ملحوظ في مستويات المسؤولية التي يحملونها للأطراف المختلفة، فتجربتهم وذاكرتهم الخاصة تركزت على ما يفعله الإسرائيليون والاحتلال الإسرائيلي في فلسطين من ممارسات وانتهاكات، كما حظي جيلهم بفرصة الإطلاع على مصادر أخرى غير ذاكرة آبائهم وأجدادهم، مصادر فتحت لهم أفقاً أوسع وبينت لهم حقائق أكثر حول التخطيط الصهيوني الطويل للسيطرة على فلسطين. لذا يظهر لدى أبناء هذا الجيل ميل أكبر إلى تحميل المسؤولية الرئيسية إلى اليهود وإسرائيل بشكل خاص. فمثلاً قالت الآنسة سيرين عند حديثها عن الطرف الذي

يتحمل المسؤولية: "أكيد اليهود انو بدو يكون يعني؟!" وكذلك اعتبرت رائدة إسرائيل هي المسؤولة بشكل كامل قائلة أنها كلاجئة تحمل المسؤولية: "لليهود للإسرائيليين، لأنه هم كان عندهم قوة وقوتنا مش بقوتهم".

وظهرت الإشارة إلى العامل الدولي بشكل أكبر في مقابلات هذا الجيل أكثر مما ظهرت في الأجيال الأخرى، فالدور العالمي بشكل عام دون تحميل طرف أو دولة محددة كان ملحوظاً لدى مبحوثي الجيل الثالث، ويظهر ذلك جلياً في ما قاله كريم عن تحميله المسؤولية لأوروبا والاستعمار الأوروبي ككل طبعاً إلى جانب إسرائيل، وأنقل عنه قوله التالي:

> "ازا لازم نلاقي مسؤول، أول مسؤول إسرائيل، يعني اليهود اللي كانوا موجودين سنة 48 والحركة الصهيونية، بس ازا بننظر لشو هي الحركة الصهيونية فهي شي جاي من أوروبا، أوروبا ساعدت هاي الحركة عشان تتواجد في فلسطين، بعتقد كل أوروبا، بريطانيا هي الأساسية لأنها كانت بفلسطين بس الحركة الصهيونية هي استعمار والاستعمار كان أوروبي والفكرة جاءت من أوروبا والأشخاص اللي فيها أوروبيين، يعني ما كان في يهود عرب في الحركة الصهيونية في البداية... قبل كان في مشكلة مع اليهود في أوروبا واستغلوا الفرصة بعد الحرب العالمية التانية عشان يقولوا هلأ بنتخلص من اليهود وخليهم يطلعوا أحسن... بالنسبة إلى أوروبا كلها مسؤولة" (كريم، 28 عام، مقابلة بتاريخ 2011/11/10)

وطبعاً لا بد من التأكيد على عدم إمكانية تعميم توجه معين دون غيره على أي جيل من الأجيال، بل اتسمت الأجيال الثلاثة المبحوثة بتقاربها وتشابهها في معظم النقاط، وكما هو الحال مع الجيلين الأول والثاني، ظهر لدى أبناء الجيل الثالث ذلك التوجه السائد، وهو الأقرب إلى ما هو موجود في التاريخ المكتوب، والمتمثل بتحميل المسؤولية لأكثر من طرف من الأطراف المعنية، إلا أن المختلف هنا هو طريقة التعبير عن هذه المسؤولية وهذه الأطراف، فجاء السيد حسن ليتحدث عن:

> "أولا المشروع الإسرائيلي الصهيوني الاستيطاني الاحتلالي الذي يؤمن انه يريد ارض بلا شعب، والذي قام بتهجير السكان والعمل على تقليل عدد السكان الأصليين بكل الوسائل من إرهاب والعنف ... وثانياً المجتمع والطبقة السياسية الفلسطينية بشكل جزئي لكونها لم تكن على مستوى المسؤولية والحدث بعدم قيامها بدور توعوي للناس لحثهم على عدم ترك الأرض بل وساهمت بعض الفئة المثقفة من خلال بعض التهويل والتخويف اللي أدى للتهجير، وثالثاً المجتمع الدولي الذي تعامل

مع القضية الفلسطينية على أنها قضية إنسانية وليست قضية سياسية وهو ما يتم إلى الآن" (حسن، 39 عام، مقابلة بتاريخ 2012/9/27).

وكذلك الأمر بالنسبة للآنسة منال التي قالت أن المسؤولية:

"إلها أكتر من جانب، إزا حسبناها على أنه في جهات عربية، .. ولعبة الانتداب البريطاني والتخطيطات والمعاهدات اللي عملها... كمان لعبة الإستراتيجية انه تم ضرب فلسطين بالعمق وعرف ايمتى يضربها ووين ويضربها.. وبالنسبة للعرب، إما انه قلة وعي وما كانوا واعيين للعبة، أو أنه قالوا انه بريطانيا مستحيل تسلم فينا" (منال، 24 عام، مقابلة بتاريخ 2012/1/6).

وقد يكون من غير المنصف تحميل المسؤولية للجيل الأول، بل على العكس من الأجدر أكثر بحق هؤلاء التماس العذر لهم وعدم تحميلهم وزر أمر لم يكن بيدهم بدءه أو إنهاءه؛ فلا يمكن لشخص لم يمر بالتجربة أن يحكم على من مر بها هكذا أحكاماً، لأن من تتعرض حياته لأي شكل من أشكال التهديد يحق له التصرف كما يريد حفاظاً على حياته، وقد لا يكون مدركاً تحت وطأة تلك الظروف لما سيترتب على تصرفه من نتائج، وأي منا قد يفعل ما فعلوه أو أكثر في حال تعرضت حياته للخطر. ومع ذلك كان هناك من ألقى بالمسؤولية على عاتق الجيل الأول بشكل أو بآخر، وكانت لبنا من أولئك الأشخاص، فهي وبالرغم من أن مضمون إجابتها حول هذا الموضوع لم يكن يحوي اختلافاً جوهرياً عما ورد في المقابلات الأخرى، فهي جمعت بين عدة عوامل حملتها بشكل ما مسؤولية أحداث عام 1948، أو بشكل أخص، مسؤولية ما حال إليه حال الفلسطينيين من تشتت وتهجير، وجاءت على ذكر العرب والجيوش العربية، الإشاعة، والمجتمع الدولي ككل، إلا أن طريقة ابتداءها بالإجابة كانت إلى حد ما مفاجئة عندما سألتها "لمن تحملين المسؤولية" فردت قائلة:

"**لمُخ جدّي**،... لأنه هي القضية انه إحنا في بلدنا ما صار إطلاق نار، إحنا لأنه بيقولوا في اغتصاب للستات، يعني للمخ والتربابة والعصبية الرجولية في المجتمع الفلسطيني هي اللي ضيعت دير طريف، للجيل الأول طبعاً وهن كلهم ندمانين"... [ثم تعود لتقول] ... صعب نحمل المسؤولية لحدا، يعني هو من الأول كان غلط إنهم يطلعوا بس لمجرد إشاعات طلعت، يعني الإشاعة لعبت دور كتير كبير والازاعات العربية اللي تحكي (*وتتحرك القوات العربية المسلحة*)، وطلع كلياتا فراطة وطلع سلاح خربان وروحوا وهربوا... بالأخير العرب بتحملوا المسؤولية كاملة، الفكر تبعهن ... كمان ارجعي بالتاريخ المجتمع الدولي ما كان ناضج هلقد، وما كان التعامل معنا بمنظور لاجئ وإنساني... بتعرفي انه قوى عظمى ومسار

السياسة هو اللي بيحكم المجتمع الدولي، قوى عظمى قررت تساوي إسرائيل هون فإحنا **حقنا ضاع**" (لبنا، 28 عام، مقابلة بتاريخ 2012/5/16).

ثانياً: حق العودة:

الشكل (4): من صفحة "ثورة اللاجئين الفلسطينيين" على موقع الفيس بوك.
https://www.facebook.com/palatora?ref=ts&fref=ts

"لقد أصبح الحلم بالعودة إلى الديار في فلسطين تراثاً يتناقله اللاجئون جيلاً بعد جيل، ويلقنه الكبير للصغير عهداً ووعداً"[34]

يعتبر حق العودة بالنسبة للفلسطينيين حقاً مقدساً، فيمكن للشخص أن يلحظ أن كل اللاجئين- كباراً وصغاراً- يطالبون بالعودة، ولا نجد قصيدة أو شعاراً أو هتافاً وطنياً إلا وكان مرتبطاً بحق العودة بشكل أو بآخر. وبات مفتاح البيت القديم يشكل رمزاً هاماً من رموز القضية الفلسطينية، وأصبح شعاراً أساسياً في مختلف جوانب النضال والحياة الفلسطينية. فما أن تخرج مظاهرة إلا وترفع فيها مفاتيح العودة، والنساء الفلسطينيات ترتدين قلادات مفتاح العودة، وكذلك الأسرى في السجون، ينسجون ويصنعون من أبسط المواد أشكال مختلفة من المفاتيح التي ترمز للعودة، وحتى الرسومات على جدران المخيمات وتلك التي على الكتل الإسمنتية المكونة لجدار الفصل العنصري... كلها مرتبطة بالعودة وحق العودة.

[34] مما أعجبني في كتاب معاناة اللاجئ الفلسطيني قصة رواها حدثت عام 1987 مع بدايات الانتفاضة الفلسطينية الأولى عن شاب من قرية دير ياسين سأله ضابط إسرائيلي: "أما زال أبوك يحلم بالعودة إلى دير ياسين؟.. فأجابه الشاب: إذا كنتم أنتم لم تنسوا أننا من دير ياسين، فكيف تريد منا أن ننسى ذلك؟" (صالح 2010، 114).

وهنا أذكر ما كتبه احمد سعدي حول هذا الموضوع وتفسيره لرمزية مفتاح العودة بالنسبة للاجئين عندما قال "كان مفتاح البيت رمزا للعودة، لا العودة إلى البيت المتروك هناك فحسب، بل إلى الحياة الطبيعية أيضاً، حياة تملؤها الكرامة ومشاعر الدفء، لذلك أصبح المفتاح الرمز المادي في حياة اللاجئ والتركة الأخيرة التي يورثها الأب لأبنائه" (سعدي 2006، 65/64).

الشكل (5): من صفحة "ثورة اللاجئين الفلسطينيين" على موقع فيس بوك.
https://www.facebook.com/palatora?ref=ts&fref=ts

وقد شدتني عدة رسومات كاريكاتيرية معبرة عن حق العودة، كان أبرزها صورة امرأة فلسطينية بسيطة، تظهر جالسة على الأرض حافية القدمين وترتدي الثوب الفلسطيني وعلى رأسها الحطة الفلسطينية، وتبين الصورة هذه المرأة حاملة طفلها الرضيع المغطى بالعلم الفلسطيني، وترضعه من خلال مفتاح وهو رمز العودة. وذلك إشارة إلى أن الأمهات الفلسطينيات يرضعن أطفالهن منذ ولادتهم على إدراك أهمية حق العودة، فينشأ الطفل منذ نعومة أظفاره ويربى على الإيمان بحق العودة و"فلسطين الوطن" و"القرية الأصل" بحيث تصبح بالنسبة له مسائل فطر عليها لا ورثها أو تعلمها فحسب.

وعند طرح هذا الموضوع على اللاجئين المبحوثين من خلال رأيهم بحق العودة، أهو حلم أم حقيقة وما مدى أملهم بتحقق هذه العودة، أكدوا جميعاً على تمسكهم بهذا الحق باعتباره حقاً ثابتاً وخطاً أحمر لا يمكن التنازل عنه،

بالرغم مما يظهر على الساحة السياسية الفلسطينية من تهميش أو تساهل في التعامل مع هذه القضية فيقول أبو نادي (72 عام):

"إحنا متمسكين فيه، بس شايفين عالساحة أوضاع ثانية وهذا ما بيشجعش، أوضاع مساندة لإسرائيل، واللي ماشيين بالأوضاع جواسيس لإسرائيل.. على الشعب نفسه..."

وكذلك الأمر بالنسبة للحاجة أم منير (72 عام) التي كانت رافضة لطريقة تعامل القيادة الفلسطينية مع مسألة العودة وحل القضية الفلسطينية حيث قالت:

"انأ وحدة بتنازلش عنه... إلا ارجع بحق العودة .... بس حقوقنا أخذوها تبعون الشوربة اللي راحوا هناك (أوسلو)... وهاي حلول دولة ودولتين ...هذا غلط"

ومن الجيل الجديد، كريم (28 عام) اعتبر أنه وبغض النظر عن مدى احتمالية تحقق العودة للاجئين الفلسطينيين، إلا أنه يبقى حقاً وثابتاً من الثوابت التي لا يجب التفريط بها ويقول:

"حق العودة أكيد أساسي، بالنسبة إلي لازم نفصل الأشياء، من المستحيل انه نرجع بس لازم نضل مرتبطين بشدة بحق العودة، مش لازم نتراجع عنه، لازم نطالب فيه ونقاتل عشانه"

كما أكد الجميع من مختلف الأجيال على رفضهم لأي بديل عن حق العودة كالتعويض[35] أو غير ذلك، فمثلاً من الجيل الأول تقول الحاجة أم حسين:

"إن شاء الله بتحقق بأمر الله إذا بيجوا المسلمين والعرب ومع بعضهم يتحدوا مع فلسطين إلا إن شاء الله يرجع كل واحد لبلده... أما التعويض لأ لأ... اللي بوخذ تعويض بيكون خاين عميل وهذا إحنا ما بنقبلو... والله لو بيحطولي أنا كنوز الأرض في حبة تراب ما بعطيهم" (أم حسين، 70 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/8)

ومن الجيل الثاني يقول السيد كمال:

"إحنا بنقول إن شاء الله عشمنا بوجه الله، وطبعاً لا بد للقيد أن ينكسر وبإذن الله إلا الرجوع يتم... أما أنه إحنا نعمل وطن بديل أو نوخذ تعويضات من اليهود أو من

---

[35] أود هنا أن أشير إلى نوع مختلف من التعويض جاءت على ذكره إحدى المبحوثات من قرية دير طريف من الجيل الثالث (لبنا) عندما أشارت إلى أنها ترفض التعويض الإسرائيلي قائلة: "أنا أرفض التعويض من إسرائيل.. شو بدنهن يعوضوا تيعوضوا؟!!" ولكن بالمقابل– ونظراً لما انتشر عن بيع أراضي دير طريف مباشرة من مالكيها لليهود- أكدت أنها ستسعى للمطالبة بالتعويض هؤلاء الأشخاص شخصياً إذا ثبت أنهم باعوا، ستطالب بالتعويض عن الضرر النفسي الذي تسببوا به لجدها الذي وعلى حد قولها "توفى وهو مشوه نفسياً" وهو ينتظر يوم عودته في حين قام آخرون بسرقة كواشين الأراضي وبيعها ثم سافروا إلى تركيا ليعودوا ويصبحوا من أغنى أغنياء رام الله.

غير اليهود عأساس أنه ما نرجعش على وطنا، هذا حكي لا يمكن يصير" (كمال، 67 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/21).

أيضاً سليم من الجيل الثالث يرفض التعويض قائلاً:

"أما التعويض طبعاً لأ، إطلاقاً، يعني الشعب الفلسطيني ينتقد ليلاً ونهاراً الاأشخاص الذين باعوا أرضهم ... ثم ما هو حق التعويض؟ هو ليس حق، هو مقترح التعويض وهو فعلياً عملية بيع، أو إرغام على البيع أو عملية ابتزاز... يعني أنه خلص لا عودة للاجئين، يا أما بتاخد تعويض يا أما بتسكت" (سليم، 26 عام، مقابلة بتاريخ 2011/10/16).

وتفاوتت الإجابات التي حصلت عليها من المبحوثين حول مسألة نظرتهم لحق العودة بين التفاؤل والتشاؤم، فقد أكد العديد منهم على تيقنهم من أن العودة ستتم عاجلاً أم آجلاً، في حين رأى آخرون أن العودة لم تعد ممكنة وأصبحت تمثل حلماً بعيد المنال. وفيما يلي تفصيل الجانبين:

- **الرأي المتفائل:**

بداية بالحديث عن المتفائلين، فقد ظهرت الآمال الحية بالعودة إلى القرية الأصل أو المدينة الأصل لدى كل جيل من الأجيال المبحوثة، إلا أنها تركزت بشكل أكبر لدى الجيل الأول ثم الجيل الثاني، في حين كانت الأقل لدى الجيل الثالث الذي اقتصر تفاؤله على الأمنيات والآمال البعيدة مثل ما قالته سيرين: "إن شاء الله... هذا هو اللي بنتمناه".

أما الجيل الثاني فكانت نسبة المتفائلين من بين المبحوثين قليلة نسبياً، فقد اقتصرت على ما قالته السيدة ملكة (63 عام):

"إن شاء الله بتحقق، متأملين 100% ... يعني فش قطع أمل إن شاء الله لو إحنا ما رجعناش وولادنا ما رجعوش ولاد ولادهم بيرجعوا إن شاء الله"

وما قاله السيد لطفي (63 عام):

إن شاء الله ... فش انتداب يطول، فش استعمار بيضل، كل شي بيكبر إلا يصغر، يعني لو جينا لبني آدم بنزل رضيع لحتى يموت.. يعني الو نهاية والاستعمار الو نهاية، بس وينتا؟! إن شاء الله انه يكون قريب على زماننا.

وأيضاً السيد مناضل (64 عام):

> حلم أم حقيقة؟ إذا بدك تقولي حلم... كثير من الأحلام تتحقق ... ما دام لي حق، صاحب الحق سيعود إليه.. بالفطرة بالقوانين الربانية بشواهد التاريخ، نحن أصحاب حق وأصحاب قضية وهذي أرضنا...حق العودة حق مقدس ... مهما تقادم العهد يوم يومين سنة سنتين... نحن نتكلم عن احتلال أرض ونحن نعرف المحتل والأرض موجودة وصاحب الحق موجود... إذاً أنا مقصر في الوصول إلى حقي ابني أو حفيدي لن يقصر في الوصول إلى حقه.

أما الجيل الأول فيمكن وصفه بالأكثر تفاؤلاً وتأملاً بتحقق العودة، إلا أن تفاؤل هذا الجيل اتسم بسمتين أساسيتين، الأولى هي أن تفاؤله بالعودة كان في الغالب تفاؤلاً بعودة الأجيال اللاحقة مع الإشارة إلى أنهم كجيل أول لن يتمكنوا من شهادة تحقق هذه العودة نظراً لتقدمهم بالعمر، فيقول أبو إسماعيل (78 عام) : "بإرادة الله بدو يتحقق.. بدو يتحقق.. بدو يتحقق... الجيل اللي زيكم بيرجع لبلاده أما اللي زينا..!!"

وكذلك يرى الحاج أبو صالح (72عام):

> "أمل العودة زي ماني شايفك... بس متى؟... في علم الله... أما العودة هي أكيدة ونحن في طريق العودة ... نحن بدأنا السير نحو العودة لأنه الآن إذا بتلاحظي التغيرات التي تتم على المستوى الفلسطيني في الداخل وفي الشتات... على مستوى الشعوب العربية والإسلامية كلها تشير إلى أن رحلة العودة بدأت... وإحنا إذا ما صحلناش إحنا في جيلنا، إن شاء الله أولادنا وأولاد أولادنا يجب أن يعودوا إن شاء الله"

أما السمة الثانية فتمثلت بكون تفاؤلهم كان مشروطاً في كثير من الحالات، فكانوا غالباً ما يعتبرون حق العودة قابلاً للتحقق فقط إذا ما ارتبط بتغير في الوضع الحالي، كمن قرن تحقق العودة بتغير وضع العالم العربي المشتت والمتخاذل مثل الحاج أبو حامد (78عام) الذي قال:

> "حق العودة مشروط بإشي واحد... إذا تكاتفت الدول العربية والعالم العربي شدوا شدة واحدة ممكن... بدون ذلك لا.. كلام في كلام... الكلام كثير... بدي اذبح بدي اعمل... كذب ترديش.. جيوش تقوم تحارب إسرائيل فش.. ليش؟ لأنه في أمريكا.. يعني ولد صغير عمره 10 سنين بيقاوم شب عمرو 25 مصارع؟!... مستحيل."

- **الرأي المتشائم:**

وبالمقابل، اشتملت آراء الجيل الأول أيضاً على التشاؤم المشروط، وهي الآراء المتشائمة إلى حد ما والتي اعتبرت أن العودة باتت مستحيلة، إلا في حال حدوث تغير ما، وهو الأمر المستبعد بالنسبة لهم، فمثلاً تقول الحاجة صبحية (70 عام):

"إن جيتي ترجعي مش معقول نرجع.. خذيها مني.. مش رايحين نرجع لأنه اليهود أخذت كوووول فلسطين.. وهاتي تا تيجينا دولة... هيهم ذبحوا سوريا ذبح.. فش ولا عربي راح أصلحهم تا ياخدونا ويصلحونا.. واليهود اسعا بتبني وبتّنطر.... الحل من الله... من رب العالمين... ربنا قادر هلقيت يقول فيهم هيك ما يخلي ولا يهودي.."

أما الحاج أبو غانم (75 عام) فقد اعتبر العودة حلماً بعيد المنال وقال:

"حلم والله حلم... لأنه إحنا قاعدين بنشتغل لإسرائيل وبنبنيلهم وبنسكنهم وبنقولهم ايش... تعوا اطلعوا...هذا منطق هذا؟! بيخش العقل هذا الحكي؟! إسرائيل مادام أمريكا بظهرها والله ما عمرها بتعطينا ذرة تراب... بس إرادة ربنا فوق كل شي... إذا إسرائيل تخلت عنها أمريكا وتألفوا الدول العربية صاروا مسلمين عن صحيح ووقفوا وقفة واحدة... زي ما قال واحد مصري وقت ما صارت الثورة المصرية قال بسنة ال15 بتصير الدولة كليتها الدولة العربية دولة وحدة والراية لا اله إلا الله ....إحنا بنقول إن شاء الله" ..... الشعب الموجود حالياً إذا ما أجاهوش من برا غيار زي ما تغيرت الدول العربية، وإحنا جماعتنا هذول اللي قاعدين بيتنازلوا عن القدس شبر شبر، هذولا إذا ضلوا خربت بيتنا إحنا [ويضرب كف بكف] أما إذا انقلعوا زي ما انقلعن هالأنظمة الموجودة..الله اعلم ربنا سبحانه وتعالى يهيئ الظروف ويصير خير إن شاء الله".

أم كرم (80 عام) ربطت بين تحقق العودة وحدوث تغير، إلا أن التغير الذي تحدثت عنه كان تغيراً على مستوى اجتماعي داخل المجتمع الفلسطيني، والمتمثل بالعودة إلى الترابط الاجتماعي والوعي الديني في المجتمع، فتقول عن العودة:

"قلة عقل لا... عودة بنعودش إلا لنصير فينا دين... واللي نرضاه إلنا نرضاه لأخونا...خير ولا شر نقف مع أخونا ولا جارنا... اليوم فش... سلامتك يا راسي بس"

ولم تقتصر ظاهرة التشاؤم المشروط على أبناء الجيل الأول، بل ظهرت أيضاً بين أبناء الجيل الثاني، فالسيد صبحي (53 عام) اعتبر أن تحقيق العودة أمر مستحيل بالطرق السلمية، ولا يمكن ذلك إلا بالحرب مشيراً إلى أنه "زي ما أخذونا هم بالحرب وبالقوة إحنا لازم نوخذهم بالحرب وبالقوة".

كما أشارت كل من السيدة ميري (59 عام) والسيدة انتصار (61 عام) إلى أن يأسهم من احتمالية تحقق العودة يعود لأسباب ضعف الجانب الفلسطيني أمام الجانب الإسرائيلي المدعوم والمستند على قوى عالمية عظمى على رأسها أمريكا، فتقول ميري:

> أنا بقول فش أمل لا، الدنيا مع القوي، يعني إزا إحنا عالقدس مش قادرين نروح كيف بدنا نرجع ع بلادنا؟ إحنا رحنا مرة ع إسرائيل ع يافا نشوف بيت حماي ما قبلوش يخلونا ندخل نشوف ونتفرج، وصرخوا علينا من الشبابيك، كيف بدنا نرجع؟ كيف بدهم يطلعوا ويعطونا نرجع؟

وتقول انتصار:

> إن شاء الله، إحنا بنتمنى هذا الإشي بس فش أمل، ما زال اليهود وأميركا والدول الأجنبية معهم... إحنا العرب لا في عنا سلاح ولا عنا دبابات ولا عنا طيارات،.. شعبنا قاعد بروح هيك.

وفي المقابل اعتبر السيد ربحي أنه ومهما تزايدت قوة العالم العربي وتطورت أسلحته، لن يتمكن من تحقيق العودة للفلسطينيين، واعتبر العودة أمراً مستحيلاً في ظل غياب النية والإرادة لتحقيق ذلك لدى الأنظمة الحاكمة في العالم العربي:

> لأ.. هيك لأ. هو حلم صعب التحقيق في الوقت الحاضر.. ما دام إحنا متوكلين ع فلان وعلان والله هذا يمين بالله وبكسر الهاء عمركم ما بتشوفوا النصر ولا التحرير... هذول اللي حاطينهم حكام، لا يمكن يجي منهم نصر، والله لو جابوا سلاح أميركا كله وسلاح روسيا وسلاح الصين، لأنه مش المهم السلاح، المهم اللي في قلب اللي حامل السلاح" (ربحي، 63 عام، 2012/4/8).

أما الجيل الثالث، فقد اتسمت كلمات الأغلبية منهم بالتشاؤم، كتلك الشقيقتان اللتان وعندما طرحت عليهم السؤال حول إمكانية تحقق العودة أجابتا في ذات اللحظة: "لا مستحيل، فش عودة". وكذلك الأمر بالنسبة لسليم الذي حاول أن يتعلم من التاريخ أن هذه المنطقة –فلسطين– منطقة نزاع دائم لم ولن ينتهي وقال:

شخصياً لا أمتلك أمل ولا أدنى بريق أمل وإذا تحدثت بقدرية، لا يمكننا أن نحلل الوضع الفلسطيني بمعزل عن القدر الإلهي، بمعزل عن العمق التاريخي الواضح لهذه البقعة الجغرافية التي لم تعرف السلام منذ نشأتها إطلاقاً، كل هاي الأمور تدل على أنه هاي المنطقة بالذات منحوسة، لأنها نقطة نزاع، إذا كانت إلها مئات وآلاف السنين نقطة نزاع، الآن في العشرين أو خمسين اللي بدنا نعيشهم هل بدو يصير في حل؟! هذا الأمر أنا بتوقع أنه بعيد، وحتى لو كان هناك حل، لن يشمل، لن يشمل وأقول لن يشمل عودة اللاجئين" (سليم، 26 عام، مقابلة بتاريخ 2012/10/16).

أيضاً كان هناك من أظهر نوعاً من التناقض، فلحظة يبدو بمنتهى اليأس من أن تتحقق العودة ثم يعود ليؤكد على أنها ستتحقق، كما هو الحال بالنسبة لرائدة التي قالت: "أنا ما بتوقع لأ،...[ثم تعود بعد ذلك لتقول] إحنا بنضل متأملين، بس أنا متأكدة أنه رح يجي يوم من الأيام، مش هلأ، بيجوز ولاد ولادنا رح يرجعوا".

ولقد لمست هذا التناقض واضحاً في عدد من الحالات، فكان يظهر في كلمات المبحوث/ة هذا الصراع الداخلي بين ما هو واقعي ومنطقي بالنسبة لهم بأنهم لن يتمكنوا من الاندماج والعودة بعد أن استقروا وكونوا حياة جديدة بعيداً عن تلك القرية التي نشأ فيها جدهم أو والدهم، وفي المقابل، كانت تظهر في عيونهم نظرات ترقب ردة فعلي وأنا أسمعهم، ثم يحاولون بطريقة أو بأخرى إعطاء الإجابة التي يظنون أنها المفترضة والواجب النطق بها من جميع اللاجئين حتى وإن لم تكن تمثل رأيهم الحقيقي وهي (أننا طبعاً سنعود). فمثلاً أذكر أن لبنا كانت ممن اتسمت كلماتهم بالتناقض في كثير من الأحيان، فهي بالبداية اعترفت أنها لن تعود إلى دير طريف إذا أتيحت لها الفرصة كونها كونت حياتها واستقرت بعيداً عنها، ومرة أخرى تقول "برجع دون تردد وبلا تفكير.. وعلى بيت ستي الخشب المعفن"، وعن حق العودة بشكل عام بالنسبة للاجئين الفلسطينيين، وبالرغم من تشاؤمها بإمكانية تحققه ظهر لديها نوع من بصيص الأمل الضعيف في العودة خاصة في ظل الثورات العربية الحالية وتقول:

"رأيي أنا الشخصي كلاجئة بنت لاجئ، ما بني على باطل فهو باطل، وأساس العملية السلمية كانت مجحفة بحق اللاجئين، بحق العودة،... يعني أنا من ناحية منطقية لا أعتقد ذلك، ما أظنش يتحقق... أما في ظل الثورات العربية وتغير كامل في الأنظمة العربية بشكل كامل، على أمل تكون أنظمة عربية شريفة ومش تابعة لأمريكا ومش تابعة لإسرائيل... وهون بحكي كأني بحكي خيال وهبل، بس هذا هو الحل الوحيد، بس برضو لا اعتقد ذلك" (لبنا، 28 عام، مقابلة بتاريخ 2012/5/16).

وبعد عرض المقابلات وآراء اللاجئين حول مسألة حق العودة، فإن أبرز ما يمكن لمسه هنا هو أنه وبالرغم من التمسك الشديد والواضح بحق العودة، ظهر إلى حد كبير عدم الإلمام بالقانون الدولي لدى اللاجئين، وغياب شبه كامل لإدراك رأي القانون الدولي بحق العودة، فلم يتم الحديث عن القانون الدولي وأثره على قضيتهم وعلى حقهم بالعودة كحق لصيق ومسلم به للاجئين، كما لم يتم ذكر أي قرار أو رأي دولي وقانوني بهذا الخصوص. وهذا طبعاً أمر طبيعي نظراً لطبيعتهم وحياتهم البسيطة من جهة، ولتعقيد وحبكة الجانب القانوني من جهة أخرى، فحتى أولئك الحاصلين على درجات تعليم عليا، لم يأتوا على ذكر أي شيء له علاقة بالقانون الدولي، بل كانت معظم الإجابات مستمدة من إيمان وفطرة إنسانية تقوم على أن الحق يعود لصاحبه، ومن واقع التجربة ومن الفكر الموروث من الآباء والأجداد عن حقهم بالأرض وكيفية تهجيرهم وما إلى ذلك.

وفي المقابل، ظهر أثر البعد الديني والإيماني واضحاً وجلياً لدى معظم من تمت مقابلتهم، خصوصاً لدى الجيلين الأول والثاني، حيث أنهم جميعاً يبنون آمالهم بالعودة إلى أراضيهم على أساس أن هذا حق مقدس وإلهي، و بالنسبة لهم يعتبر أمراً مفروغاً منه أن الغلبة في نهاية هذا الصراع الدائر بين الفلسطينيين واليهود ستكون للمسلمين، فالمتفائل منهم والمتشائم على حد سواء، ختم قوله بأن هناك وعد إلهي بالعودة والنصر على اليهود، وبأن "عند الله فش اشي بعيد، يتكل ع ربو الواحد وإن شاء الله بقدرة الرب بتحقق كل شي" (أم حبيب وأم فرج)

وفيما يلي مجموعة من المقابلات التي ظهر فيها أثر البعد الديني جلياً فمن الجيل الأول يقول أبو زيد (73 عام): "بإذن الله.. كلما في مسلمين بإذن الله.. العالم كلها متأملة بوجه الله... وهذا اللي بنشوفو كله إحنا خيالات.. لكن الإرادة الإلهية لازم فلسطين ترجع بإذن الله .. بإذن الله .. بإذن الله... لأنه في شعب واعي اليوم، في شعب صاحي، وبيدرك كل الأوضاع اللي صارت بالنسبة للأحداث"

الحاجة أم غنام (70 عام):

> "والله هذا الأمل بوجهو... بيقولوا إذا أراد ربنا بيقول كن فيكون.. حتى لو في خلاف... ربنا بهيئ .. كيف بيقول.. وكم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة في القرآن...بإذن الله وإحنا متوكلين عليه يا خالتي."

ومن الجيل الثاني السيدة يسرى (52 عام): "إن شاء الله، والله هيك الدين بيحكي اللي الدين بيحكيه بيصير".

أيضاً السيد صابر (61 عام) الذي قال:

> شوفي، إحنا ناس عنا دين، ويقيناً متيقنين أنه لازم نرجع ولازم اليهود ينهزموا، يقين زي ما أنا شايفك،... الأحداث الحالية بتبشر إنها قربت الأمور، يعني الثورات اللي بتحصل والتغيير اللي ماشي في الوطن العربي، .. هذا ربنا بغربل، وربنا سبحانه وتعالي بجييش النصر على أيادي هذول الزعما اللي كانوا... وان شاء الله هذي الرجعة وعد إلهي."

لا بد هنا من أعود لأشير مجدداً إلى أهمية حق العودة بالنسبة للاجئ الفلسطيني، ومدى الثقة والإيمان العميقين بأنه سيتحقق لا محالة عاجلاً أم آجلاً، وقد شاءت الظروف أن يتزامن عملي على هذا البحث مع بث مقابلة للرئيس الفلسطيني محمود عباس على إحدى القنوات العبرية، والتي أعلن خلالها أنه لن يعود إلى مدينته التي هجر منها (صفد) بل سيكتفي بزيارتها إذا أتيحت له الفرصة. هذا التصريح لم يكن بجديد، بل ورد وعبر عنه أبو مازن سابقاً، ففي رسالة وجهها لرئيس وزراء إسرائيل أريئيل شارون قال أنه "على اقتناع تام بأن حق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم التي شردوا منها في نكبة السنة المشئومة 1948 ليس واقعياً وليس بالإمكان تحقيقه (صالح 2010، 106). وبدأت ردود الفعل الفلسطينية على هذا التصريح خاصة في صفوف اللاجئين منهم، وبالرغم من وجود بعض من حاول أن يلتمس للرئيس عذراً أو يبرر تصريحه المذكور، إلا أن معظم هذه الردود اتسمت بالغضب والإدانة والاستنكار لهذا التصريح، استهجن أقارب لي من أصول "صفدية" ويقيمون بالأردن هذا التصريح بشكل ملفت، وأكدوا على أنه لا يمثلهم ولا يجوز له أن "يبيع البلاد وحقوق اللاجئين بالعودة" على حد تعبيرهم، كما ازدحمت مواقع التواصل الاجتماعي بالتعبير عن الموقف الشعبي الرافض لهذا التصريح، وانطلقت الصفحات على مواقع الفيس بوك وتويتر وغيرها التي تؤكد أن ما ورد على لسان محمود عباس لا يمثلهم. ولم يكن أهالي صفد هم الوحيدين الممتعضين من هذا التصريح، بل إن جميع اللاجئين على اختلاف أصولهم وظروفهم استنكروا ذلك، وأود هنا أن أورد بعض التعليقات الملفتة حول الموضوع والتي صادفتني خلال تصفح ما يكتبه أصدقائي ومعارفي على مواقع التواصل الاجتماعي:

- **ورود:** "أنا ورود من قرية بيت نبالا قضاء اللد.. أنا من بيت نبالا بس بدي أرجع على صفد نكاية فيك يا أبو مازن".
- **علاء:** "فتحاوي وأبوي فتحاوي الله يرحمه وأخواني فتحاويين من ال65 وعباس لا يمثلنا".

- **أسامة:** "عباس بفكر الأجيال راح تنسى حقها بفلسطين وفق مقولة الاحتلال "الكبار يموتون والصغار ينسون" بس ما حزرت يا حبيبي ولا عمرنا راح ننسى لأنها هاي أرضنا وعرضنا وحقنا بالعودة راح يظل ثابت .. ومفتاح بيتنا وبيت أبوي وجدي لساتنا محتفظين فيه".
- **لينا:** "صح أنا مش لاجئة بس أمي لاجئة وأخوالي وخالاتي لاجئين مشردين بين سوريا والأردن، عايشين بمخيمات اللجوء لحتى يظل أولادهم على عهد العودة لأراضيهم اللي تهجروا منها، وعلى فكرة سيدي أبو أمي مات بعد ما أصابه المرض لما فقد كل أملاكه وأراضيه، سيدي كان مختار (بيت نبالا) وكان بيملك أراضي وبساتين واسعة قبل ما ياخدوها الصهاينة ويطردوا أهاليها.. ما شفت هاي الأراضي بس بعرف كتير عنها من أمي ويوم من الأيام رح نروح هناك غصب عن الجميع، لهيك ما حد الو الحق يتنازل عن أي شبر من أراضي الــ 48!!! فلسطين هي كل فلسطين من النهر للبحر ومن راس الناقورة لخليج العقبة واللي مش عاجبه هالحكي يطلع من فلسطين".

وأود أن اختتم هذا القسم بكلمات السيد كرم الذي تحدث عن أنه كان موافقاً على عدم العودة إلى قريته الأصل مقابل تحقيق حل الدولتين، إلا أنه غير رأيه بعد أن أدرك عدم جدية الجانب الإسرائيلي وأطماعه في السيطرة على كامل الأرض الفلسطينية:

"أنا سألت أهلي وبدهم يرجعوا ومؤمنين بالرجوع، أنا بالنسبة إلي ولغاية قبل فترة كنت مآمن بحل الدولتين وبتكيّف وبعيش وين ما أنا موجود، لكن المبالغة الأخيرة في السلوك الإسرائيلي وإنهم حتى مش تاركينلنا الضفة الغربية وبطالبوا فيها وبطالبوا بالأردن... أنا كمان صرت بطالب ببلدي" (كرم، 65 عام، مقابلة بتاريخ 2011/11/10).

ثالثاً: الأجيال الأخرى:

الشكل: (6) من صفحة "ثورة اللاجئين الفلسطينيين" على موقع الفيس بوك، وهي كتبت بصياغة وكأنها بصوت الأجيال الماضية والحاضرة وحتى القادمة.
https://www.facebook.com/palatora?ref=ts&fref=ts

عبر القادة الصهاينة في الماضي عن اطمئنانهم من أن التاريخ القادم والمستقبل سيمحو جرائمهم التي ارتكبوها بحق الشعب الفلسطيني وذلك كون من شهدوا الأحداث سيموتون... في حين ستنسى الأجيال الأخرى المصاب،[36] ومازال الكثيرون منهم يعتمدون على هذا المبدأ، فقد روى لي أحد الرجال الكبار الذين قابلتهم وهو الحاج أبو غانم قصة إسرائيلي قابله ودار بينهما نقاش حول عدم تعامل الفلسطينيين مع اليهود والإسرائيليين ختمه اليهودي بأن قال له أن "بكرا بعد 50 سنة هذا الجيل كلو اللي عندو عنصرية [مشيراً إلى الجيل الأول] بيروح وبيجي الجيل الجديد اللي بنربيه إحنا وبنعيش إحنا وياه سوا سوا"... وهنا يعلق أبو غانم:

> "الجيل اللي ربوه هم زي ما قال هوا اللي قام عليهم [ويقصد هنا الانتفاضات الفلسطينية]... الجيل اللي ربوه هم وولد وترعرع في ظلهم هو اللي قام عليهم... وإحنا ايش سوينا... إحنا زي ما قال التونسي...(هرمنااا) إحنا هرمنا وما ضلش فينا فايدة... إحنا الحمد لله خلفنا ولاد وان شاء الله رب العالمين بيقيم على جيلهم الخير" (أبو غانم، 75 عام، مقابلة بتاريخ 2012/3/21).

---

[36] اشتهرت هذه الفكرة عندما عبر عنها بن غوريون رئيس وزراء إسرائيل عام 1948 قائلاً إن الكبار يموتون والصغار ينسون.

وفعلياً لم ينس الجيل الجديد، ولن ينسى، فكيف ستنسى الأجيال الجديدة مأساة عاشوها بطرق مختلفة، فكل طفل فلسطيني لا بد وأن رأى والده أو قريبه شهيداً أو أسيراً أو جريحاً أو حتى مطارداً، فكم مرة رأى أبناء الأجيال الجديدة دمعات أمهاتهم وشعروا حسراتهن. عاشت الأجيال الجديدة والصغيرة مآس لا تختلف في قسوتها عما كانت عليه سنوات النكبة، فلم تتوقف إسرائيل يوماً عن عمليات الاغتيال والاعتقال، حتى تلك الحواجز التي تنتشر في جميع طرقات وشوارع البلاد مملوءة بالجنود المدججين بالسلاح تخلق في رؤوس هؤلاء الأطفال أسئلة كثيرة عن سبب وجودها وما إلى ذلك، ومن خلال إجابات الكبار تغرس جذور القضية الفلسطينية في عقولهم وقلوبهم.

كما لا بد من الإشارة إلى ولادة الأطفال حاملين القضية الفلسطينية في أسمائهم، حيث يحرص اللاجئون بشكل كبير على تسمية أبنائهم بأسماء تشير إلى تجربة لجوءهم وتهجيرهم بطريقة أو بأخرى،[37] كمن يسمي ابنته تحرير لأنها ولدت يوم تحرر والدها من السجون الإسرائيلية، ومن يسمي ابنه جهاد أو نضال، حتى من يطلق على أبنائه اسم القرية أو المدينة، فهذه اسمها عكا وتلك اسمها يافا وهكذا. وطبعاً لا بد لكل طفل أن يسأل عن معنى اسمه ولماذا سمي بذلك الاسم، وهذا بحد ذاته يخلق رابطاً من نوع ما بين الأجيال الجديدة والماضي الذي عاشه آبائهم وأجدادهم.

أيضاً ساهمت التكنولوجيا والعولمة بشكل كبير في توعية الأجيال الجديدة والصغيرة على حقائق قد لا يكون بمقدور الأجيال السابقة توعيتهم عليها، أو قد يكونوا سهوا عنها. فبرامج التلفاز والأخبار المصورة المملوءة بمشاهد وتفاصيل تجمع بين الكلمة المؤثرة والصورة المعبرة، لعبت دوراً مركزياً في جذب اهتمام الأجيال الجديدة وتوعيتهم بالقضايا العامة والمنتشرة حول العالم وخاصة قضية فلسطين. وقد ظهر أثر ما يراه الأطفال ويشهدونه بأم أعينهم على أرض الواقع أو على وسائل الإعلام جلياً في الكلام الذي قاله لي الطفل حمدي 5 سنوات عندما حاول أن يشرح لي ما رآه على إحدى القنوات خلال فترة حصار غزة وانقطاع الكهرباء عنها، حيث قال:

> "وبشوف بالأخبار يهود واقفين بيحارسوا على المكان ومرات عالأقصى وبغزة،... وهديك المرة قطعوا الكهربا بغزة، شفت عالأقصى حاطين ضو بيطفي، وبيرجع بيضوي كمان شوي بعدين بيطفي... وكمان رحت عالأقصى مع أبوي وشفت

---

[37] يقول شاب فلسطيني على الفيس بوك "وحدهم الفلسطينيون من يستبدلون أحلامهم بأسماء أبنائهم، فيسمون ذلك الطفل "وطن" وتلك الطفلة يافا"وهذه "تحرير" والأخرى "فلسطين" جاعلين من أبنائهم أحلاماً تمشي على الأرض"... عبد الرحيم أبو شنب.

اليهود حاطين هديك اللي بحطوها على وجوههم وبيسكروها... والناس بيضربوا عليهم حجار... ومرة إجيت بدي أطلع على السور وطلعت ورحت بدي أضرب عالجيش أبوي شافني قال لي ادخل..." (حمدي، 5 سنوات، مقابلة بتاريخ 2012/3/8).

ومع توالي الأحداث وكثرة الممارسات الإسرائيلية بحق الفلسطينيين، وما شهدته الأجيال الجديدة من انتفاضات شعبية كالانتفاضة الأولى والثانية، وما شاهدوه من حروب واجتياحات كما حدث في قطاع غزة وفي جنين وغيرها، وتزايد أعداد الشهداء والجرحى والمعتقلين، أصبحنا نمشي بالشوارع لنرى الأطفال يلعبون لعبة الجيش والمتظاهرين، "مدججين" بالأسلحة البلاستيكية والحجارة، ويحملون بعضهم على الأكتاف مرددين لا إله إلا الله والشهيد حبيب الله .. فقد أصبحت ألعابهم تعكس حياتهم. وتوضح الصورة التالية كيف يلعب أطفال فلسطين....

الشكل (7): مجموعة من الأطفال الفلسطينيين خلال لعبهم أدوار المتظاهرين والشهداء. من صفحة "ثورة اللاجئين الفلسطينيين" على موقع الفيس بوك. https://www.facebook.com/palatora?ref=ts&fref=ts

هؤلاء أطفال أدركوا معنى الموت مبكرا... عاشوا دور الموت وهم أحياء، فالطفل المحمول يمثل الموت بإتقان بينما أصدقائه يحملونه على أكتافهم بعد أن "كفنوه" بالعلم الفلسطيني... أصبحت براءة الطفل الفلسطيني وطفولته تتمثل بعناوين مؤلمة، كالموت.. والشهادة.. والحرب.. والرصاص.. والدماء... لم تعد مجرد كرة قدم أو سباق أو دراجة.. أصبح الطفل ينفق ما حصّله في العيد ليشتري المسدسات والبنادق البلاستيكية وليرتدي الزي العسكري، فهذه الأشياء أصبحت تشكل طموح كل ولد من أبناء الشعب الفلسطيني...

في هذا القسم، طلبت من جميع المبحوثين خلال مقابلتهم إبداء رأيهم بالأجيال الأخرى والمقارنة بين الجيل الماضي والجيل الحاضر وذلك فيما يتعلق بمدى وعي واهتمام كل من هذه الأجيال بالقضية الفلسطينية. وكان من المبحوثين من فهم السؤال بطريقة بسيطة وسطحية، وبالتالي كانت إجاباتهم بسيطة تعلقت بالإشارة للاختلافات في الظروف الحياتية أو العادات الاجتماعية المختلفة من جيل لجيل، كما تم التركيز على الاختلاف في ثلاث نقاط رئيسية وهي "الترابط المجتمعي" و"التدين" و"التعليم"، فمثلاً أشار الحاج أبو مصطفى إلى أنه "الناس هلقيت ما حد سائل عالتاني". ومن ناحيته الحاج أبو نادي ركز على بعض الأخلاقيات التي تغيرت من زمن لزمن، فقد وصف التعاون الذي كان سائداً بين أهالي القرية خصوصاً وقت الحصاد، وعدم خروج النساء دون مرافقة رجالهن لكن هذا الحال تغير هذه الأيام، كما أنه أشار إلى مسألة التدين عند الشباب، فهو آخذ بازدياد عند الجيل الجديد بينما كان يقتصر على "الختيارية" في الماضي.

أيضاً هناك من أشار إلى سبب اختلاف مستوى المعيشة في تحديد الارتباط والاهتمام بالقضية، فيقول أبو عوض (89 عام):

> "ولاد ولادي عاشوا برفاهية... بس محكومين.... والشبعان والله ما هو مهتم، اللي بيلهط من أميركا وبريطانيا الو خاطر يعيش هيك 100 سنة، أما اللي زي حكايتي، بدهم من الصبح يطلعوا واللي يظل يظل واللي يموت يموت... وبس نرجع وينتا ما رجعنا ... بنبر القمح من الزوان... وبنعرف هذا بقى عدو وهذا صاحب"

بالإضافة إلى ذلك، تم التركيز على دور كل من الأسرة والمدرسة في بلورة النضج والوعي لدى الأجيال الجديدة. فشدد الكثيرون على أن الاختلاف بين لاجئ وآخر لا يعود لسبب اختلاف في العمر أو الجيل، بل هو بسبب طبيعة الدور الذي تلعبه كل من الأسرة والمدرسة/ النظام التعليمي الذي يتلقاه الفرد. وعن دور الأسرة والنشأة يقول وليد (50 عام):

> والله شوفي، منبتك اللي عشت فيه أنت بيظل يسري في نفسك، لكن الحلو أنه الأهل بيذكّوا هذا في أبنائهم، يعني هناك في تعبئة من الأهل، يعني لحد الآن في ناس تمتلك مفتاح الدار وفي القضية اللي تتفاعل الآن، ..ناهيك عن البعد الديني.... فلسطين لن تمحى من ذاكرة أبنائها، لا يمكن.

وكذلك تؤكد الحاجة أم منير (72 عام) التي قالت: "البيئة اللي هو طالع منها الجيل التالت والرابع هي اللي بتأثر...بيئة البيت هي اللي بتطلع... وهلأ الجيل صار يصحى".

ويقول السيد كمال (67 عام):

> هذا برجع لأصل الواحد، يعني إزا أنا بحب بلدي ووطني بقول يا ولادي هذا الوطن فش بديل منو زي ما كان جيل السلف يحكيلنا، ... بس في ناس بيقوا نحنا شو بيعرفنا بدنا نرجع ع بلدنا ولا لا، وشو نرجع نساوي في بيت نبالا، هدول ما عندهمش اهتمام، ..بس الجيل الجديد مش كثير مهتم".... [وهنا تتدخل زجته لتقول]: "ولا مالهم كل يوم بنحبسوا، ولا مالهم مهتمين، يا ابن الحلال مش هياتهم كل يوم بتحبسوا؟ على إيش؟؟ واحد بطلع وواحد بيدخل"

وعن دور المدارس، فعلى سبيل المثال، ركز الحاج أبو زيد (73 عام) على دور المدارس وعلاقة ذلك بالتاريخ والسياسة، وكيف أن مدارس هذه الأيام باتت تغيب القضية الفلسطينية وتاريخها لحد كبير وأصبح مستوى التعليم متدني مع إلغاء جميع المناهج القديمة وتزييف الاستعمار للتاريخ وتحويل التركيز على تعليم اللغات الأجنبية، ويقول: "أنا قريت للصف الثاني، وحراج على الصف العاشر يقابلني في القراية، في الكتابة، في الدراسة، في الجريدة في أي شي...الصف العاشر ما بيعرف يقرا اللي بقراه أنا... ولا واحد بيعرف يقرأ قرآن.."

لكن بشكل عام، يمكن تقسيم آراء المبحوثين من مختلف الأجيال في مجموعتين رئيسيتين: الأولى هي الفئة التي اعتبرت أن جيلها هو الجيل الأوعى والأكثر ارتباطاً بالقضية. أما المجموعة الثانية فتضم أولئك الذين اعتبروا أن الأجيال الأخرى أفضل من جيلهم. وبالنسبة للجيل الأول، قلائل هم من اعتبروا أن الدنيا أخذت أبناء الجيل الجديد وأنهم ما عادوا يهتمون بقضية فلسطين والفلسطينيين، مثل الحاجة أم كرم (80 عام) التي قالت:

> "الجيل الجديد والله ما هو داري، والله يما ما هم داريين بإشي... بدهم يوكلوا ويشربوا ويشموا الهوا ويعيشوا ويلبسوا، ولا حاملين هم ولا... والجيل اللي أكبر زي بناتي آخر الأربعينات مش سائلين.... شو نسوي بيقولوا..... جيل هاليوم مش صاحيين ومنتزهات وحفلات"

لكن في المقابل أكد المعظم أن الأجيال الجديدة ما زالت كالجيل الذي سبقها تدرك وتهتم بالقضية الفلسطينية. لكنهم أشاروا إلى أن طبيعة الظروف التي مروا بها كونهم شهدوا الحدث بأنفسهم يجعل منهم مرتبطين أكثر من غيرهم، إلا أن ذلك لا ينفي ارتباط الأجيال الجديدة واهتمامها. فتقول أم حسين (70 عام):

"والله يا بنتي اللي بيعيش في القضية مش زي اللي بيعيشش فيها... اللي بيعيش القضية بيضل هامل همها ويفكر فيها، يعني أكثر من الجيل اللي جاي، بس هيته كمان الجيل، لما الواحد يصير يحكي لولاده يعني هيك صار وهيك صار، ولادنا إلا يهملوا ويفكروا بهذا الإشي ... الجيل الجديد طبعاً بيهتموا... وان شاء الله يكون في وجههم الخير"

وكذلك أشارت أم فرج (70 عام):

كل جيل بيطلع غير شكل عن التاني، من علم من كل شي، إحنا زيهم؟؟ إحنا ما تعلمناش... بس ع النكبة، هم ما كانش عأيامهم، إحنا كان عأيامنا حرب وضرب .. وفاطنينو وما حد بنسى

أما بقية المبحوثين من هذا الجيل أكدوا على وعي واهتمام الأجيال الجديدة لدرجة أنهم يعتبرونهم أفضل وأكثر وعياً وإدراكاً من الجيل الأول، فيقول أبو إسماعيل (72 عام): "الجيل الجديد أكثر من الجيل العتيق فاهم القضية.. من 100 بتلاقي 5 شلط و95 ماشي بالقضية تمام".

والحاجة أم غنام (70 عام) أكدت على أنه من المستحيل أن ينسى الجيل الجديد مهما تقادمت به السنوات وتؤكد:

"معلوم واعيين... والا في واحد بيهتمش في بلادو...ولا يصحلو يرجع ع بلادو.. أي واحد... يعني هلقيت اي واحد الو قصر في هالبلاد ويقولولي روحي عالدوايمة بروح عالدوايمة... يعني اللي إلو 100 دونم أرض في بلادو وقاعد هانا يشتري الدونم بمليون... يعني مين أحسن أرضه ولا بلاد الناس؟ بلادك أحسن"

ومن ناحيته عاد الحاج أبو صالح (72 عام) للتأكيد على وعي الجيل الجديد في ظل الدور الذي تلعبه العائلة، مع التشديد على ضرورة عدم التعميم، حيث يقول:

"نحنا شعب والحمد لله نربي أطفالنا على أنهم ليسوا من هذه البلاد.... هذه تربية الشعب الفلسطيني بشكل عام، يربي أطفاله على العودة، يشعر الطفل منذ أن يبدأ يدرك على انه ليس في بيئته وأن هذه البيئة ليست له .. هناك بيئته في مكان آخر...[وعن الجيل الجديد يقول]: التعميم غلط، لكن معظم أبناء الشعب الفلسطيني يهتمون في قضيتهم إلا فيما ندر وهذا يحدث في كل المجتمعات، انه في ناس مش قلقانين في الموضوع إطلاقاً.... وإذا اللاجئين اللي برا بدهمش يرجعوا أنو اللي بدو يرجع؟!! إذا صحلهم – وبرضو التعميم غلط– معظمهم سيعود"

أما الجيل الثاني، فقد كان هو الأكثر تبايناً، ففي كثير من الأحيان شعرت بصعوبة دراسة هذا الجيل كونه يحتل موقعاً متوسطاً بين الجيلين الأول والثالث، فهناك من هو أقرب للجيل الأول منه للجيل الثالث، وهناك من هو

أقرب للجيل الثالث. ومنهم من اعتبر أن الجيل الثاني أفضل من الجيل الأول والجيل الثالث على حد سواء كالسيد لطفي (63 عام) الذي قال:

إحنا واعيين القضية في الأجيال هذي أكثر من اللي كانوا في الأول، والأصغر إن شاء الله إنهم يفكوا عن الكمبيوتر كل شي بيصير تمام، يعني الجيل الجديد 25% منهم واعي بس 75% لا..

في حين انقسمت بقية الآراء بين من يرى في الأجيال الجديدة خيراً ومن يعتبرها على طريق النسيان، فمثلاً السيد مبارك (50 عام) اعتبر انه من غير المنصف اعتبار الجيل الجديد من اللاجئين على أنه غير مهتم وغير واع بالقضية، وأشار إلى أن:

"90% تقريباً من ولاد المخيمات – ولاد اللاجئين يعني– انسجنوا مرة واحدة على الأقل في حياتهم وفي كتير انحبسوا 4 و 5 مرات وأكثر...يعني على بعضهم 8 سنين أو 9 سنين الواحد. ... بشكل عام بتقدري تقولي 90% وان حاولوا يقتلوا فيه الروح الوطنية ويدفعوه للانحلال الأخلاقي ولشمّات الهوا والتطبيع مع أبناء إسرائيل،... لكن هذا جيل ثبت بالتجربة أنهمن حد ما يصير اشي ريحة مقاومة، بينسى كل هالامور" (مبارك، 50 عام، مقابلة بتاريخ 2012/4/16).

وهذا أيضاً ما أكد عليه السيد مناضل (64 عام) بقوله:

الأحداث التي حدثت للقضية الفلسطينية ورثت القضية بعقول الأجنة في بطون أمهاتهم، الانتفاضة الأولى والثانية والدماء والسجون و و و... هذا جعل الطفل الصغير يصبح ويمسي على قضية فلسطين، يعني إذا كان الناس اللي عاشوا في حضن المحتل داخل 48 وكان يفترض أن يصبح جيل الحشاشين والضائعين، ... وإذا بهذا الجيل جاء أقوى عزيمة من الجيل السابق وصار عندهم حركة إسلامية ويقولون لن ننساك يا أقصى... فالجيل القادم أقوى من الجيل السابق، يعني أنا الآن أتعامل مع الأجهزة العلمية، النت والكمبيوتر، بس بالنسبة لابني الصغير هو بروفيسور على هذه الأجهزة، وهو ينظر للقضايا والأحداث... ونفس الشي أنا بختلف عن آبائي وأجدادي.

وفي المقابل اعتبر السيد صبحي (53 عام) أن الأجيال القديمة أفضل من الجيل الجديد قائلاً:

الجيل الجديد مش متعلق فيها زي زمان... يعني كان سيدي أرضو ملكو بس أنا بالنسبة إلي أنا عايش بالمخيم مش زي زمن سيدي اللي كان أرضو يعني دمو وتعب فيها، وربي وشقي فيها ومستعد يضحي بحالو عشانها...أما الجيل الجديد اللي راح يجي إذا جيل بيعرف الدين ويبقى مؤمن هذا هو الجيل اللي راح يحرر

فلسطين، أما أجيال زي اللي عالانترنت والبلفونات وقصة الشعر ...هذا ما بيحرر فلسطين.

أيضاً السيدة ملكة (63 عام) اعتبرت الجيلين الثاني والأول أكثر اهتماماً وإدراكاً للمسألة الفلسطينية حيث تقول:

والله أنا زي ما بشوف الجيل الجديد ما بفهموا القضية زي ما أنا بفهم، لاني أول ما كبرت وصرت اعرف الحياة وافهم الحياة، عرفت بلدنا، كنا في دير عمار واوقف على جبل وأقول بيجوز هذيك بلدنا...الجيل الجديد بدو حدا يوعيه... اما الجيل الكبير، والله هم اللي ذاقوا اللوعة وذاقوا المرار لما انهزموا...يعني الواحد يترك دار ويترك مونة ويترك اواعيه ويطلع.. تخيلي المأساة، عمرها ما بتنتسى هذي الشغلة.

أما السيد كرم فقد حاول الإبقاء على وميض الأمل موجوداً عند الحديث عن الجيل الجديد بالرغم مما تشهده الرواية التي تصل هذا الجيل من ضعف وتبسيط، فهو يرى أنه من الطبيعي أن يحدث هذا التغير في الرواية نتيجة طبيعتها الشفوية وانتقالها عبر السنوات الطويلة، لكنه في نفس الوقت يؤكد أنه ومهما حل بهذه الرواية من ضعف، فإن مسألة النسيان بالنسبة للشعب الفلسطيني أمر مستحيل:

"بلاحظ رغم عبور الرواية من جيل لجيل، رغم أنه موجودة، بلاحظ أنه مع الزمن في ضعف... يعني الطريقة اللي بيرويها أهلي بانفعالية وحميمية وتأوهات وحسرة لأنه شافوا كل شي بعينهم، وأنا سمعتها هاي وبرويها بعدين لابني ورايح إشي إشي وأقل حماسية وانفعالية.. وابني راح يحكيها لأطفالو بأقل شوي، يعني بدها عدة أجيال.. بس ما أظنيش إنها تنسى بالمرة يعني لو ضعفت من جيل لجيل إلا أن الرواية حتتم موجودة" (كرم، 65 عام، مقابلة بتاريخ 2012/11/10).

وبالانتقال بالحديث إلى آراء المبحوثين من الجيل الثالث، فقد أظهرت المقابلات أن أبناء هذا الجيل هم الأكثر يأساً من بين الأجيال المبحوثة، كما أنهم اعتبروا وبشكل شبه تام أن جيلهم هو الأضعف من بين الأجيال الأخرى من حيث مدى الاهتمام والارتباط بالقضية. فقد ظهرت حالتان فقط ممن تحدثوا عن الجيل الثالث بإيجابية وهما حالة أدهم الذي اعتبر أن الجيل الثالث الذي ينتمي إليه هو الجيل الأكثر انتماءً للقضية واهتماماً بها، معتبراً أن فترة الانتفاضة عززت شعور الانتماء بين أبناء هذا الجيل، في حين كان الجيل الثاني أكثر اندماجاً مع الاحتلال بسبب توفر فرص العمل في إسرائيل والجيل الأول كان منهمكاً في البحث عن أساسيات الحياة وتوفير فرص العيش في

أعقاب نكبتهم، وأيضاً حالة السيد حسن (39 عام) الذي اعتبر التغير في طبيعة تعامل الجيل الجديد مع القضية الفلسطينية ليس نسياناً ولا قلة اهتمام، بل هو تقدم نابع من إدراك لطبيعة الصراع من منظور مختلف:

"أنا في تقديري أنه الأجيال كل ما خرج جيل جديد كان أقل عاطفية بشأن الزيتونة والتينة والبيت وكل ما كان أكثر عقلانية ... مش تراجع .. هو تقدم، لأنه كل جيل جديد بطلع هو بفكر بالموضوع من ناحية مادية مش مالية، بمعنى أنه عم بيفكروا كيف بيستخدموا أدوات التواصل الاجتماعي، ليبرزوا القصة على أنها قصة حقيقية وقانونية، اللي صار بشهر 5 العام الماضي ... هذا الجيل الجديد الناشئ اللي راحوا عالحدود وماشي بدون سلاح وحاول يدخل الحدود.... هذا جيل بيعرف أنه حق العودة يجب أن ينتزع ومش راح يجي عن طريق المفاوضات... أنا بتقديري تنظيمياً الجيل الجديد كثير أقوى، عاطفياً أقل من الجيل القديم لأنه الجيل القديم كان ارتباطه فقط عاطفي وبالتالي أنا بيهمني التنظيم أكثر من العاطفة، الواقع المادي بمعنى إمكانيتنا والأدوات اللي في إيدينا على تحقيق حقوقنا...ووضع اللاجئين اليوم أقوى مما كان عليه في 48."

بالإضافة إلى حالة ثالثة هي حالة كريم (28 عام) الذي حاول أن يظهر جيله "عقلانياً" بقوله انه لا بد من التطلع للمستقبل وعدم التعلق فقط بالماضي، وهو ما يفعله الجيل الثالث برأيه حيث يقول:

نعم أعتقد أننا مختلفين، فنحن طبعاً يجب أن نتطلع للمستقبل وهذا يختلف عن أجدادي، هم بالنسبة إلهم كل شي وراهم، أما أنا لازم أتذكر شو صار، بس كمان لازم أستخدم اللي صار عشان العالم يستمر.

وفي المقابل، كانت جميع الآراء الأخرى دون استثناء ترى في الأجيال الأخرى نموذجاً أفضل منهم أنفسهم. فمثلاً تقول رائدة (27 عام):

هلأ أبوي متمسك كثير بالأرض والوطن وفلسطين، إحنا جيلنا بتحسيهوش متمسك، يعني أنا بالنسبة إلي بحب أرضي، بس مع الظروف هذه القائمة بحب أطلع برا وما بحب أضلني هون... بحس أنه جيال سيدي وأبوي وأخوتي الكبار هدول متمسكين كثير أكثر مننا، جيلنا بيفكر بالهروب، أنا بشوف أنه معظم جيلي هيك.

وكذلك الأمر بالنسبة لسليم (26 عام) الذي قال:

"للأسف أن الجيل الموجود حالياً قل ما نجد درجة ولو كانت دنيا من الارتباط بالقضية، ... الآن الارتباط لم يعد بقضية، بل أصبح بحزب سياسي، بفكر، ونسي الهدف الأساسي الذي خلق من اجله هذا الحزب السياسي"

أما لبنا (28 عام) فقد كانت الأكثر يأساً على الإطلاق، حيث كانت في كل مرة تتحدث بشيء إيجابي أو حلم تتأمله، تختم كلماتها بالقول "لكن لا اعتقد ذلك سيحدث"، لكنها حاولت أن تبرر ذلك معتبرة أنه لا يتنافى مع الوطنية كونه من حقها أن تهتم بشؤون حياتية أخرى وتقول:

> "أصبحت أكثر يأساً... أنا لا أعتقد أنه بكل حياتي راح أرجع عيش بدير طريف، لا أعتقد أنه راح يصير في حق تعويض لجدي هدا اللي قعد يفكر السبت، الأحد رح يرجع أو الاتنين رح يرجع... أنا أكثر يأساً وأكثر واقعية... مش شايفة إشي منيح في المستقبل كثير.. أما بابا، انضم للثورة، كان فدائي، انحبس، تعذب... يعني بابا لهلأ بتلاقيه عايش بالحس تبع الطبقة تبعت الزمن الجميل... بابا من الناس اللي ممكن يحكيلك الأمل كتير قريب وكتير واضح.. الأمل عندو أمل أبوه، يعني ورث أمل أبوه بالعودة... وما أظنش حدا من جيلي عم بفكر بقصة أنه يرجع لبلادو الأصلية، يعني أنا بالرغم من أصولي اللاجئة وبالرغم من المآسي اللي وارثتا عن جدودي بس بضل عندي أشياء كثير أهم بالمجتمع، أكثر من إني بدي أرجع على دير طريف ولا لأ... وأبناء جيلي معظمو عم بفكر هيك، ... يعني أنا بحكيلك أنه همومي اليومية بتتركز على الرفاه الاجتماعي، وكيف أعيش حياة منطقية... أنا نصيبي من المآسي جدودي عاشوه، بابا عاشو وماما عاشتو ومن حقي أعيش برفاه... بابا تعزب.. ماما تمرمطت... معظم جدودي توفوا مسلوبين نفسياً ومشوهين... بس لم يستفيدوا... وأنا لا اعتقد أنه كلامي يتناقض مع الوطنية"

الخلاصة

يمكن إيجاز ما تم استخلاصه مما سلف ذكره في هذا الفصل بالقول أن هناك بشكل عام تباين في الآراء والتوجهات في النواحي المختلفة، ولكن ذلك ليس اختلافاً بين الأجيال، بل هو اختلاف في كل جيل من الأجيال وبين الأفراد من نفس الجيل. ولا يعتبر ذلك تناقضاً في الجيل الواحد، بل يرجع ذلك الى اختلاف طبيعة وأولويات كل واحد من هؤلاء اللاجئين، فمنهم من يتأثر بالعائلة أكثر من أي شيء آخر، في حين ينساق آخر بتأثير من انتماءه السياسي ... وهكذا.

ففيما يتعلق بموضوع المسؤولية التي يحملونها عما حل بهم، كان هناك تباين في تحديد الجهة الرئيسية المسؤولة عن ذلك، مع الإجماع على أن المسؤولية تقع على عدة أطراف ولكن بدرجات متباينة والتي تقاسمها بشكل كبير

كل من العرب وبريطانيا واليهود. أما مسألة العودة فقد انقسمت الآراء بين التشاؤم والتفاؤل حول مدى إمكانية تحقق العودة لمن خرجوا من ديارهم وقراهم، مع ارتفاع نعدلات التشلؤم لدى الجيل الثالث مقارنة بالجيل الأول. وأخيراً كان هناك ظاهرتين تمت ملاحظتهما خلال الحديث مع المبحوثين، تتمثل الأولى بالغياب شبه التام للمعرفة بالرأي القانوني والقانون الدولي الخاص باللاجئين مع تزايد ملحوظ في الأثر الذي يلعبه عامل الدين في تشكيل الآراء والرؤى المستقبلية لديهم خاصة فيما يتعلق بالعودة. أما الثانية فكانت بميل عدد كبير من المبحوثين إلى التقليل من أهمية جيلهم مقارنة بالأجيال الأخرى، فمن أبناء الجيل الأول من يرى بالاجيال الجديدة أفضل وأوعى وأقدر على التعامل مع القضية الفلسطينية وجوانبها، في حين يرى أبناء الجيل الثالث أن الأجيال الأكبر هي الأفضل والأوعى وذات الخبرة الأكبر، وبقي الجيل الثاني عائماً بين الطرفين.

الفصل الخامس: عرض النتائج والخاتمة

بعد الاطلاع والقراءة والتحليل للمقابلات التي تم إجراؤها مع المبحوثين، تم الخروج بمجموعة من الملاحظات والنتائج التي تنقسم وتجمع بين ثلاثة أبعاد رئيسية وهي: النفسي والاجتماعي والسياسي. وقد تبين أن العديد من النتائج والملاحظات التي سيتم عرضها في هذا الفصل تجمع منفردة بين كل من هذه الأبعاد بشكل أو بآخر.

ولكن بداية لا بد من التنويه إلى أن جميع النتائج الواردة هنا تم استخلاصها بناءً على ظواهر سائدة ولكنها ليست معممة على الجميع، بل كان دائماً هناك "استثناءات" لكل ظاهرة من الظواهر التي توصلت إليها خلال العمل على تحليل المقابلات الشفوية للمبحوثين ولم يكن هناك ما يمكن اعتباره إجماعاً تاماً على أي من الزوايا التي تطرق لها البحث. لذا أؤكد على ضرورة عدم اللجوء إلى تعميم النتائج الخاصة بدراسات من هذا النوع، فكل إنسان هو عبارة عن تجربة مختلفة ومتميزة عن غيره من الأشخاص، فالبشر كبصمة يد الإنسان، قد تتشابه للناظر في كثير من الأحيان، إلا أنها في الحقيقة لا يمكن أن تطابق إحداها الأخرى، وحتى وإن كان باختلاف عنصر واحد من عناصر تكوينها. ومن هنا تكمن أهمية عملي على هذا البحث كبحث كيفي وليس كمي، فأنا عملت على عرض كل الحقائق والبيانات التي جمعتها خلال رحلة عملي على هذا البحث، إلا أنني لن أعمد لتعميم أي من النتائج التي سأتوصل إليها.

<u>أولاً: العامل الدولي واللاجئون الفلسطينيون</u>

كان للعامل الدولي في القضية الفلسطينية وخصوصاً قضية اللاجئين أثر كبير على مدى سنين الصراع الطويل، وكان هذا العامل يلعب دوراً كبيراً في التأثير على نفسية اللاجئين أنفسهم. فقد كان الدور الأممي والدولي في القضية الفلسطينية سبباً في خلق وزرع اليأس في نفوسهم بسبب الدعم اللامتناهي الذي يقدمه المجتمع الدولي لدولة إسرائيل التي أقيمت على أنقاض فلسطين التاريخية – سواء كان ذلك بالدعم المباشر لها حيناً أو بالتغاضي عن جرائمها أحياناً... مما جعل اللاجئ الفلسطيني يشعر بأن التخلص من الاحتلال الإسرائيلي أمر أشبه بالمستحيل في

ظل الدعم الذي تتلقاه من الدول العظمى وفي ظل ضعف وخنوع العرب وتهاونهم.. وهكذا بات أمل اللاجئ الفلسطيني بالعودة إلى قريته وبيته الذي أخرج منه يتضائل يوماً بعد يوم.

ومؤخراً، كان لهذا العامل الدولي نفسه أثراً مغايراً في نفوس هؤلاء اللاجئين مع ما يشهده العالم من تغيرات وتحولات، ومهما كانت هذه التحولات كبيرة أم صغيرة، فإنها تلقى صدى ملحوظاً لدى اللاجئ الفلسطيني. فقد بات الشعب الفلسطيني يلمس بدايات التحول في العالم، كان آخرها مسألة التصويت في الأمم المتحدة حول مسألة اعتبار فلسطين دولة مراقب غير عضو في الأمم المتحدة والذي حسم لصالح الجانب الفلسطيني بأغلبية المصوتين. وبغض النظر عن المواقف المؤيدة أو المعارضة لهذه الخطوة ومدى عواقبها الجيدة أو السيئة على القضية الفلسطينية، إلا أنها أظهرت للمواطن الفلسطيني تغيراً في مواقف العديد من الدول تجاه قضية فلسطين.

أيضاً، وفي ضوء الربيع العربي، كان هناك وجود واضح للقضية الفلسطينية في هذه الثورات والمظاهرات. ففي كل دول الربيع العربي دون استثناء تم بشكل أو بآخر الإشارة إلى فلسطين والقدس من خلال شعارات أو لافتات أو أعلام تم رفعها خلال التظاهرات. وكان لواقع بث هذه المشاهد على شاشات التلفاز والانترنت وقعاً غير مسبوق في نفوس لاجئي الشعب الفلسطيني، فقد أحيت لديهم أملاً جديداً بإمكانية تحقق عودتهم وتحرير فلسطين، وذلك بعد سنوات من الإحباط وخيبات الأمل المتتالية التي كانت تصيبهم وتزيدهم حسرة ويأساً عاماً بعد عام.

وبالنظر إلى عينة هذا البحث، كثيرون منهم ربطوا إمكانية العودة بحدوث تغيير في الوضع العربي، ورأوا في هذه الثورات بداية هذا التغير المنشود. ولم يقتصر ذلك على جيل واحد دون غيره، فقد أظهر كثيرون من أبناء الجيل الأول أملهم بقرب العودة بسبب ما يحدث في مصر وتونس وليبيا وغيرها. فيقول السيد صابر: "الأحداث الحالية بتبشر أنه قربت الأمور، يعني الثورات اللي بتحصل والتغير اللي ماشي في الوطن العربي ...هذي مبشرات".

أيضاً منهم من استعان بكلمات شهيرة انتشرت خلال الثورات، كمن يقول "احنا هرمـــــــــــــنــــــــــــــاااا وما ضلش فينا فايدة" أو من يقتبس أحد الشعارات التي ترددت في هذه الثورات والتي تبشر بتحرير فلسطين كشعار "عالقدس رايحين شهداء بالملايين" وغيرها الكثير من الشعارات التي ركزت على فلسطين والقضية الفلسطينية والأقصى خلال الثورات.

ومن ناحية أخرى، كان هناك حديث من قبل المبحوثين عن ذلك الدور السلبي والإيجابي الذي تلعبه التكنولوجيا والعولمة ومناهج التعليم الحديثة وغيرها في طبيعة حياة اللاجئين الفلسطينيين. وقد أشار كثيرون ممن قابلتهم إلى هذا العامل، خاصة عند الحديث عن رأي كل جيل بالأجيال الأخرى وتقييمه لهم. وكان أفراد الجيل الثاني من المبحوثين هم أكثر من تطرق لمسألة التكنولوجيا والتطور في عرض حديثهم عن الأجيال السابقة واللاحقة. فمن جهة يعتبر البعض أن هذه التطورات تفيد الأجيال الجديدة من خلال تمكينهم من الاطلاع على معلومات بشكل أسهل وأسرع، كالسيد فخري الذي أكد على أن ما يراه الأطفال على التلفاز يحفزهم للتساؤل والاستفسار عن قضايا وتفاصيل مهمة مما يتيح استمرارية الحديث عن تفاصيل وجذور القضية الفلسطينية. أيضاً السيد صابر الذي قال:

"احنا زماننا الإعلام ... يعني لحد السبعينات كان محل واحد بس عندو تلفزيون
...بس هلقيت الإعلام والانترنت بتخلي الصغير يقعد ويعرف وأنا بعرفش زيو."

ومن جهة أخرى يرى آخرون أن هذه التحديثات والتجديدات التي طرأت في شتى مجالات الحياة أثرت سلباً على الجيل الجديد كونها تعمل على إلهائه وتحويل وتوجيه أفكاره وآراءه بعيداً عن القضية الفلسطينية المركزية. وبنظرهم عملت هذه التطورات على إضعاف الترابط الأسري الذي من خلاله تمر عملية نقل الخبرات والتجارب العائلي، وبعد أن كانت العائلة بالماضي تجتمع حول مائدة واحدة وفي جلسة عائلية يتبادلون أطراف الحديث، أصبح اليوم، وبفضل التكنولوجيا، لكل فرد منهم عالمه الخاص على الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي بعيداً عن العائلة. وهذا ما أشار له عدد من المبحوثين، فيقول السيد لطفي عن الجيل الجديد: "الجيل الأصغر ان شاء الله إنهم يفكوا عن الكمبيوتر ساعتها كل شي بيصير تمام" وكذلك السيد صبحي الذي قال أن "أجيال زي اللي عالانترنت والبلفونات وقصة الشعر .. هدول ما بيحرروا فلسطين". وهذا أيضاً ما أكد عليه السيد (يوسف أبو سمرة) عندما أشار إلى واقع تحويل العالم إلى عالم استهلاكي همه الأول والأخير هو توفير الاحتياجات ومواكبة التطورات حيث تحدث عن "الانغماس في الحياة الاستهلاكية زي أوروبا والتهوا الناس بالاستهلاك .. يعني بفرنسا مثلاً بيقولي ابني هداك اليوم أنه 105% عندهم بلفونات... معناتو في ناس عندها 2 و3.. بينما قبل 5 سنين كانوا 95%".

أيضاً كان هناك اعتراض على التحولات التي طرأت على المناهج التي يتم تدريسها للأجيال الجديدة، فهم يؤمنون أنه إذا أردت أن تهدم مجتمعاً فما عليك سوى هدم النظام التعليمي فيه. فيقول أحدهم "صارت المناهج كلها على اللغة الأجنبية"، ويضيف آخر:

> "أنا مدرس... بس نظام التعليم عنا فاشل جداً ... يعني الشباب بتلاقيهم من الإعلام استفادوا.. أما التعليم بعيد جداً عن خدمة البلد... يعني ما في دروس... دروس تافهة لا تمت لا لدينك بصلة ولا لوطنك ولا لعاداتك الاجتماعية... قبل كان أحسن بكثير من هلأ... كنا نرسم الخريطة كاملة على الأقل"

ثانياً: اللهجة واللغة المستخدمة

منذ تهجيرهم، حاول اللاجئون الفلسطينيون في المخيمات وخارج المخيمات العمل قدر الإمكان على الحفاظ على معالم هويتهم الفلسطينية التي اكتسبوها في قراهم وبلداتهم الأصلية قبل التهجير، فنرى على سبيل المثال أن هناك حفاظ على قيم وتقاليد القرية وعاداتها في الأكل والزي والمناسبات والدبكة وغيرها، ولقد راهن الكثيرون خاصة من الإسرائيليين على ضياع الهوية الفلسطينية من خلال العمل على تدمير وإضعاف وإخفاء معالمها المختلفة المتمثلة بداية بالقرية ومعالمها وحتى أسماءها إضافة إلى مصادرة الأراضي ممن يعتاشون عليها وتحويل المجتمع من مجتمع زراعي إلى مجتمع يعتمد على المعونات والمساعدات الدولية، ناهيك عن استهداف التراث والتقاليد وغيرها الكثير. وأمعنت الجهات الإسرائيلية المختلفة في استهداف الجوانب الهوياتية الفلسطينية المختلفة متأكدين من أنه ومع مرور الزمن وتعاقب الأجيال ستتلاشى الهوية الفلسطينية وينسى الفلسطينيون هويتهم الفلسطينية ويندمجون في ظروف مجتمعية جديدة يفرضها الاحتلال.

كما وتعتبر اللغة واللهجة الفلسطينية من أهم عناصر الهوية الفلسطينية ومكوناتها التي لطالما تهددها خطر التلاشي والاختفاء في صفوف اللاجئين الفلسطينيين الذين هجروا من قراهم ومدنهم وانتقلوا للعيش في بيئات ومجتمعات مختلفة، داخل حدود فلسطين وخارجها. وفي الدول المضيفة، مثل لبنان والأردن، كان الكثير من الفلسطينيين يمتنعون عن استخدام لهجتهم الفلسطينية، وكي يتمكنوا من الاندماج والتعايش بسهولة في تلك المجتمعات الجديدة التي لجأوا إليها، التجأ البعض- أو بالأحرى العديد- من الفلسطينيين إلى تبني واستخدام اللهجة واللكنة التي تخفي

أصولهم الفلسطينية. وسواء كان ذلك لأغراض حماية أنفسهم من التهديد والخطر في مراحل شهدت حساسية تجاه اللاجئين الفلسطينيين كما حدث فترة الحرب الأهلية في لبنان وفترة أيلول الأسود في الأردن، أو كان ذلك لأغراض التباهي أو غيرها، فإن هذا التحول والتغيير في اللهجة يعتبر تهديداً وخطراً للهوية الفلسطينية مع مرور الأيام.

لكن لا بد من التأكيد أن التغير في اللهجة لم يكن تغيراً حسب الجيل، ففي حين كنت أعتقد ان اللهجة بقيت ثابتة لدى الجيل الأول وحافظوا عليها، في حين تخلى أبناء الجيل الثالث عنها، قابلت واحدة من الجيل الأول تحدثت باللهجة المصرية وليس باللهجة الفلسطينية في الوقت الذي حافظ عليها العديد من أبناء الجيل الثاني والثالث.

ومن خلال مقابلتي لأعداد من اللاجئين الفلسطينيين من مختلف المجتمعات – مخيمات وغير مخيمات، داخل فلسطين وخارجها– تبين لي أن هذا العنصر الهوياتي قد تأثر تأثراً ملحوظاً وذلك بسبب ظروف سياسية وجغرافية معينة تباينت من فرد لآخر ومن أسرة لأخرى؛ ومع التأكيد على ان هذا الشيء طبيعي ومنطقي ومتوقع، إلا أنه وجبت الإشارة إليه. فمثلاً من كان أصله من قرية وانتقل ليسكن في مدينة لم يعد يتكلم لهجة أهل القرية، بل بات يتكلم لهجة المدينة. ومن تهجر خارج فلسطين بات يتحدث اللغة أو اللهجة المستعملة مكان إقامته، فمثلاً لبنا لم تتحدث باللهجة الفلسطينية أبداً، ومن يستمع لكلامها يدرك أسلوبها المختلف في الكلام، فقد تحدثت باللهجة السورية كونها كانت من العائلات الفلسطينية اللاجئة في سوريا، وكذلك الأمر بالنسبة لرانيا التي عاشت معظم حياتها في أمريكا فقد كانت لغتها العربية ضعيفة وطريقة كلامها بينت قلة استخدامها للغة العربية أو اللهجة الفلسطينية. أما كريم فقد أظهر صعوبة بالغة في استخدام اللغة العربية خاصة خلال إجابته على أسئلة المقابلة، ففي حين تمكن من الحديث معي بلغة عربية ضعيفة في البداية، إلا أنه لم يستطع إلا وأن يكمل باللغة الإنجليزية، فلم تعد اللغة العربية هي اللغة التي يمكنه استخدامها للتعبير بشكل واضح عما يجول في خاطره، بل أصبحت اللغة الانجليزية والفرنسية أسهل بالنسبة له من اللغة العربية.

وفي ظاهرة أخرى تتعلق باللغة المستخدمة، ظهر لدى المبحوثين تباين في طريقة التعبير والإجابة، فمنهم من استخدم اللغة العامية واستعان بألفاظ عامية جداً، وأحياناً عند الانفعال كان يلجأ لسب بعض الجهات دون خوف أو تردد. وفي المقابل أظهر البعض ميلاً للحديث باستخدام اللغة العربية الفصحى وليس اللهجة العامية المستخدمة

والمعتادة. قد يكون ذلك مراعاة منهم لأن مناسبة الكلام هي لغايات أكاديمية، أو سعياً منهم لإظهار مستوى من الوعي والعلم. في البداية كنت لأقول أن من استخدم اللغة العربية الفصحى حاول أن يقيد نفسه وكلماته فلم تكن تعبيراً جيداً عما يدور في باله، على عكس من تحدث بالعامية وانطلق بالحديث بعفوية، إلا أن مضمون وسياق الكلام بين لي أن هذا الافتراض ليس صحيحاً، ففي حين أظهر كثيرون ممن تحدثوا الفصحى صدقاً في مشاعرهم وتفاصيلاً دقيقة عن حياتهم، امتنع آخرون ممن تحدثوا العامية عن ذلك، وكان يظهر في كلامهم التناقض وأحياناً عدم الصدق– ولا أدري إن كان ذلك عدم صدق مع الباحث أم عدم صدق مع أنفسهم!

أيضاً لاحظت فروقات في طبيعة الخطاب أو الكلام الذي يستخدمه المبحوثون فمنهم من استخدم ضمير المتكلم عند الحديث مثل "إحنا، كنا، تهجرنا"، كمن أظهر من خلال كلماته أنه كان جزءاً من المجموعة التي يتحدث عنها كالذي يقول "إحنا جيلنا مش طالع بإيدنا اشي" أو "طلعنا لأننا كنا مجردين". وفي المقابل كانت هناك فئة أخرى، خاصة من أبناء الجيل الأول، حاولت استخدام أسلوب ينأى بأنفسهم عن الذي يتحدثون عنه، كأن يستخدموا "ضمير الغائب" عند الحديث عمن خرج من القرية أو من ترك بيته مجبراً أو خائفاً في ذلك الوقت، فيقول أحدهم... "أهل البلد لما طلعوا كانوا خايفين على بناتهم على خواتهم..." أو "هم الكبارية اللي خربوا الدنيا". وكأن المتحدث لا يشمل نفسه ضمن المجموعة التي يتحدث عنها وأحياناً يحملها مسؤولية ما حصل للفلسطينيين عام 1948.

وبالانتقال بالحديث إلى بعض الكلمات المستخدمة خلال المقابلات، أود هنا أن أشير إلى مفهومين رئيسيين تم استخدامهما من قبل عدد من المبحوثين خلال المقابلات. أما بخصوص المصطلح الأول فكان مصطلح "**البلاد**" حيث كان هو الأكثر استخداماً عند حديث المبحوثين عن قريتهم أو مدينتهم التي هجروا منها، كأن يقولوا " لما طلعنا من البلاد"، أو "يا ريت نرجع عالبلاد"، أو "هناك في البلاد الحياة كتير أحلى"، وكانوا من خلال ذلك يظهرون أن مكان تواجدهم الحالي لا يعتبرونه بلادهم، مع أن الغالبية العظمى مقيمون داخل حدود فلسطين. وفي هذا إشارة على أنهم لا يشعرون بالانتماء لمكان إقامتهم أو بالحميمية، وهو ما يظهر جلياً في كلمات لبنا التي وصفت هذا الشعور بالاغتراب حتى داخل فلسطين قائلة:

> "أنا لم أشعر بحياتي شعور بالوطن (Feeling Home) يعني ما شعرت بحميمية المكان وأنه المكان ضامك... لم أشعر بها إطلاقاً.. يعني تونس إلها مكانة بقلبي

وسوريا إلها مكان كتير كبير بقلبي... بس بيضلو هدا تونسي عايش بتونس وهدا سوري عايش بسوريا.. بس انت فلسطيني شو عم تعمل هون؟! وحتى رام الله اللي هي أول "وطن" بتعرف عليه بس برضو أنا مش من أهل رام الله... أنا مش متل أصحابي اللي من قرية حد رام الله بروحوا على أراضي تبعتن.. وأنه هاي أرضك وهاي العين على أرضك... هذا الشعور انا أفتقده وكتير حابة أعيشو... فبحكيلك وقت يحكولي إرجعي .. وحتى لو صار خلاف أن بترجعي بجنسية إسرائيلية او فلسطينية... مـــــــــــا بيهمنـــــــــــي" (لبنا، 28 عام، مقابلة بتاريخ 2012/5/16).

أما المصطلح الثاني، فهو استخدام مصطلح "الهجرة" بدلاً عن "التهجير" أو "اللجوء". فمثلاً تقول أم كرم... "والله يا بنتي تبهدلنا بالهجرة" أو "لما هاجرنا من عين كارم ما أخذنا معنا اشي". إن مصطلح الهجرة هذا حساس وخطير عند استخدامه، وبالرغم من أنه كان يخرج من المبحوثين عفوياً ودون إدراك للفرق بين هذه المسميات، إلا أنه لا بد من التوعية بوجود فرق شاسع بين مفهوم الهجرة الذي يشير إلى الطوعية عند الخروج، وبين مصطلحات كاللجوء أو التهجير التي تبين غياب الإرادة الفردية ووجود عامل الإجبار (كناعنة 2008، 69).

<u>ثالثاً: الأجيال المختلفة من المبحوثين</u>

- **<u>فيما يتعلق بالمقارنة بين الأجيال باعتبار الجيل سبب رئيسي للاختلاف بين المبحوثين</u>**

كان الأصل في هذه الدراسة العمل على دراسة وبحث نقاط التشابه والاختلاف الواردة بين الأجيال المختلفة، وقد جاءت العديد من الدراسات لتقدم مقارنات من هذا النوع في نواح ومسائل محددة، وعرضت نوعاً من النتائج التي عملت على تعميمها لكل جيل من الأجيال المدروسة. ما يختلف هنا في بحثي هو أنني ومن خلال دراستي ومقارنتي للمقابلات التي أجريتها، تبين لي أنه من غير الممكن العمل على مقارنة جيل كامل بجيل آخر، فقبل البدء في العمل على تحقيق ذلك، كان لا بد لي من إجراء مقارنة داخلية بين أبناء الجيل الواحد، وذلك لما أظهرته المقابلات التي تم إجراءها من فروقات كبيرة وجوهرية بين أفراد الجيل الواحد.

وهكذا وبعد أن كان افتراضي الأولي يقوم على أن الجيل هو عامل رئيسي لاختلاف الرواية والرأي لدى اللاجئين، أظهرت المقابلات أن كل جيل من الأجيال المبحوثة لديه من الاختلافات ما لدى الأجيال الأخرى، وكأن

الفروقات لم تكن (أفقية) بمعنى أن الجيل كذا بمجمله يختلف عن كامل أفراد الجيل الآخر، لكن هذه الاختلافات كانت (عمودية) بمعنى أن كل جيل من الأجيال كان يشمل كامل الاختلافات والاستثناءات التي تظهر في الأجيال الأخرى. ولأكون أكثر وضوحاً سأضرب مثلاً بسيطاً. عند سؤال الأفراد المبحوثين عن الجهة التي يحملونها المسؤولية وردت الجهات التالية لدى كل جيل من الأجيال المبحوثة.. (طبعاً العرب... أو ... اليهود.... أو ...البريطان والانتداب... وهكذا). أي أنه لم يكن هناك إجابة موحدة لكل جيل على حدى.[38]

وحتى الظاهرة أو النتيجة التي توصل لها باحثون قبلي في هذا المجال من أن الجيل الأول بطبيعة الحال كان يعطي تفاصيلاً أكثر بكثير من الجيل الثاني والثالث (عمرو 2007)، فهي أيضاً لم تكن صحيحة تماماً، فقد قابلت من الجيل الأول من لم يقدم أي تفاصيل عن أحداث عام 1948 في حين تمكن آخرون من الجيلين الثاني والثالث من ذكر تفاصيل دقيقة وكثيرة حول ذلك العام، وبغض النظر عن مصدر معلوماتهم، إلا أنهم قدموا معلومات سمعوها أو قرأوها أكثر من غيرهم في الجيل الأول.

هنا عمدت إلى تحويل تفكيري للافتراض أن سبب الاختلاف بين روايات وآراء أبناء الجيل الواحد يعود لعامل المنطقة الجغرافية أو القرية الأصل التي خرجوا منها، حيث ظننت لوهلة أن كل قرية تروي تجربتها الخاصة التي لا بد وأن تختلف عن غيرها من القرى، وهو كلام ليس بالخاطئ ولا يمكن إنكاره. لكن أظهرت بعض المقابلات أن عامل المكان ليس الوحيد الذي يلعب دوراً في اختلاف روايات الجيل، بل في بعض الأحيان كان لا يلعب دوراً بتاتاً. ومن أبرز الأمثلة التي تظهر هذه النقطة بوضوح وجود اختلاف كبير بين روايات اثنين من أبناء نفس الجيل، والملفت أنهم من نفس القرية أيضاً. أي أنهما من نفس المنطقة الجغرافية وبالتالي يفترض أنهما تعرضا لذات الظروف عند الخروج من قريتهم عام 1948. إلا أن شهادتهما كانت تختلف تماماً. ففي حين اعتبر الأول أن خروجه وأهل قريته من قريتهم كان بسبب الاعتداء المباشر والقصف فوق رؤوسهم ما دعاهم للعمل على النجاة بأرواحهم، جاء رأي الآخر مخالفاً تماماً حين أنكر أن خروجهم كان مبرراً واعتبر فرار أهل قريته "بطراً" على حد تعبيره – أي دون مبرر.

---

[38] يقول بول ريكور "مع فكرة الجيل تسود رؤية أفقية فقط للعلاقة الاجتماعية، جيل يأتي مكان جيل آخر عن طريق الاستبدال المتواصل، غير أن الأهم أن فكرة الجيل تشير إلى خروج الجيل الهابط على يد الجيل الصاعد" (2009، 596).

وهكذا ومجدداً، عمل اللاجئون من خلال المقابلات على تفنيد افتراضي حول سبب الاختلاف في الروايات. ومن هنا تأتي الإجابة عن سؤال البحث الرئيسي حول ما إذا كان هناك اختلاف جوهري في روايات اللاجئين من جيل لآخر باعتبار الجيل سبب لهذا الاختلاف. حيث تبين أن هناك اختلاف بين هذه الروايات لكن لا يمكن اعتباره جوهرياً، فالاختلافات كانت بسيطة وكانت متواجدة حتى بين أبناء الجيل الواحد، أي أن الجيل لم يكن عامل اختلاف بارز. وأما عن الاختلافات التي ظهرت بين الأجيال، فلم تكن بسبب عامل الجيل فقط، بل اجتمعت عدة عوامل وعناصر أخرى أدت بنهاية الأمر إلى الاختلافات التي ظهرت خلال البحث، ومن هذه العوامل ظهر أثر العامل الجغرافي وأثر الانتماء السياسي والأسرة.

- **<u>الأثر المتبادل بين الأجيال</u>**

في الأبحاث المقارنة بين الأجيال المختلفة من اللاجئين، وخاصة الأجيال الجديدة، كان هناك نزعة لدراسة أثر العوامل التي تؤثر على آراء هذه الأجيال ورواياتها للتاريخ والتجربة، كأثر العولمة وأثر الانتماء السياسي والدين والمحيط، بالإضافة إلى أثر العائلة والمدرسة والأجيال السابقة. وغالباً ما كانت تدور الأفكار العامة حول أثر ما يفرضه أو يزرعه الكبار – الآباء والأجداد– من آراء ومواقف في أذهان أبنائهم وأحفادهم، فتأتي روايات وآراء الجيل الثاني والثالث من خلال ما سمعوه من كلام آبائهم وأجداهم.

أظهرت المقابلات التي أجريتها مع بعض أفراد الجيل الأول والثاني أثراً عكسياً في العلاقة بين الأجيال، بحيث ظهر أثر كلمات وآراء الجيل الثالث على مواقف آبائهم وأجدادهم، كأن يقول شخص، قال لي ابني أو قالت لي ابنتي أن كذا وكذا حدث، فمثلاً، وخلال حديثه عن حق العودة والتعنت الإسرائيلي والأطماع في المنطقة استعان كرم بما سمعه من ابنه لتفسير حادثة دخول قوة إسرائيلية إلى داخل حدود الأردن قائلاً: "ابني حكالي هذي مسج للأردن عشان بيحكوا عن باب المغاربة، يعني تدّخلوش عنا لأنه هينا عندكم..." وفي حالة أخرى تحدث عن وضع الجيل الحالي وانغماسه بالحياة الاستهلاكية وهو يقول: "بيقول لي ابني هذاك اليوم انه 105% عندهم بلفونات، يعني في ناس عندهم 2 و3..."

أيضاً يظهر الدور المتبادل بين الآباء والأبناء حين كان الأبناء أو الأحفاد يعملون على تذكير آبائهم أو أجدادهم بأحداث معينة ليرووها لنا. كمن تقول لوالدها "يابا احكيلها كيف لما جيت من غزة للخليل"، أو من يذكر والدته بتفاصيل حياة عايشتها وروتها له بالماضي ونسيتها اليوم كالحديث عن عين الماء أو مقهى الحارة أو غير ذلك. ومن هنا تظهر ضرورة رواية التجارب للعائلة والأبناء والأحفاد، فما يستذكرونه اليوم قد لا يملكون القدرة على استذكارها غداً نظراً للتقدم بالعمر والنسيان أو ضعف الذاكرة.

- **<u>آراء الأجيال ببعضها البعض</u>**

عند الحديث عن آراء الأجيال ببعضها البعض ظهرت عدة سمات بين الأفراد المبحوثين، وتباينت وجهات النظر لدى كل جيل من الأجيال الثلاثة المدروسة. بداية، فإن أبرز هذه الظواهر تمثلت بميل نسبة كبيرة من المبحوثين إلى اعتبار الأجيال الأخرى أفضل من جيلهم، فالجيل الأول يرى أن الجيل الثالث والثاني أفضل منه وأكثر وعياً وعلماً مما يؤهله القيام بدور أفضل من سابقه، في حين يرى الجيل الثالث أن الجيلين الأكبر هما الأفضل والأوعى كونهم هم من عايشوا الحدث وهم من خسروا أملاكاً وديارا.

لكن في المقابل، ظهر لدى الكثيرين من أبناء الجيل الثاني والثالث من يتهم الجيل الأول بالتقصير، ويحمله مسؤولية الخروج من القرية، سواء كان ذلك لمن خرجوا خوفاً مما حدث بالقرى الأخرى، أو حتى من تعرضوا للهجمات الصهيونية المباشرة. وحتى بين أبناء الجيل الأول، ظهر هذا النوع من تحميل المسؤولية لأنفسهم وأظهر العديد منهم –أي الجيل الأول– ندمه على الخروج. ومن هؤلاء من عمد إلى تبرير خروجه وشرح الظروف التي قادته لذلك، في حين اعتبر آخرون أن لا مبرر للخروج حتى وإن كان الموت مصيرهم، كالحاجة أم غنام التي قالت: "لو كانوا الناس ظلت بالبلد ومات كومين وظل كوم... كان الكوم أحيى البلد... لو ظلوا في بلادهم واللي مات مات واللي طاب طاب".

- **<u>محاولة الجيل الأول مواساة أنفسهم عما حدث عام 1948 بالتأكيد على أنهم لم يقعوا بالفخ مجدداً</u>**

تقودنا النقطة السابقة المتمثلة بتحميل الجيل الأول مسؤولية الخروج إلى نتيجة أخرى تمثلت بمحاولة مواساة النفس او التأكيد على أنهم لم يكرروا الخطأ مرة أخرى، فحين كنت أتوجه لأبناء الجيل الأول بالسؤال عن سبب الخروج

من القرية وكيفية التهجير منها، أظهر عدد كبير منهم ندماً واضحاً على تركهم منازلهم وأراضيهم، بالرغم من صعوبة الظروف وتعرض حياتهم للخطر، وكانت كثيراً تنتهي إجاباتهم بالتأكيد أو الإشارة إلى أنهم لم يكرروا خطأهم مجدداً، فحين تكررت ذات الظروف وذات المخاطر عام 1967، لم يعيدوا الكرة، بل رفضوا الخروج وآثروا البقاء في أماكنهم مهما كانت الظروف وحتى لو كان الثمن حياتهم. كنت أشعر من كلماتهم وأسلوبهم سعياً لتحسين صورتهم في أعين أنفسهم وفي أعين الآخرين ممن يتهمونهم بالتقصير عام 1948، فمثلاً السيدة أم حبيب تحدثت عن الخروج والمسؤولية عن الخروج قليلاً ثم انتقلت بالحديث لتقول:

> "وأجونا كمان مرة هون، وهاجروا الناس، إحنا ما رضيناش، قالوا بدنا نطلع قلتلو أنا من هالبلد بطلعش، انا من هالدار مش طالعة، بدك تروح انت وولادك... بدك توخذ ابنك خدو.. أنا بضلني بالدار لحالي... وما راحوش.. مهو انقرصنا مرة شو مالك" (أم حبيب، 80 عام، مقابلة بتاريخ 2012/10/14).

<u>رابعاً: اختلاط الأزمنة المختلفة في أذهان المبحوثين</u>

> "الماضي يساعد على فهم الحاضر والحاضر يساعد على فهم الماضي، دون خلط للأزمنة ودون إسقاط زمن على زمن" (كوثراني 2000، 13).

ظهر الأثر المتبادل بين الماضي والحاضر في روايات المبحوثين الذين تمت مقابلتهم خلال هذا البحث، وظهر فعلاً أن الماضي يساعد على فهم الحاضر والحاضر يساعد على فهم الماضي، فمن عاشوا تجربة النكبة أكدوا على أثر تجربتهم في ذلك العام على فهمهم لأحداث عام 1967 وغيرها من الأحداث التي عايشوها، إلا أن ما ورد في الاقتباس السابق عن عدم خلط الأزمنة لم يكن دقيقاً تماماً إذا تم ربطه بما ورد في حديث المبحوثين. فقد ظهرت عدة حالات من خلط الأزمنة وعدم تراتبية الأحداث في أذهان من عايشها. فقد تم إسقاط مصطلحات وأسماء على فترة النكبة لم تكن موجودة في ذلك الوقت، بل هي مسميات ظهرت بعد ذلك العام.

مثلاً تم في كثير من الأحيان استخدام اسم "إسرائيل" عند الحديث عما قبل النكبة، مع العلم أن إسرائيل لم تكن دولة قائمة ومعترف بها في ذلك الوقت. كما عمد البعض عند الحديث عن المسؤولية والجهة المسؤولة عما حل

بالفلسطينيين عام 1948 إلى تحميل المسؤولية إلى "أمريكا اللي كانت مستلمتنا وقتها" والقصد هنا بريطانيا. قد يكون هذا سهواً لا غير، ولكنه أيضاً قد يعتبر شكلاً من أشكال الإسقاط الزمني على الأحداث التاريخية.

أيضاً، تم في بعض الحالات استخدام تعبير "النكسة" بدل "النكبة" عند الحديث عن أحداث عام 1948، وقد حاولت استشارة بعض الأصدقاء عن طريقة تفسيرهم لمثل هذه الظاهرة، حلل البعض ذلك على انه محاولة للتخفيف من وقع الكلمة، فمصطلح نكسة أقل حدة من نكبة. وآخرون اعتبروا ذلك خلطاً بين الأزمنة لكثرة النكبات والنكسات التي مرت على الشعب الفلسطيني، إضافة إلى التشابه الكبير في الظروف والأحداث في كلا العامين (1948 النكبة) و(1967 النكسة)، ففي الحالتين أدت الممارسات الإسرائيلية إلى حالات نزوح وتهجير للشعب الفلسطيني من أراضيه.

وأخيرا، وفيما قد يندرج ضمن ذات التحليلات التي وردت حول موضوع اللبس في استخدام مصطلحي النكبة والنكسة، ظهر مجدداً أثر تعدد النكبات والأحداث التي شهدها الفلسطينيون على مدى أعوام طويلة من انتهاكات ومجازر وعمليات قتل وتنكيل في كلام إحدى المبحوثات التي أجابت عن التساؤل حول سبب خروجهم من قريتهم وسبب ما حل بهم بأنهم خافوا من المجازر التي ارتكبتها إسرائيل بحق الفلسطينيين عام 1948 وعلى رأسها عددت مجزرتي دير ياسين و(قانا)، علماً أن مجزرة قانا هي مجزرة وقعت في قرية قانا في جنوب لبنان وليس في فلسطين، وكانت عام 1996 وليس عام 1948.

وبالنهاية قد لا تكون مثل هذه الظاهرة تعدو كونها مجرد سهو أو كلمة عابرة خرجت من الشخص المبحوث عند محاولته استذكار تفاصيل مر عليها سنوات عديدة، وقد تكون فعلاً اختلطت عليهم الأمور والأزمنة. وهذا الأمر لا يمكن تحديده لذا لا بد من اعتبار التحليلين.

<u>خامساً: عدم إدراك اهمية الدور الذي تلعبه بعض الأطراف الفاعلة كالأسرة والمرأة</u>

الرواية الشفوية والقصة المحكية لتجارب الحياة التي مر بها الآباء والأجداد والتي يروونها لأبنائهم وأحفادهم، هي خطوة رئيسية وهامة من أجل حفظ التاريخ وحماية الأجيال الجديدة من التأثر بتيارات الخصم التي حاولت وتحاول تشويه التاريخ الفلسطيني. وتمارس الجهات المعنية في الجانب الإسرائيلي شتى الوسائل الممكنة لحذف كل ما

يمت لفلسطين وللفلسطينيين في التاريخ والواقع، فهي تستغل الوسائل الإعلامية والوسائل التعليمية وغيرها من أجل نشر تصورها وروايتها للتاريخ في أرض فلسطين. وكوننا شعباً محتلاً نتعرض يومياً لهذه الأساليب التي لا بد وأن تؤثر على من يراها ما لم يكن مسنداً ظهره إلى أصول تاريخية ومعرفة بحقيقة ما حصل، لذا تعتبر الروايات المحكية والتجارب الشخصية هامة جداً وتعمل عمل الوقاية من الوقوع في شرك التاريخ المزيف الذي يروج له المحتل، وخاصة في المدارس التي معظمها تخضع للسياسات والقيود الإسرائيلية.

عندما لا تعمل الأسرة على غرس التجارب والمعرفة التاريخية في أطفالهم سيسارع المشروع المعادي إلى غرس أفكاره ورؤيته فيهم، فكثيراً ما قابلت أشخاصاً ممن يفترض أنهم كبار بالسن ويعلمون ما جرى، إلا أنهم قالوا: "ما بنعرف، أهلنا ما كانوا يخرفونا" أو حتى أنهم اعترفوا أنهم لا ينقلوا تجربتهم للأجيال الجديدة كمن تقول: "ليش نحكي للصغار ونحزنهم علينا".. وهذا خطأ وثغرة في طريق نضال الشعب الفلسطيني وحفاظه على هويته. وفي المقابل تظهر التجارب أن من سمع تجربة أهله وتاريخهم، يصبح عقبة في طريق الخطة الصهيونية لنشر أفكارها، وهذا ما أظهرته فاطمة قاسم، مؤلفة كتاب "النساء الفلسطينيات" والذي كتبته بناءً على رسالتها لنيل شهادة الدكتوراه. وقد خصصت الكاتبة فصلاً كاملاً لتبين الأثر الكبير الذي تركته روايات والديها وجدتها على حياتها كفلسطينية مقيمة في ظل "إسرائيل"، فعندما دخلت المدارس والجامعات هناك، واجهت التناقض بين ما يتم تدريسه هناك وبين الحقائق والوقائع التي لطالما سمعت أسرتها تتحدث بها منذ طفولتها، ومن هنا بدأت تبلور فهمها واهتمامها بالقضية والتاريخ.

كما قد لا يدرك الآباء خلال كلامهم وحديثهم، وسردهم لقصصهم وتجاربهم أهمية ما يقولون، وقد لا يدركون أدواراً مهمة قاموا بها، فمن خلال روايات النساء مثلاً يتبين الدور المهم الذي لعبته النساء في أثناء عام النكبة وما بعدها، الدور الذي هم بدورهم، وبسبب المجتمع الذكوري والعادات التي تهمش المرأة ودورها، قد لا يدركوا أهميته وأثره على التاريخ والحياة والأجيال.

سادساً: رفض بعض المسلمات

تكمن أهمية بعض استنتاجات هذا البحث في كونها عملت إلى حد ما على التشكيك في بعض المسلمات والمفاهيم الجامدة التي انتشرت بين الباحثين والتي باتت تعتبر من الأمور البديهية التي لا يتم التشكيك في صحتها وكأنها محصنة من النقد. ومن خلال عملي في هذا البحث توصلت إلى ما قد أطلق عليه انعكاساً في بعض المفاهيم التي كنت قد بنيتها مسبقاً بناءاً على ما قرأته أو سمعته من هذا المجال. وأجمل هذه المفاهيم في ثلاثة مفاهيم رئيسية ارتأيت أن فهمها في سياقها وإطارها الحالي والسائد حالياً هو فهم مغلوط ولا بد من إعادة النظر فيه. وهذه المفاهيم هي "الجيل" و "الذاكرة الجماعية" و "النكبة".

- **الجيل**

لطالما راودتني التساؤلات مع كثرة استخدامي لمصطلح "الجيل" خلال عملي في هذا البحث ومقابلاتي مع أفراد العينة المبحوثة وكنت دوماً أفكر وأطرح تساؤلاً مفاده: من يا ترى هو جيلي الذي أنتمي إليه؟ فعلى افتراض أن الجيل يحتسب كل 25 عاماً، فهل أنا من جيل من هم أصغر مني بهذا القدر أم من جيل أولئك الذين يكبرونني به؟ أم اعتبر في المنتصف بين الجيلين؟ ولم أستطع التوصل لإجابة على هذا التساؤل سوى من خلال الادعاء بأن مفهوم الجيل بحد ذاته وتحديده بالأسس المعروفة هي مسائل محل شك ولا تتسم بالدقة.

فالطرح السائد في هذه الفترة يفيد بأن كل جيل يتم تحديده بفئة عمرية محددة يختلف عن الجيل الآخر من فئة عمرية أخرى، وكأن الأجيال هي شلال متقطع يسري لمسافة معينة ثم ينحدر ليبدأ بعد ذلك مرحلة وقسماً جديداً من انهماره. ومن خلال الممارسة وإجراء المقابلات وتحليلها، خرجت بنتيجة تشير إلى أن هذه الصورة مغلوطة، بل يمكن اعتبار الأجيال كالنهر الجاري الذي لا تتقاطع مراحله بل هي في جريان واندماج مستمر.

وبالحديث عن أجيال اللاجئين الفلسطينيين، فقد كان من الصعب تحديد "أجيال معينة" للبحث في روايات النكبة. فالأجيال هي كالسلسلة، طرف البداية فيها يتلاقى مع طرف نهاية من قبلها، كما يلتقي طرف نهايتها بطرف بداية من بعدها. بمعنى ان كل شخص يعيش جزء من "الجيل السابق" وجزء من "الجيل اللاحق"، بحيث يكون هناك نقاط تلاق عديدة لا تقل بأهميتها عن نقاط الاختلاف. لهذا ظهر أن الجيل الثاني من المبحوثين يمثل نقطة التقاء

الطرفين البعيدين المتمثلين بالجيلين الأول والثالث، بل أحياناً وجدته إلى حد ما عبارة عن فئة "تائهة" ما بين الجيل السابق والجيل اللاحق.

توصلت لهذه النتيجة عندما حاولت أن أحدد كل جيل من الأجيال المبحوثة بفئات عمرية محددة، فاعتبرت أن من هم فوق سن 70 عاماً هم الجيل الأول، باعتبار أنهم من شهدوا وعاصروا النكبة شخصياً، ليتم بعدها اعتبار أبنائهم جيلاً ثانياً (وغالباً هم بأعمار تتراوح بين 40-67) وأحفادهم جيلاً ثالثاً (وهم بأعمار الثلاثينات فما دون ذلك). وهنا ظهرت المشكلة، حيث أن من كان عمره آن ذاك –أي عام 1948- عشرة أو خمسة عشر عاماً، لا يمكن مساواة روايته برواية من كان يبلغ عامين أو خمسة أعوام، فوعي وذاكرة الطفل ابن الخمسة أعوام لن يكونا بذات القوة والوضوح لدى ابن الخامسة عشر. وبالتالي قد تكون رواية الأصغر سناً أقرب لرواية أبناء "الجيل الثاني" منها لأبناء "الجيل الأول".

ومن ناحية أخرى، وكوني اعتبرت أبناء وذرية من هم من"الجيل الأول" جيلاً ثانياً، واجهتني ظاهرة من كان/ت ابناً أو ابنتاً لأب من "الجيل الأول" ولأم من "الجيل الثاني"، مما أثار تساؤلي حول ما إذا كان علي اعتبار هذا الشخص ضمن فئة الجيل الثاني كونه ابن لأب من الجيل الأول، أم اعتبره من الجيل الثالث كونه لأم تنتمي للجيل الثاني؟! ومن هنا خلصت إلى النتيجة الواردة أعلاه والمتمثلة بعدم وجود أجيال محددة بوضوح، بل هي متداخلة.

بالنهاية، لا بد أن أشير أنني ومن خلال هذا الاستنتاج لا أدعي انعدام الاختلافات بين الأعمار المختلفة من اللاجئين، فهناك اختلافات موجودة، لكن وفي نفس الوقت، هذه الاختلافات ذاتها موجودة بين أبناء الجيل الواحد نفسه، وبالتالي لا يمكن اعتبارها اختلافات بين أجيال مختلفة. لذا هنا أرى أنه قد يكون من المناسب إعادة النظر في هذه الرؤية التاريخية للأحداث التي تقوم بناءاً على تقسيم عمري يحدد ويقيد من يتبعه، والتوجه نحو العمل على تطوير أطر مختلفة أكثر بنيوية من كونها تاريخية. وهذا ما يحتاج لعمل وبحث طويلين ليس مكانهما هنا ولكن وجبت الإشارة إلى الموضوع.

- **الذاكرة الجماعية:**

بما أنه ظهرت خلال عملية البحث والتحليل في هذا البحث العديد من التناقضات والاختلافات في الذاكرات التي قدمها المبحوثون – أفقياً وعمودياً– أي بالجيل الواحد وبين الأجيال المختلفة، هذا يقودنا إلى أنه لا بد من الطعن في المفهوم المجرد المتمثل بـــ"الذاكرة الجماعية". فإذا كان الاعتبار السائد حول الذاكرة الجماعية يتمثل بأنها عبارة عن "إجماع داخل مجتمع معين حول حدث معين" تبين لي من خلال المقابلات أنه لا يوجد إجماع حول العديد من أحداث عام 1948 وبالتالي الذاكرة الفلسطينية حول احداث النكبة ليست بالضرورة ذاكرة جماعية. لكن بالمقابل هذا لا يعني تماماً أنني اعتبرها ذارة فردية، فالفرد لا يعيش منغلقاً على نفسه أو في فضاء مستقل بعيداً عمن حوله، بل هو يعيش في ظل مجتمع وجماعات مختلفة يؤثر عليها وتؤثر عليه بدرجات معينة لكنها ليست مطلقة أو تامة. فبالرغم من أن المبحوثين يعيشون في مجتمع واحد يفترض أنهم يؤثرون على بعضهم البعض ويتبادلون الأثر فيما يتعلق بالذاكرة الموجودة لديهم حول نكبة عام 1948، ظهر تباين ملحوظ في الروايات والأحداث التي رواها هؤلاء المبحوثين على اختلاف أعمارهم وظروفهم.

- **مفهوم النكبة والنكبات الخاصة**

منذ أول مرة استخدم فيها مصطلح "النكبة" في الإشارة إلى ما حل بالشعب الفلسطيني عام 1948، بات هذا المصطلح محدوداً ومقتصراً على تلك الأحداث، فما أن تقال كلمة "نكبة" حتى يفهم مباشرة أنها إشارة إلى عام 1948. كما عمد الكثيرون إلى استخدام مفهوم "النكبة المستمرة" وفي ذلك يظهر تحديد وربط أي حدث يصيب الشعب الفلسطيني بأنه امتداد لما حدث عام 1948. وهنا أود أن أشير إلى اعتبار مختلف لمسته خلال العمل مع المبحوثين ممن قابلتهم لأغراض هذه الدراسة، وهو أن النكبة لا تقتصر على ذلك العام –1948– وما يصيب الشعب الفلسطيني ليس استمراراً للنكبة، بل هو عبارة عن نكبات متتالية ومختلفة ما يجمعها هو الطرف الذي أصابته هذه النكبات وهو الشعب الفلسطيني. فالنكسة مثلاً هي نكبة جديدة، أصابت من "انتكب" عام 1948 ومن لم "ينتكب"... العدوان على غزة هو نكبة جديدة، الأعداد المتزايدة من الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية هي نكبة تصيب كل العائلات الفلسطينية يومياً...!

أيضاً، كان لكل فرد من المبحوثين تجربته الخاصة مع نكبات الحياة، فنكبة 1948 كانت نكبة جماعية على معظم الشعب الفلسطيني، إلا أن هناك نكبات أخرى صغيرة أصابت أفراداً بحد ذاتهم على مر السنوات الواصلة بين عام 1948 ويومنا هذا. فبالإضافة إلى نكبتهم الكبرى عام 1948 المتمثلة بتهجيرهم من قراهم وبيوتهم وأراضيهم، احتلت النكبات "الصغرى" مساحة كبيرة من المقابلات، فهذه النكبات جاءت كجرح فوق جرح يزيد أحدهما الآخر ألماً. فلا ينسى السيد صابر ما حل بابنه الكبير وكيفية استشهاده، أو كيف تحول ابنه الآخر إلى شخص ذي إعاقة على إثر إصابته برصاص الاحتلال فترة الانتفاضة الأولى، ولا يخفي ألمه من عدم تمكنه من إتمام تعليم أبنائه. وكذلك السيد أبو نادي، يستذكر تفاصيل فقدانه لذراعه خلال قصف العصابات الصهيونية لتجمعات الفلسطينيين. الحاجة أم منير ما زالت تذكر فجعتها بفقدان والدها الذي قتل في باحة البيت.

الخلاصة

مع نهاية العمل على هذا البحث، يمكن القول أنه تم تفنيد الفرضية الرئيسية لهذا البحث بشطريها الأول والثاني. الشطر الأول الذي افترض من الأساس وجود أجيال تقوم عليهم عملية المقارنة باعتبار أن هناك فئات عمرية محددة تنقسم إلى أجيال يختلف أحدها عن الآخر، وهو المفهوم السائد للجيل والذي تم التشكيك في مدى دقته وصحته.

أما الشطر الثاني فكان افتراض وجود اختلافات جوهرية بين هذه الأجيال وهو ما أثبتت الباحثة عدم تطابقه مع مخرجات البحث كون الاختلافات الواردة في مقابلات المبحوثين تبين أنها اختلافات لا تبنى على أساس ألجيل، بل بناءً على عوامل وأسباب أخرى مختلفة.

الخاتمة

انطلاقاً من أن التاريخ الشفوي للأمم لا يقل أهمية عن التاريخ المكتوب لها كونه يسلط الضوء على روايات أشخاص غالباً ما لا يؤتى على ذكرهم في التاريخ المكتوب، كالفقراء والفلاحين والنساء والمهزومين وغيرهم، ونظراً لأن التاريخ المكتوب يركز على الأحداث الكبيرة وكثيراً ما يغفل ذكر أحداث وتفاصيل بسيطة قد تكون ذات دلالات كبيرة أو سبباً رئيسياً في حدوث الأحداث الكبرى، يأتي هذا البحث لدراسة مسألة اللاجئين الفلسطينيين الذين هجّروا من أراضيهم خلال نكبة عام 1948 ودراسة الأجيال المختلفة من هؤلاء اللاجئين وتحري الاختلافات بينها، وذلك دون التركيز على المصادر التاريخية المكتوبة، بل بالاعتماد على الروايات الشفوية لهؤلاء اللاجئين.

وبعد مراجعة مجموعة من الأطر النظرية والأدبيات السابقة ذات العلاقة بموضوع اللاجئين الفلسطينيين والتاريخ الشفوي، والتي تجمع بالحديث بين مفاهيم عميقة وهامة على رأسها مفهوم الذاكرة والتاريخ والنسيان وغيرهم، تعالج هذه الدراسة فئة اللاجئين الفلسطينيين ضمن إطارين رئيسيين هما: الروايات والآراء. حيث جاءت الفصول الأولى منها لبحث روايات اللاجئين عن الأحداث والظروف التي عايشوها في عام 1948 كجيل أول، أو سمعوها وعرفوها من آبائهم وأجدادهم كجيل ثاني وثالث. روايات تتعلق بوصفهم لفترة النكبة وما قبلها وما بعدها، وتوصيف لكيفية وظروف وأسباب الخروج من القرية أو المدينة الأصل وكيفية التعامل مع الظروف الطارئة الجديدة وحياة المخيم وغيرها من القضايا. إضافة إلى التطرق لمسائل أتى ذكرها وتمت إضافتها إلى خطة البحث بعد بروزها بشكل ملحوظ في المقابلات التي تم إجرائها، مثل طبيعة دور المرأة في تلك الفترة، والأهم من ذلك وهي مسألة العنصرية تجاه اللاجئين، فقد كان لهذا الموضوع حضور لافت في كلمات المبحوثين، بل وأن لها أثراً معلماً في نفوس من عانوا من هذه العنصرية، الذين واجهوا سوء معاملة القريب بعد ما لاقوه من ظلم من العدو، وكان بالنسبة لهم جرح أقسى كونه جاء من بني جلدتهم.

أما فيما يتعلق بالآراء، فقد تم تخصيص فصل لتسليط الضوء على تقييم هؤلاء اللاجئين وآرائهم لقضايا رئيسية تتعلق بقضيتهم، وتمثلت هذه القضايا بكل من مسألة المسؤولية عن النكبة ومسألة حق العودة، حيث أبدى المبحوثون آرائهم واعتباراتهم حول الطرف أو الأطراف التي تتحمل المسؤولية عما حل بهم من مصاب عام

1948، وعن مدى إمكانية تحقق العودة بنظرهم، وهل فعلاً هناك إمكانية لذلك أم أنه لا يتجاوز كونه حلم أو أمل بعيد المنال. ثم يتم بعدها استعراض تقييم الأجيال المبحوثة لبعضها البعض، بحيث يقيم كل شخص من الأشخاص الذين تمت مقابلتهم تجربة جيله ويقارنها بالأجيال الأخرى، وظهر أن منهم من يرى بجيله أفضل من الأجيال الأخرى، في حين اعتبر آخرون كثر أن الأجيال الأخرى أفضل من جيلهم.

وبعد العمل على تحليل المقابلات وتقسيمها بما يتناسب مع الأبعاد والعناوين الموجودة في هذه الدراسة، تم الخروج بمجموعة من النتائج كان أبرزها تفنيد الفرضية الأساسية لهذا البحث والتي تقوم على اعتبار أن الجيل هو سبب رئيسي لوجود اختلافات جوهرية في روايات وآراء المبحوثين، حيث خلصت الباحثة إلى عدم اعتبار عنصر الجيل كعامل رئيسي مؤثر في ذلك، خاصة بعد أن أظهرت المقابلات أن هناك عوامل أخرى كان لها أثر أكبر على هذه الروايات والآراء وخلقت اختلافات بين أبناء الجيل الواحد وليس فقط بين أبناء الأجيال المختلفة، مثل عامل العائلة والانتماء السياسي. وبالتالي كان هناك ضرورة لتفادي تعميم أي ظاهرة من الظواهر على أي من الأجيال المدروسة.

أيضاً كان هناك مجموعة من الملاحظات الملفتة التي تم لمسها خلال العمل مع هؤلاء اللاجئين من مختلف الأعمار، ظواهر تستحق أن تتم دراستها بتعمق أكثر وتحليل أدق، ومن أهم هذه الظواهر كانت الظواهر النفسية وذات البعد السيكولوجي التي ظهرت لدى المبحوثين، فمثلاً أرى أنه من المهم دراسة العوامل النفسية الكامنة وراء امتناع العديد من أبناء الجيل الأول عن نقل تجربتهم وروايتها للأجيال الجديدة، أهو خوف أم هروب أم ماذا؟ إضافة إلى دراسة حالات إنكار المعرفة أصلاً لدى عدد من أبناء الجيل الأول، كمن تبلغ من العمر 75 عاماً وتقول أنها لا تعرف شيئاً عن أحداث عام 1948 أو أنها لا تذكر. أيضاً من الجيد دراسة حالة الصراع بين "المرغوب" و"المفروض" التي يعاني منها الكثيرون من أبناء الجيل الثالث، الذين أظهروا تناقضاً في افكارهم وكلامهم في عدة مواقف، بحيث يندفعون ويعبرون عن موقفهم من موضوع معين ثم ما يلبثوا أن يعاودوا مراجعة ومناقضة كلامهم حتى لا يظهروا بمظهر المتخلي أو المتخاذل.

بالإضافة إلى ذلك، ورد ذكر أحداث عام 1967 بشكل كبير وشبه دائم في معظم المقابلات، خاصة الأجيال الكبيرة – الأول والثاني. فالجيل الأول كان يحاول الاستعانة بأحداث ذلك العام كنوع من المواساة أو حفظ ماء

الوجه أمام الغير عند الحديث عن سبب الخروج أو المسؤولية، وكانوا يؤكدون بأنهم لم يتركوا بيوتهم عام 1967 بالرغم من التهديدات الكبيرة التي واجهوها وأنهم لم يلدغوا من ذات الجحر مجدداً. أما الجيل الثاني فكان غالباً ما يشير إلى أنه لا يعلم تفاصيل أحداث 1948 كثيراً إلا أن معظمهم أكدوا أنهم يذكرون تفاصيل دقيقة عن أحداث عام 1967. وبرأيي أن أحداث عام 1967 لا تقل بأهميتها وخطورتها عما حدث عام 1948، إلا أنها وبكل أسف لم تحظ بذات الكم من الاهتمام والكتابات والتأريخ كما هو الحال مع أحداث عام 1948. لذا لا بد من العمل على جمع التاريخ الشفوي والروايات عن أحداث النكسة قبل فوات الأوان، قبل أن نصل للمرحلة التي نحن فيها اليوم مع من شهدوا أحداث النكبة، فالباحث الآن يجد صعوبة في الحصول على شهادات أبناء جيل النكبة نظراً لوفاة معظمهم وصعوبة الظروف الصحية لآخرين، وهذا بدوره يؤدي إلى عدم الحصول على روايات وتفاصيل دقيقة وكثيرة.

وأقول مجدداً أن لكل شخص من المبحوثين قصة فردية متميزة عن غيرها وتستحق التعمق بها والوقوف على تفاصيلها الدقيقة، خاصة قصص أولئك الذين قدموا شهادات حية على عصر شهدوه بأعينهم، أبناء الجيل الأول، جيل النكبة الذي كان طرفاً أساسياً وفاعلاً بطريقة أو بأخرى في تلك الأحداث. وأذكر أن من هؤلاء الأشخاص من كان يملك من التفاصيل المؤلمة ما جعلني أتمنى لو أعمل على إيصال تلك التجربة إلى العالم، كرواية الحاجة أم كرم رحمها الله، والتي روت لي تفاصيل حياتها ورحلتها ومعاناتها الطويلة على مر سنوات النكبة وما بعدها، كانت تملك أسلوباً روائياً رائعاً، تمكنت من ترتيب الأحداث واستذكار التفاصيل وسرد الوقائع بطريقة جعلتني أرى كل كلمة من كلماتها وكأنني عشتها معها. تمكنت من تخيلها تمشي في الخلاء تحمل على رأسها حاجياتها وتحتضن بيديها طفلها. كنت أشعر نبرة صوتها الحزين ودمعة عينها وحسرة قلبها في كل مرة أعود لأسمع كلماتها المسجلة.. وفي كل مرة كنت لا أستطيع أن أمنع دمعتي من النزول. أتمنى لو أتمكن من العمل على تصوير فيلم عن حياتها، وأدرك أن هذا ليس مجالي ولا أدري إن كنت سأتمكن من تحقيق ذلك، ولكن أتمنى أن يتم ذلك سواء كنت جزء منه أم لا، أن توثق قصة أم كرم وغير أم كرم.

وأرى أن أولئك الأشخاص يستحقون منا تقدير تضحياتهم ومعاناتهم وصبرهم على بلاء فقد الأرض والوطن، ولا يستحقون اللوم ممن لم يعش تلك الظروف التي عايشوها، فهم أشخاص معظمهم فلاحين بسطاء، عاشوا حياتهم

مسالمين ومؤمنين بأن الفطرة الإنسانية خيّرة، اعتمدوا على حسن النوايا ولم يتوقعوا انتقالهم بين ليلة وضحاها من حال إلى حال، لم يتوقعوا أن يجبروا على ترك بيوتهم وأراضيهم ومع ذلك يتحملون وزر ذلك. وأنا هنا لا أخلي مسؤولية من عاشوا تلك الفترة تماماً، لكنني ألتمس لهؤلاء البسطاء ألف عذر، أما من يتحمل المسؤولية عن أي خطأ بدر من الجانب الفلسطيني أدى إلى ما حدث في ذلك العام فهي تلك الفئة الواعية والقيادة العربية والفلسطينية التي كان يفترض بها أن تكون على قدر المسؤولية وعلى قدر الثقة التي منحت لها من الشعب الفلسطيني لحفظ حقوقه.

قد أبدو هنا متحيزة إلى حد ما إلى أبناء الجيل الأول، لكن هذا ليس تحيزاً، بل هو تعاطف وتقدير لظروف مروا بها تهددت فيها حياتهم وكان لهم كل الحق بالعمل على الحفاظ عليها مهما كانت السبل. فهم جيل عاش عمراً بطوله بانتظار من ينتصر لهم، بانتظار عودتهم، بانتظار أي بصيص أمل من أي جهة، ولكن للأسف مات معظمهم ولم يتحقق بعد... ماتوا وهم ينتظرون، وما زالت الأجيال الأخرى تنتظر على أمل أن لا ينتهي بهم الأمر بالموت وهم على مقعد الانتظار. وبالرغم من أنني أدرك ضرورة الأمل، فكما يقول الشاعر أبو إسماعيل الطغراني... "ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل" ولكنني في المقابل أقول ما أصعب العيش بانتظارٍ يرفقه ألم.

وأخيراً أود الإشارة إلى أنه وبالإضافة إلى سعادتي لتمكني من إعطاء هؤلاء الأشخاص –خاصة كبار السن منهم– فرصة التعبير عن أنفسهم، كان أكثر ما أسعدني خلال العمل على هذا البحث هو ما شعرته من أثر لهذا العمل في حث المبحوثين الأصغر سناً على الاستفسار من أسرهم وأهاليهم عن تفاصيل لم يكونوا يعلمون عنها أو مهتمون بسماعها وكان لي دور في استثارة حماسهم ولفت انظارهم لها. فكثيرون من أولئك كانوا قد اختتموا مقابلاتي معهم والأسئلة التي لم يعرفوا تفاصيلها بالقول: "بسأل وبحكيلك"...

<u>قائمة المصادر المكتوبة (كتب ومقالات)</u>

<u>المراجع العربية:</u>

أبو الريش، رفعة. 2009. صور الوطن المفقود: ذكريات المرأة الفلسطينية اللاجئة – دراسة مقارنة مع صـــور الرجل اللاجئ قبيل وبعيد نكبة 1948. رسالة ماجستير. جامعة بيرزيت.

أبو جابر، إبراهيم. 2007. جرح *النكبة*. موسوعة إحياء الذاكرة الفلسطينية. الجيزة: مركز الإعلام العربي مصر، الجيزة.

أبو دحو، رلى وآخرون. 2010. *أمكنة صغيرة وقضايا كبيرة: ثلاثة أحياء فلسطينية في زمن الاحتلال*. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية

أبو ستة، سلمان. 1999. حق *العودة*. المركز القومي للدراسات والتوثيق.

بابيه، إيلان. 2007. *التطهير العرقي في فلسطين*. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

---. 2006. النكبة في التاريخ والحاضر. في *نحو صياغة رواية تاريخية للنكبة: إشكاليات وتحديات*. تحرير مصطفى كبها. حيفا: المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية. 259-275.

بار أون، موردخاي. 2006. الكتابة الجديدة للتاريخ والهوية القومية: تحولات الرواية الذاتية للإسرائيلي والجديد في تعديل الكتابة والتاريخ. في في *نحو صياغة رواية تاريخية للنكبة: إشكاليات وتحديات*. تحرير مصطفى كبها. حيفا: المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية. 209-257.

بدر، رائد. مترجم. 2011. *إبراهيم أبو لغد مقاومة منفى وعودة*. فلسطين: وحدة الهجرة القسرية واللاجئين- معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، بيرزيت.

البرغوثي، مريد. 1997. *رأيت رام الله*. القاهرة: دار الهلال.

بشارة، عزمي. 2009. "فلسطينياً: في الذاكرة والتاريخ". استرجعت بتاريخ 2012/12/17. من الموقع http://ajras.org/?page=show_details&Id=84&table=studies

البشتاوي، محمد محمود. 2008. الهوية الوطنية الفلسطينية في مائة عام. في *الهوية الفلسطينية إلى أين؟* تحرير شريف كناعنة، 35-57. فلسطين: جمعية إنعاش الأسرة، مركز دراسات التراث والمجتمع الفلسطيني.

تماري، سليم. 2006. القدس 1948: الأحياء المهجرة والعمق القروي. في *نحو صياغة رواية تاريخية للنكبة: إشكاليات وتحديات*. تحرير مصطفى كبها. حيفا: المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية. 99-131.

الحاج إبراهيم، رشيد. 2005. *الدفاع عن حيفا وقضية فلسطين: مذكرات رشيد الحاج إبراهيم 1891-1953*. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

جريس، رنين. محرر. *نتذكر اللد*. تل أبيب: جمعية تذكرن. www.zochrot.org

الحسناوي، مصطفى. 2011. *كيف تشتغل الذاكرة الجماعية للشعوب*. من موقع:

http://www.maghress.com/almassae/125190

حسين، حماد. 2006. *دراسات وأبحاث في القضية الفلسطينية*. فلسطين: الجامعة العربية الأمريكية جنين.

حلو، جيهان. 2009. *المرأة الفلسطينية: المقاومة والتغيرات الاجتماعية- شهادات حية للمرأة الفلسطينية في لبنان 1965-1985*. البيرة: مركز المرأة الفلسطيني للأبحاث والتوثيق.

حمودة، أيمن. 2011. *لكي لا ننسى بيت دجن يافا*.الأردن: دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع .

الخالدي، وليد. 1997. *كي لا ننسى قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة 1948 وأسماء شهدائها*. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

دبور، أمين. 1999. *اللاجئون الفلسطينيون والبحث عن الحل الدائم*. رسالة ماجستير. فلسطين: جامعة بيرزيت.

روجان، أيوجين وآخرون. 2001. حرب *فلسطين - إعادة كتابة تاريخ 1948*. ترجمة ناصر عفيفي. القاهرة: الكتاب الذهبي مؤسسة روز اليوسف.

ريكور، بول. 2009. *الذاكرة، التاريخ، النسيان*. ترجمة جورج زيناتي. ليبيا: دار الكتاب الجديد المتحدة.

الزبن، صابرين. 2007. *هوية اللاجئين في ثقافتهم ولغتهم المحكية، بحث مقارن بين الجيل الثاني والجيل الثالث للنكبة- مخيم الجلزون نموذجاً*. بيت لحم: بديل، المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين.

زريق، قسطنطين. 2009. *نكبة 1948- أسبابها وسبل علاجها*. ط.1. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

شبلاق، عباس. 2008. الشتات الفلسطيني: تأملات في الهوية والفضاء الجغرافي. في *اللاجئون الفلسطينيون قضايا مقارنة*، 39-47. بيرزيت: معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، جامعة بيرزيت.

شبيب، سميح. محرر. 2006. *معنى النكبة 1948*. فلسطين: المركز الفلسطيني للدراسات والنشر والإعلام.

---. 2005. *"الذاكرة الضائعة – قصة المصير المأساوي لمركز الابحاث الفلسطيني." رام الله : المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية.*

سرحان، نمر. 2006. أداء المجتمع الريفي الفلسطيني في حرب عام 1948: السنديانة نموذجاً. في *نحو صياغة رواية تاريخية للنكبة: إشكاليات وتحديات*. تحرير مصطفى كبها. حيفا: المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية. 133-172.

سعدي، أحمد. 2006. الذاكرة والهوية. في *نحو صياغة رواية تاريخية للنكبة: إشكاليات وتحديات*. تحرير مصطفى كبها. حيفا: المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية.58-79.

سويدان، طارق. 2005. الأندلس: التاريخ المصور. الطبعة الأولى. الكويت: شركة الإبداع الفكري.

صالح، محسن. محرر. 2010. *معاناة اللاجئ الفلسطيني*. من سلسلة أولست إنساناً. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.

صلاح، ناهد. 2011. "ناجي العلي الصهاينة اغتالوه والاعتراف جاء متأخراً. استرجعت بتاريخ 2013/1/25. من موقع:

http://natourcenter.info/portal/2012/10/20/%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84-%D8%A8%D9%82%D9%84%D9%85-%D9%86%D8%A7%D9%87%D8%AF-%D8%B5%D9%84%D8%A7%D8%AD-%D9%86%D8%A7%D8%AC%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%87%D8%A7%D9%8A%D9%86(/

طه، حمدان. 2008. التراث الثقافي والهوية. في *الهوية الفلسطينية إلى أين؟* تحرير شريف كناعنة، 85-103. فلسطين: جمعية إنعاش الأسرة، مركز دراسات التراث والمجتمع الفلسطيني.

عامل، مهدي. 2001. *في تمرحل التاريخ*. الطبعة الأولى. بيروت: دار الفارابي.

عبد الجواد، صالح. 2006. لماذا لا نستطيع كتابة تاريخنا المعاصر من دون استخدام المصادر الشفوية؟ في *نحو صياغة رواية تاريخية للنكبة: إشكاليات وتحديات*. تحرير مصطفى كبها، 25-55. حيفا: المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية.

---. 2008. المذابح الصهيونية خلال حرب 1948 وخلق مشكلة اللاجئين الفلسطينيين. في *اللاجئون الفلسطينيون قضايا مقارنة*، 55-67. بيرزيت: معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، جامعة بيرزيت.

عبد الهادي، فيحاء. 2005. مجزرة دير ياسين: شهادات من شهدوا المجزرة. *دورية دراسات المرأة*، عدد1. رام الله: معهد دراسات المرأة –جامعة بيرزيت.

---. 1999. *المرأة الفلسطينية والذاكرة- أوراق ورشة عمل حول التأريخ الشفوي السياسي للمرأة الفلسطينية*. ط.2. وزارة التخطيط والتعاون الدولي.

عدوان، لورا فاطمة إبراهيم. 2009. *صورة فلسطين في رواية اللاجئين الفلسطينيين: دراسة مقارنة بين مخيم قلنديا في فلسطين ومخيم اليرموك في سوريا*.

---. 2011. صورة فلسطين في رواية اللاجئين الفلسطينيين: دراسة مقارنة بين مخيم قلنديا في فلسطين ومخيم اليرموك في سوريا. في *اللاجئون الفلسطينيون: حقوق وروايات وسياسات*. بيرزيت: وحدة الهجرة القسرية واللاجئين، معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية. 233- 251.

علان، ربيحة. 2005. شهادات عن تعامل المرأة القروية مع التهجير خلال عام 1948. *دورية دراسات المرأة*، عدد1. رام الله: معهد دراسات المرأة –جامعة بيرزيت.

عمرو، تيسير. 2007. *قرية بيت جبرين في الذاكرة الجماعية*. رسالة ماجستير. جامعة بيرزيت.

---. 2008. قرية بيت جبرين في الذاكرة الجماعية، ملخص رسالة ماجستير. في *قضايا في اللجوء والهجرة*. بيرزيت: معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، جامعة بيرزيت.

عواودة، وديع. 2000. *ذاكرة لا تموت: شهود عيان فتحوا قلوبهم ومجرات ذاكرتهم ليرووا ما جرى لهم في العام 1948-عام النكبة*.

عوض، محمد مؤنس. 2012. *فلسطين تروي تاريخها: ملامح من التاريخ الفلسطيني عبر العصور*. ط.1. رام الله: دار الشيماء.

القلقيلي، عبد الفتاح. 2004. *الأرض في ذاكرة الفلسطينيين اعتماداً على التاريخ الشفوي في مخيم جنين*. رام الله: مركز اللاجئين والشتات.

كبها، مصطفى. محرر. 2006. *نحو صياغة رواية تاريخية للنكبة: إشكاليات وتحديات*. حيفا: المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية.

كناعنة، شريف. 2011. *دراسات في الثقافة والتراث والهوية*. فلسطين: مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية.

---. 2008. *اللجوء والهوية والصحة النفسية" في كتاب "اللاجئون الفلسطينيون قضايا مقارنة*. فلسطين: معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية- جامعة بيرزيت.

---. محرر. 2008ب. *الهوية الفلسطينية إلى أين؟* رام الله: جمعية إنعاش الأسرة، مركز دراسات التراث والمجتمع الفلسطيني.

كوثراني، وجيه. 2000. *الذاكرة والتاريخ في القرن العشرين الطويل: دراسات في البحث والبحث التاريخي*. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

مصرية، نورما. 2008. مفارقات الزمان والمكان: اللاجئ الفلسطيني ما بين الهوية الحقيقية والهوية المتخيلة. في *الهوية الفلسطينية على أين؟* تحرير شريف كناعنة، 59-71. فلسطين: جمعية إنعاش الأسرة، مركز دراسات التراث والمجتمع الفلسطيني.

مصطفى، عبد التواب. 2000. *نكبة فلسطين ومسؤولية المجتمع الدولي*. غزة: المركز القومي للدراسات والتوثيق.

مغامس، حسين وفضل الخالدي ورندة ناصر. 2005. التكيف والبقاء في السنوات الأولى بعد التهجير: دور النساء – حالة دراسية مخيم الجلزون. *دورية دراسات المرأة*، عدد1: 44-60. رام الله: معهد دراسات المرأة – جامعة بيرزيت.

مناع، عادل. 2006. الذاكرة وتأريخ أحداث النكبة: مجد الكروم نموذجاً. في *نحو صياغة رواية تاريخية للنكبة: إشكاليات وتحديات*. تحرير مصطفى كبها. حيفا: المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية. 173-207.

منصور، سيلفي. 1990. *جيل الانتفاضة*. ترجمة نصير مروّة. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

منصور، واصف. 2008. *مسألة اللاجئين- جوهر القضية الفلسطينية*. بيروت: الشركة العربية للأبحاث والنشر.

موسى، أمال. *الذاكرة الجماعية لا يمكن سرقتها أو اقتراضها*. من موقع:

www.aawsat.com/details.asp?section=19&article=44261&issueno=10557

ناجي، طلال. 2002. *قضية اللاجئين وحق العودة*. بيروت: مؤسسة الرؤى للطباعة والنشر والتوزيع.

وليد الخالدي. 1992. *كي لا ننسى قرى فلسطين الَّتي دمرتها إسرائيل سنة 1948 وأسماء شهدائها*. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

نصار، عصام. 2008. تصوير اللاجئين الفلسطينيين: إعادة تفكير في إشكاليات التمثيل واستخدام الصور كوثائق تاريخية. في *اللاجئون الفلسطينيون قضايا مقارنة، 49-54*. بيرزيت: معهد إبراهيم أبو لغد للدراسات الدولية، جامعة بيرزيت.

يحيى، عادل. 2002. *بين انتفاضتين "التاريخ الشفوي الفلسطيني"*. رام الله: المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي.

---. 1998. *اللاجئون الفلسطينيون – تاريخ شفوي*. رام الله: المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي.

يحيى، عادل وآخرون. 1994. *من يصنع التاريخ؟ التأريخ الشفوي للانتفاضة- دليل للمعلمين والباحثين والطلبة*. القدس: مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي.

English sources:

Al-Hardan, Anaheed. 2012. The Right of Return Movement in Syria: Building a Culture of Return. Mobilizing Memories For The Return. *Journal of Palestine Studies, Vol.XLI, winter 2012*. 62-79.

Fischbach, Michael R. 2003. Records of dispossession: Palestinian refugee property and the arab- Israeli conflict.

Flick, Uwe. 2006. *An Introduction to Qualitative Research*. 3rd Edition. London: Sage Publication Ltd.

Halbwachs, Maurice. 1992. On Collective Memory. Ed. Lewis A. Coser. The University of Chicago Press. Chicago and London.

Heacock, Roger. 2008. Crystallizing the Global Memory: Correspondents, Editors, Governments, and the Nakba, 1947-1949. In *Al-Laji'un Al-Falastinyun Qadaya Muqarana (Arabic)*. Palestine: Ibrahim Abu-Lugod Institute of International Studies, Birzeit. 41-65.

International Crisis Group (ICG). 2004. Palestinian Refugees and The Politics of Peace Making. ICG Middle East Reports.

Kassem, Fatma. 2011. Palestinian Women: Narrative Histories and Gendered Memory. London & New York: Zed Books Ltd

Masalha, Nur. 2012. The Palestine Nakba: Decolonising History, Narrating The Subaltern, Reclaiming Memory. London: Zed Books Ltd.

Richter-Devroe,Sophie. 2011. *It's Like Something sacred: Different Political Cultures on the Right of Return.* Unpublished paper.

Sayigh, Rosemary. 2007. *Women's Nakba Stories: Between Being and Knowing.* Ed. Lila Abu-Lughod and Ahmad Sa'di, 135-160. New York: Columbia University Press.

Zaidan, Ismat. 2012. *Palestinian Diaspora in Transnational Worlds: Intergenerational Differences in Negotiating Identity, Belonging, and Home*. Palestine: Forced Migration and Refugee Unit/ Ibrahim Abu-Lughod Institute of International studies/ Birzeit.

<u>قائمة المصادر الشفوية (مقابلات ومحاضرات مسجلة)</u>

الجيل الأول

الرقم	الاسم	العمر	القرية/ المدينة الأصل	تاريخ المقابلة
1	**ابو نادي**	72	الساقية	
2	**ابو مصطفى**	87	عنابا	
3	**ابو صالح**	72	خبيزة	
4	**ابو عوض**	89	بيت نبالا	
5	**ابو زياد**	73	عنابا	
6	**ابو حامد**	78	المغار	
7	**ابو غانم**	75	الدوايمة	
8	**ابو صبري**	80	بيت نبالا	
9	**ابو اسماعيل**	78	بيت نبالا	
10	**ام كرم**	80	عين كارم	
11	**ام منير**	72	يافا	
12	**ام حسين**	70	بيت ثول	
13	**ام صبحي**	70	بيت نبالا	
14	**ام عيسى**	73	بيت نبالا	
15	**ام سعد**	70	بيت نبالا	
16	**ام غنام**	70	الدوايمة	
17	**ام فرج**	70	يافا	
18	**ام حبيب**	80	يافا	

الجيل الثاني

الرقم	الاسم	العمر	القرية/ المدينة الأصل	تاريخ المقابلة
19	**كرم**	65	عين كارم	2012/11/10
20	**صبحي**	53	بيت نبالا	2012/2/4
21	**كمال**	67	بيت نبالا	2012/4/8
22	**فخري**	50	قطنة	2012/3/15
23	**كايد**	47	المغار	2012/3/25
24	**صابر**	61	العباسية	2012/4/16
25	**مبارك**	50	بيت نبالا	2012/4/16
26	**مناضل**	64	السدرة	2012/4/16
27	**ربحي**	63	المزيرعة	2012/4/8
28	**لطفي**	63	بيت نبالا	2012/4/16
29	**يسرى**	51	بيت نبالا	2012/2/4
30	**ملكة**	63	بيت نبالا	2012/4/16
31	**انتصار**	61	يافا	2012/9/6
32	**ميري**	59	يافا	2012/9/6
33	**فيرا**	60	يافا	2012/9/6
34	**عبير**	49	يافا	2012/9/6
35	**حفيظة**	60	يافا	2012/9/6

الجيل الثالث:

الرقم	الاسم	العمر	القرية/ المدينة الأصل	تاريخ المقابلة
36	**كريم**	28	عين كارم	2012/11/10
37	**سليم**	26	الرملة	2011/10/16
38	**حمدي**	5	قطنة	2012/3/8
39	**ادهم**	28	عنابا	2012/2/20
40	**حسن**	39	سمسم	2012/9/27
41	**سامر**	34	يافا	2011/9/15
42	**تامر**	28	اللد	2011/9/15
43	**سيرين**	28	بيت نبالا	2012/1/15
44	**منال**	24	السافرية	2012/1/6
45	**لبنا**	28	دير طريف	2012/5/16
46	**رائدة**	26	بيت دجن	2012/6/18
47	**ميس**	20	يافا	2012/9/6
48	**ميساء**	19	يافا	2012/9/6
49	**رانيا**	37	لفتا	2012/9/15
50	**حنان**	24	صفد	2012/4/30
51	**نور**	20	يافا	2012/9/30
52	**صابرين**	24	من الخليل / ليست لاجئة	2012/9/7

الملحق(1): نموذج مقابلة من الجيل الأول

الاسم: أبو نادي

العمر: 73 عام

القرية الأصل: الساقية

قبل النكبة:

أنا طلعت عمري 10 سنين، وع محيط مستوى البلد تبعنا بعرف.

قبل النكبة كنا عايشين في بحبوحة من العيش، مش بس إحنا.. كل المنطقة.. ولما اشتدت الثورات – هم كانوا يفتعلوا ثورات– يعني دار مطرفة يخشوا يذبحوا اللي فيها، يذبحوا 2–3–4، فتقوم ثورة. هان صارت تضيق عالناس شوية، ليش؟ الناس كانت معتمدة عالمزرعات تبعاتها، يحملوا يطلعوا على يافا... هي يافا، اللي كانت عشان يقدروا يعملوا اشي بالناس كانوا عن طريقها، أما اللد والرملة كان مفيش مستوطنات، يلاقوا الناس يذبحوهم، يذبحوا الحمار تبعهم... محملين يكبوا الخضرة ويضربوهم ويقتلوهم ويطردوهم... فتألفت لجان، صاروا يرّجعوا قبل المنطقة اللي فيها خطر، يرّجعوا الناس اللي رايحين على يافا... يقولولهم في يهود وبيذبحوا واشي زي هيك، وصاروا هم يتلأوطوا اللي بلاقوه يهودي يذبحوه، اللي يخشوا بداره ويتسللوا على تل أبيب أو على ملبّس اللي بجنبنا ... يدخلوا يقتلوا 2–3–4 وتقوم معفرة... بعرفش التاريخ بالزبط.

يوم أنا أخذت شنطتي ونزلت عالمدرسة الصبحيات، في جنب بلدنا كمب للانجليز –معسكر– تخابطوا العرب مع الانجليز أنه مين بدو يوخد الكمب هذا من بعد ما الانجليز انسحبوا منه... قالولهم يا عمي هي في بوسطة .. هذي في عندها خزان عالي وفوق البوسطة محطوط العلم البريطاني.. اطلعوا انتوا.. واليهود يطلعوا... يوم ما نزلنا العلم البريطاني اللي بيهجم يوخد المعسكر يوخدو... وهم إيش كاينين... الخزان هم عاملينو حيطة من هان وحيطة من هان ومن جوا في وساع، يعني الانسان بيقدر يلف داير ما دورو بحرية، وفي طاقات... ونزلوا العلم، وكاينين معبيين اليهود جوا في المنطقة.. مسلمينو لليهود أشكرة خبر.. تسليم. وهجموا الناس بإيش .. أسلحة بدائية.. يعني أبو زيد خالو اللي كان عندو فرد أو بارودة وخرطوش... إشي فازع بسيف واللي فازع ببلطة.. إلا بلشوا اليهود فيهم حصيدة، واحنا لاقونا من نص الطريق إرجعوا يا ولاد ع دوركم الحرب قامت.. فشردنا ورجعنا عالدور.

بعد أربع خمس أيام قالوا يا عمي وسعوا الولاد والنسوان والاطفال إطلعوهم عاللد لأنه خلص الحرب قامت وفي كانوا المقاومين هانا يلبدوا ... يعني في طريق المستوطنة هان يلبدوا عالطريق مشان ما يخلوش اليهود يجوا.

اليهود كانوا أساليبهم سيئة، فصاروا الناس يوزعوا ولادهم ونسوانهم على اللد يطلعوهم وظلوا زلام في البلد.

ومرة إجى واحد قال أنه هذا قائد مصري جنرال وكذا وبدو ينظم المقاومين، يجي يقولهم أنه اليوم اليهود في أمل أنهم يجوا من الطريق هذي، يعملوا كمائن في الطريق هذي... اليهود شو يساوو.. يخشوا على منطقة ثانية ويجوا من وراهمويطبوا طخ فيهم... أكتشفوا بالآخر أنه هذا الضابط اللي كان بينظم فيهم يهودي.. يهودي مصري... فصاروا يتخذوا إجراءات على حالهم. بقى واحد إسمه ليلوش على باب الحاكم العسكري.. وكلام متل ما بدك لغة مصرية 100 %... كاين يهودي مخترق العرب.

وظلوا يقاوموا يمكن شهر شهرين.. إحنا بقينا في اللد، كل أهل البلد عنا طلعوا عاللد واستأجروا دور وقعدوا. هلقيت اليهود صاروا يمتدوا من تل أبيب، وفي منه مستوطنة لجاي، يعني شمال القرى الفلسطينية اسمها ملبّس، اليوم بيقولو بتاح تكفا عنها... بعديين في لقدام منهم العباسية ومن العباسية في منطقة كانت مسيطرة تحت المواطنين الألمانيين اسمها ويل هيلمان أو الهيلمان... اليهود خشوا أستولوا عالمنطقة هذي.... المنطقة هذي مكشوفة على اللد وعالمنطقية كلييتها... زي هضبة الجولان مكشوفة على إسرائيل كانت... استحلوا فيها وحطوا فيها مدفعية ورشاشات وصاروا يناوروا من بعيد.. على جنوب اللد على قرب ضواحي اللد... اللي يروح يكبسوه... ضلوا شوي شوي تا صاروا يسحبوا شوي شوي من المناطق هذيك ولفوا عليهم... في مستوطنة بأرض يازور اسمها النيتر وفي بيوت بأرض بلدنا اسمها روك.. هذول دخلوا اثنين من بيت لحم، واحد اسمه حزبون وواحد اسمه روك... شروا الأرض هذي وباعوها لليهود اللي عند يازور، عملوا مستوطنة قالوا احنا بدنا نوخد هذي المنطقة عأساس نحط فيها عيادة يحكموا الناس ببلاش، وعينين ومش عارف إيش.

عملوا المستوطنة... لجوا اللي فيها الذخائر والأشياء وعملوا شارع فيها يطلع عالبلد عالخط اللي بيروح على يافا، وحطوا برج على باب الشارع... شراها هذا المسيحي وسلمها لهذولاك... هذول إجوا أخدوا الأرض من صحابها بمصاري... ليش؟ ... لأنه كانت على مدار السنة مستنقع.. فيها مية على مدار السنة.. ما تروحش منها وما حدا يزرعها ... ولما قالوا هذي بدنا نعمل فيها عيادة تنفع المواطنين العرب وحطوا فيها كندرجية يصلحوا كنادر ... ويقطروا عينين .. يعالجوا جروح .. بس زي هيك ببلاش للناس عبين ما يقعدوا فيها.. مهو كانت بدها تقوم ثورة... كانوا يستلموا البرج يمنعوا الخط اللي بيجي من اللد على السافرية، على بيت دجن، على يازور، على يافا.... هذا الخط يسكروه... يظل هذاك الخط... ما يقدروش يعبروه .. بعد سلمة ما يقدروش يدخلوا هديك المنطقة العرب. وبرضو يسكروه من هناك.... ضلينا على بين ما اشتد وطيس الوضع وأخدوا بيت دجن وأخدوا يازور وأخدوا السافرية وأخدوا كفر عانا وكلييتهن الناس شردوا منها. فهذا الوضع بالنسبة لأول ما قامت الثورة.

بعدها أجت الجيوش العربية، انا شفت الجيش العربي الأردني في اللد جايبين معهم مدفعية وجايبين دبابات وجايبين وجايبين... بس كاينة خطة اللي لمسناه إحنا... صاروا مثلاً هالناس تتظبظب من الطخ ليل نهار على اللد ما حدا يعرف يمشي بالشارع... صار الجيش العربي يقول.. يا عمي اللي بدو يروح ع رام الله أنا بوخدو.. إحنا بنأمنلكم سيارات.. ما تخافوش إحنا بنأمنكم من الضرب. ونسحب حالنا... وصاروا هالناس يطلعوا.

كان عند اللدادوة مدفع يعني وين ما ضربوا يضرب يعور... بس إيش يساوو.. يضربوا بالقزمة... يحطوا القذيفة من تحت ويضربوا بالقزمة... وهناك كان في بتاح تكفا لليهود قبل اللد.. أكثر الضرب ينزل فيها... يعني حرموا اليهود يتفتلوا فيها ولا ضل فيها حدا... كلهم يتوزعوا عمناطق ثانية.... وصار الجيش الأردني يناقل بهالناس هالمستعجلين... كانت الناس زي طريق ولاد المدرسة الصبحيات... كيف ولاد المدرسة بيكونوا معمرين الشارع.. زيهم... وهم طالعين من اللد على قرى الجبال (شبتين وشقبا وقبيا)... نزلوا الناس حطوا في دير قديس وبالنبي صالح على أساس يستنوا جماعتهم التانيين... وإشي شردوا على بيت نبالا ومن بيت نبالا صاروا يتوزعوا ويطلعوا.. والضرب وراهم لأنه في معسكر للجيش في بيت نبالا.. كانوا اليهود نزلوا فيه ويضربوا.. ولو فش يهود كان في إنجليز كانوا يضربوا عالناس برضو... دخلوا المنطقة الناس بس ما فيش مخيمات كان ولا في اشي... إشي ناس قالوا هي في مخيمات صارت بأريحا... راحوا على أريحا وإشي ع نويعمة والعوجا والمنطقة

هاي.. وناس سكنت هناك بس أوضاعهم كانت مهلهلة ومش نافعة بالمرة... وناس ضلوا هناك وشردوا على منطقة غزة... لما بلشوا اليهود يضربوا كانوا مش راحمين حدا بالمرة.

المسؤولية:

للشتات العربي.. في كان مقاومين مع الحج أمين الحسيني.. مع المفتي.. في كمان واحد طلع بالمنطقة هذي بعرفش اسمه ناسيه... الثاني زي اليوم.. فتح وحماس وجبهة شعبية... شرذمة في... هذا اللي خرب الدنيا.. لو ما تدخلوش والجيوش العربية تدخلت!! الجيوش العربية مش كلها على قلب رجل واحد... اللي كان يضرب ضرب مزبوط وللقضية وللشعب ولله هو الجيش المصري. كان الجيش السوري في يافا.. بقيت أروح مع أبوي وأشوف الجيش السوري... وفي الحُفّا تبعون الأردن هذول لابسين زنوبا وإلهم جدايل وحطات وعقل.. بس معهم أسلحة فتاكة.. مشان مصالحهم يضربوا ويخشوا ينهبوا... أنا تا إني تصاوبت كنت في الرملة، في معسكر كان حاطط إيدو عليه الجيش المصري... حاطين فيه علاجات وكل واحد انصاب يودوه هناك... الجيش المصري كان يشتغل بحق وحقيق 100%... أما غيرو هذول السوريين وما السوريين ... كلهم عالفاضي...

تتصاوبت.. بقينا قاعدين في اللد وهم يضربوا من الهيلمان.. وكنا قاعدين عالجرن.. بعرفش الضرب من اليهود.. من العرب.. من وين ما كان تصاوبت أنا وكمان واحد .. قاعدين بمنطقة واحدة .. واحد مات وهذاك ما صارش فيه إلا جروح خفيفة وأنا راحت إيدي وهذي وهذي (يشير إلى إصبعين من اليد الأخرى).. وتعالجت في مستشفى البعثة المصرية.. في معسكر كمب للطيارات تبع الانجليز كان وكانوا عاملين في البركسات تبعو مستشفى..

مشينا مع الجيش الأردني حطونا في النبي صالح وهناك ما فيش ما فيش سوء أو مكروه .. العالم طول نهار مطوقة مركز البوليس اللي في حلميش اليوم... حطولنا طبيخ.. حطولنا كل اشي- بدنا نوكل ..كل الناس تحت الشجر... وفي المغاير ... ما فيش عندهم لوح زينكو يحطوه على الدور... وأهل البلد هاي رفضوا يأجروا دار او خيمة لواحد فلسطيني... ولحد هان كان ما في أونروا.

جابنا الجيش الأردني برضو جابنا حطنا في رام الله جنب سينما دنيا اللي انهدت في رام الله... هذي كلها كان ف فندق الجراند هوتيل اللي فوق... كل الناس هناك تحت الشجر... الناس صاروا يعتلوا.. يحملو شغلة... يشتغلولهم أي شغلة ... اللي كان يوخدلو عشر قروش أبو زيد خالو..هذا عنتره عمو... وبعد ما قعدنا برام الله أجت الشتا ... وين بدهم يروحوا الناس.. اجى دور الأونروا... قالوا بدنا ننتقل على ريحا... وطلعنا من رام الله على ريحا بمواصلات.. في ناس صحلهم يطلعوا مع الجيش الأردني يودي على ريحا.... برضو هناك في مطر خفيف... ودخلوا هان في دكان في دير في جامع... يعني تآووا شوي الناس... بعدين فرقوا خيام عليم هناك.. نصبوا مخيم عقبة جبر ومخيم عين السلطان ومخيم العوجا... نصبوهم وقعدوا هالناس..

أجى الصيف... ناار الله الموقدة ... أنا وأخوتي.. جنبنا كان في عين الكلب بيقولولها جنب عقبة جبر... وطول نهار نناقل مي ونديرها عهالخيمة.. ما فيش فايدة قبل ما نطلع من عند الخيمة تكون الخيمة ناشفة... طول نهار عهالمعدل الناس... وهالكبار ينزلوا مرة لتحت وطول نهار غاطسين بهالمي... والله قولي قضّيناها هناك.. يعني اجت قضسنا الشتوية.. بعدين منطقة القبال عقبة جبر تقولي مزروعة الخبيزة زراعة فيها.. زي القمح.. طول نهار هالناس خبيزة يوكلو. في هالبيارات يشتغلوا هالناس... يلقطوا فلفل باتنجان... يومية الواحد 12 قرش

وحطوا هالناس... تضايقوا الناس هناك من أوضاع الطقس.. مش قادرين... بعدين اعلنت الوكالة.... بعدين مفيش دين عندهم الناس.. الشعب الفلسطيني شعب الجبارين.. أبو عمار قالها وعمري ما بنساها.

الأونروا:

هذا كانوا ما يعطوش توزيع الا لواحد يكون عنده ممثل عند الوكالة... يجي فلان مثلاً ويسحبوا هالناس معاه تبعين القرى الصغيرة... مثلاً لدادوة بيت نبالا هذا الهم معتمد من البلد... احنا سجلنا مع واحد قعد اربع اشهر ما يعطيناش... يقول بيجيش الكم اسم... كان الارتباط تبع الوكالة ومركز البوليس قالولنا دورولكم عواحد قرب بلدكم... سجلنا مع واحد من كفر عانا... هذا يلهط الأكل تبعنا... يوخدو... وكانوا يفرقوا أشياء باهظة... يعني اللي بدو يحمل عندو 7-8 انفار بدو فولكس فاجن يحمّلها.. رحنا راجعنا مركز البوليس... تكشفوا قال يا عمي اربع خمس اشهر الكم بتوخدوا..هي اسمكم... مع مين انتو؟ مع فلان الفلاني.. جابوه ضربوه بهدلوه قالهم يا عمي بقى يجي خربان واكبو ... عاودنا طلعنا مع واحد تاني من سلمة فقعدنا معاه لانو خلص الوقت هناك وصارو يسجلو ....قالو عالجلزون وقلنديا والامعري وعين سينيا ودير عمار هدول مناطق فيهم مي.... فسالنا هالناس قالو الجلزون احسن منطقة لانو فيها مي وبتيجوا عليها. وجينا عليها والله حطونا هان مطرح الجامع .... كانت كروم عنب وتين وخوخ ومشمش وزتون ..... ما فش حد.. الشقة هاي كلها فاضية... راح حيات الختيار استلم خيمة وحطها عنا وقال اندورلكم ع مطرح... طلع فوق عالشارع جمب خط نابلس.. هي دار اخوي لليوم هناك ... بس القوس والنتش هالطول... وسكنا بالجلزون لحد اليوم.... لو في كان مزبوط دول عربية وجيوش عربية بدها تدافع عن فلسطين دافعت !!!

الأجيال:

الإشي المنيح اللي سائد في الجو هان عالسطح إنو كل واحد بفهّم ولادو واخوتو كذا كذا إحنا بلادنا مش هان الجلزون إحنا بلادنا الساكية واحنا بلادنا بيت نبالا... منين ما الاقي حد ... من وين الأخ؟ انت من بيت نبالا، أنا من ساكية، أنا من سلمة، من خلية، من كفر عانا، من العباسية.... بقولش انا من الجلزون... وهذا دليل على ارتباط الناس ببلادهم... بس تغير المجتمع كامل.. ومن سئ لأسوأ.. يعني كان عنا بالبلد وقت الحصيدة أو جد الزيتون أو وقت أي شي لما يقصر الواحد يلاقي كل البلد تهجم معاه.. تا خلصوا زراعته تحصدو معاه... تنقل معاه... بعدبن كانت مرة (امرأة) بدها تطلع على يافا ما تطلعش لحالها.. ممنوع... هي متقبلش... بدها تطلع لازم يطلع معها واحد .. أبوها جوزها أخوها...إنها لازم يطلع معها عيافا ويرجع... يعني كانت من العصر وطالع كانت شركة باصات سلمة تنقل، يطلع من يافا يبيت في جفنا هان... باص يافا- عابود، يافا- رنتيس.. ممنوع حد يطلع من العصر وطالع، مش زي اليوم – دين أو شرف- كان في دين عند الطبقة الختيارية خالص... يعني تخش الجامع تلاقي 7-8-10 ختيارية ... أما زي اليوم تخش تلاقي الجامع ملان شباب... لأ... يعني لحد ما جينا ع رام الله هان كنت أشتغل ببلدية رام الله... كنت أنزل ع منطقة الطيرة... ما كانش في دار معلمات الطيرة، وهذي الطريق – عين كينيا- يعني شفت مرة واحد ساحب جمل.. زلمتين.. واحد ساحب وواحد ماشي معاه... لاقتهم حرمة حاملة ع راسها جونة أبصر شو فيها... عنب.. تين.. بعرفش.... وجاي متشتلة ورافعة ثوبها... "نزلي يا بنت ثوبك" ووقفوا هم داروا وجوههم على شقة على بين ما مرقت الحرمة... برضو هذا انفقد عنا في الوقت الحالي.

الخروج:

كان لازم نطلع، لأنه ما كانتش إسرائيل منظمة دولة.. كانت عصابات... يعني قبل ما نطلع خشوا على حوش في بيارة بعيد عن يافا، قبل سلمة، في زلمة وولادو سبعة عدد أنفارهم 35... خشوا عليهم في ليلة وحدة ذبحوهم كلهم ما خلوا غير ولد هلقد... الولد صحي الصبحيات لقى الدم بيشر.. الكل مذبّح.. فتح هالباب صار يعيط ويصرخ..إيش قال هيك هيك القصة... كل الجيران سحبوا حالهم وطلعوا من الخوف.

بعدين في ناس كانوا مندسين بين الناس –عرب... احنا هان في الجلزون تا إجت اليهود ... طلعنا احنا فوق صاروا اليهود يطخوا وهالسيارات يطخن بس عليها بس عليهن علم عراقي... كانوا يشوفونا واقفين شقة مدرسة البنات.. 10-12 واحد... إيش بتساوو هان؟ قلنا ولا اشي احنا من المخيم هان وقاعدين... قال يلا عالبيت... تا نزلنا لاقينا حياة الشيخ أبو الشيخ عبد الرحمن أبو صالح من بيت نبالا بيقول إيش في ... بقوله هيك هيك معهم علامة وحاطين علم عراقي... قالي والله يا ولد عمي هذول يهود... بقول طب انتو اللي عندكم سيارات... خذوا عيالكم واطلعوا.... أنا دشرتهم ونزلت... تا وصلت هان بدي اطلع ع دار ابوي إلا زلمة لابس عباة واقف هان على كوربة دار حسان، إلا هو بيقول ليش قاعدين هانّ؟ اطلعوا.. خذوا عيالكم واطلعوا.. اليهود قاعدين يذبحوا الشباب وبوخذوا البنات... بعد ما هدي الوضع.. شفت الزلمة هذا بتردد عدائرة الحكم العسكري... سألت واحد من وين هذا... بقولي من أبو غوش... كانوا هذول زي مكتب ثاني زي ما بنقول احنا... يخشوا يهيئوا الوضع للطلوع من البلاد لأنه إسرائيل ما بدهاش مواطنين... حاسبين الإشي اللي بدو يصير وبدهم يوخذوا البلاد فاضية.... أما يجوا يطلعوا الناس من دورهم بالقوة لا... لان هلقيت الوضع اختلف عندهم مش زي اول.. أول كانوا يهيئوا مواد غذائية للناس ببلاش.. كانت تنكة البسكوت هلقدة ب25 قرش نوخدها...بقول لواحد نسايبنا في الرملة ساكن قالي انتو بتوكلو من ميزانية الجيش... قال والله بس يفضولكو غير يوروكو نجوم الضهر منين بطلعن...كان سيارتين عندو تراكين... كانوا يبعتولو خبر يقولو عبي السيارة بنزين وحط مفتاحها واتركها... تقوم الصبح تلاقيش سيارتك.. يغيبو جمعة جمعتين شهر بالسيارة ويرجعولك اياها فاضية... لا يحقلك تطالب ببنزين أو تستلمها متل ما كانت...وهذا الحكي اللي صار..

حق العودة:

احنا متمسكين فيه... بس شايفين عالساحة أوضاع ثانية وهذا ما بيشجعش... أوضاع مساندة لإسرائيل... واللي ماشيين بالأوضاع جواسيس لإسرائيل.. على مين؟ على الشعب... يعني أنا شفت واحد من سلوان اعتقلوا ابنه...وهو عميل كبير والفرد على جنبه كان... فراح يتدخل بشؤون ابنه... صفعو الحاكم العسكري وطردو من عندو... رمى الفرد وقالو خود فردك مادام هيك... ما اتدخل بشؤون ابني أنا... خود فردك... قاله احمله حطه على جنبك ولا يحقلك تتنازل عنه أو ترميه ...طيب انت فلسطيني... على مين بتتجسس؟؟ هذه البادرة العاطلة عنا ... طيب والله اللي معتقلينو الليلة هذا ما بيئذي مخلوق.. طيب كيف أخذوه وليش ماخدينو من الدار وقالبين الدكان .. عندو سوبرماركت وبالجامعة الولد... مين اللي وز عليه... احنا هان اللي عامينا التقارير... عنا مرض ... يعني هذا بيشوش عالمجموعة تبعتي خليه جوا.. ليش اليوم انقلبوا الشاطر اللي بيكتب تقارير... قضيتنا بدها وحدة وتضامن... إذا بيصير اتحاد ووحدة وسلام بين الفصائل ... الشعب الفلسطيني مش ضعيف وإلو بعد بالدول

العربية ... مستعدين يقدموا الشعب الفلسطيني.. بس الواحد ان قعد عالكرسي بدو يفني الشعبكلو مشان يضله قاعد عالكرسي هذا..

أنا واحد قاعد في دارو وأجى واحد صار يطخ عليه وأطلعو من داره وعشت في الشارع.. كيف بدو يكون وقعها يعني...انا إذا بطلع من هان بدي أروح عالبلد... هلأ بطلع بروح مشي... مرة وحدة بقيت بدي أخش البلد بعد الاحتلال 67... قلتلهم أنا بدي أروح عبلدنا عالساكية... قال من وين... قلتلهم احنا مارقين من الخط هاذ وانا بدلكم عالطريق... مغيرين اليهود.. عاملين جسر ... مرقنا من تحت الجسر ورحنا عالبلد... وفرينا فيها... فيها يهود مغاربة... أعطل من اليهود- ماروكيين- شافوا الباص صاروا يرجموا علينا حجار وطوب... واطلعوا من هان... قلنا احنا كنا عايشين هان وبدنا نلف بالبلد ونطلع... طلعنا وشفت بلدي والقرى اللي جمبها بعرفهم.... بعرفها يافا بالنتفة وبالشارع... وحياة الناس هان قد ما يرتفعوا .. الحياة مش زي هناك... بعدين بلدنا العدد تبعها..100% بقدر اعطيكي... 450 شخص مع الغرباء...

<u>بعد 1967:</u>

الأنظمة اللي جنبنا... في سورية... أجوا ناس فلسطينية عنا هان كانوا ابنهم نازل من هضبة الجولان ومش قادرين يزوروه... فعملنالهم تصريح وخشوا راحوا زاروه... تا انتهم شافوا الوضع هيك عنا احنا قالوا شو انتو عايشين عيشة ملوك... قالوا احنا بنسترجيش نقول احنا فلسطينية...ما بنقدر نقول أنا فلسطيني... انا سوري ... الحرمة بتقول انه العنصر في المعسكرات تبعت الفدائية... لما بدو يطلع من المعسكر يروح عالدار.... لازم يطلع بس بأواعيه... ممنوع يحمل فشكة فاضية .. مسدس... منوع يعرف اشي... كلو يتركو في المعسكر... أما لو كانوا يسمحوا للناس توخد اسلحتها... كان الناس عملو تنظيمات خارجية... وكانوا ينزلو... هديك اليوم لما نزلوا عند الجولان... في واحد وصل يافا... بس الهيكل تبع اسرائيل بيخوف

قعدت مع واحد يمكن رائد في الجيش الأردني.... قال احنا قادرين نحتل سوريا بأقل من 24 ساعة... هو نسيبنا... قلتلو بدل ما توخدوا سوريا.. ما هينا منشفين ريقنا اليهود... قال إسرائيل عندها فانتوم قلتلو سوريا عندها ميغ 21... قالي انت مبين واحد غلباوي... احنا هيك يعلمونا... احنا نقدر نحتل سوريا.. اقولك... بسبع ساعات... قلتلو تعالو بيومين احتلوا اسرائيل واطردوهم من الضفة الغربية... الأنظمة العربية اللي كانت مسوأة الوضع... هي أجى الملك عبد الله لأبو مازن... قالو خليك في المحادثات السلمية... وقديش صارلنا بالمحادثات السلمية... ما أخدناش قد هذا الخط... خلص خلي في معارضة واصلح مع المعارضة انت... واحد يضغط وناس تسهل نتفة صغيرة... بيصير في حل للوضع... بيقدروش يطلعوا واحد من القدس... يهدم دارو بإيدو وينظفها .. بيقدروش...

<u>العنصرية:</u>

أهل النبي صالح ما رضيوش يسكنونا بالمرة... اقعد في البر اقعدد في البراري ما يخلوش ولا واحد يسكن... في كان أربعة يجوا من بلد اسمها دير نظام هان... يجوا عنا عالبلد عالساكية... يجوا محملين عنب وزتون وتين واشي زي هيك... ويبيعوا... يجوا عنا عالدار... نحط خيلهم ودوابهم عنا ونطعمهم أربع خمس ايام تيبيعوا ويلموا المصاري ويطلعوا... تا جينا هان عدير نظام رحنا نزورهم... شردوا من وجوهنا... رحنا نزورهم عالكروم بدنا شوية تين بدنا نوكل مفيش عند الناس خبز... لقطولنا أول مرة بيجي سلة قد هاي صغيرة... بعد

15-10 يوم رجعنا بدنا نلقط... شردوا.. اختفوا ولا بينوا على وجهنا... هذا وكان الناس يقولوا انتوا بعتوا ارضكم لليهود وجيتوا هانا ع بلادنا... إلى خوات تنتين توفين هان بدورا... رفضوا يخلونا ندفنهن... وطوشات ومشاكل تا دفناهن بدورا... في البيرة ما يخلوش واحد لاجئ يدفن في البيرة... مش قلوبهم ع بعض الناس... هلقيت هيهم بشوفوا الأرض كيف بتروح... مش بيع بمصاري.. بالعنف بياخدوها اليهود... هلقيت صاروا يصوتوا... ولا كانوا يقولوا انتوا بعتوا بلادكم وجايين ع بلادنا... المية... المية يمنعوا الناس اهل دورا يملو مية من دورا... والله النسوان ينزلن ويرجعن فاضيات.. ينزلن ع عين سينيا أهل عين سينيا يطردوهن وفي الآخر صاروا يروحوا على جفنا... بجفنا صاروا يضربوا النسوان تبعون جفنا ويملين ويطلعن... عاطلين... لما واحد انتكب وانصاب وطردوهم من بلادهم احتفوا فيهم... لما هاجر الرسول من مكة عالمدينة طردوهم؟ استقبلوهم... اعطوهم دور وأعطوهم... هدول اللي بدهم ينشئوا وطن ودولة... أما هان غلط

أهل سردا.. أكثر من عشرين مرة طردوا أهل الجلزون عن المية... طب هي المي إلكم..مهي من ربنا بعتها... كان الوضع سلبي... ولا لو لاقو ناس احتضنوهم وبقوا يقاوموا.. ما فيش كان دبابات ولا طيارات زي اليوم... كان رجعوا عالبلاد...كان رجعوا على وطنهم ... دشروا الأرض مزروعة أطول مني ... الدرة.. السمسم.. الخوابي ملانات دشروها كلها لليهود أخدوها... جينا عاللد... شرى أبوي لحاف وجنبيتين... بدنا ناخدهم ع بيت نبالا مفيش لا فراش ولا غطا... فاحشين خندق عالطريق خمسة متر نزول وعرض اربعة متر عطول المنطقة زي الجدار... ولا يمكن يخلونا نطلع... يا جماعة احنا جينا نبيع خشب لبيت نبالا وشرينا غطا للولاد... مفيش فايدة... ارموا بالخندق... لحف وفرشات... غيرنا اشي حامل بابور... لا ارمي... انتو بتخربوا البلاد...

بقى ابوي يروح الفرن يا جماعة بيعونا بعشر قروش عشرين قرش لهالولاد.... والله ولا واحد... القروية هذول ... يقول لا يا عمي .. بدنا نطعم ولادنا... طب أخوكم المسلم هدا ما كانوش في قلبهم حزن عالناس.

الملحق(2): نموذج مقابلة من الجيل الثاني

الاسم: ملكة

العمر: 63 عام

القرية الأصل: بيت نبالا

الخروج:

والله حسب ما إمي خرفتنا يعني شو صار... صاروا الناس اللي في المدن زي مثلاً ما تقولي اللي من اللد، من يافا، القرى المجاورة إلهم... صاروا يجوا وين؟ على القرى القريبة على اللي هي حالياً الضفة الغربية... يجوا يقولوا شغلات كثيرة مثلاً مذبحة دير ياسين.. مذبحة قانا.. ومذبحة... كثير شغلات.. وأجوا الناس هاربة من اليهود عأساس انهم عملوا كثير شغلات... بيقولوا انهم مثلاً اغتصبوا النساء... قتّلوا الاطفال وقتّلوا الناس اللي في الجوامع... يعني شغلات كثير حسب ما خرفتني امي.

اليهود برضو صاروا يعملوا بأعمال مش مزبوطة بالقرى...بلدنا احنا، حسب ما خرفانا امي، الانجليز هم اللي كانوا يعملوا الشغلات قبل ما يجوا اليهود.. إيش؟.. تهيئ لليهود عشان يلاقوا اليهود البلد على بساط من فضة زي ما قالوا..كانت معاملة البريطانيين أكثر من معاملة اليهود أول ما حطوا اليهود وبدهم يطلعوا يعني... والطلعة كانت زي ما طلعوا هالناس.. عأساس أنه خوف من المذابح اللي سمعوا عنها وخوف من اغتصاب النساء ... خوف من هدم الدور ... خوف من اعتقال الشباب.

احنا أول بلد وصلنالها اللي هي شقبا، ما قعدناش.. ما استقريناش يعني... بعدين رحنا لبلد اسمها عجول... قعدنا يعني والله مش بطالين... وبتعرفي الناس لما بقوا الناس في قرية يجوا عليهم ناس من مطرح ثاني .. ناس كثير وإشي... الا الواحد يتضايق شوي... بس والله انهم محترمين ... أنا قعدت في عجول عشت فيها تقريباً ست سنين... لما صرت ست سنين صار فش مدارس غير مدرسة الولاد... يعني الصف يحتوي على أول وثاني وثالث زي ما تقولي... فأبوي لما صرنا ست سنين نقلنل على دير عمار... وجينا هون بقى عمري تقريباً 15-16 سنة.

في دير عمار فيه المخيم.. لما رحنا احنا ما كانش في مخيم... كان في خيام... وبعد الخيام .. تقولي بعد الهجرة بيجي 7-8 سنين... بلشوا يوزعوا علينا وحدات... اللي بيقولوا عنهم وحدات اللي هم طوب وباطون وشغلات زي هيك... فإحنا أبوي لما رحنا يعني اشترالنا بيت على قدنا... يعني بيت صغير اللي يحتوينا... يعني كنا حوالي 7-8 احنا وأبوي وأمي... وأخذنا كرت المؤن... وعشنا كلاجئين... بعدين من المخيم جينا على هون (الجلزون) اشترى أبوي أرض وبنالنا.

هل يؤثر الخروج من المخيم على وضع وهوية اللجوء؟

لأ لأ.. طالما أنه معاه الواحد كرت المؤن وطالما أنه معروف اسمه وعندو أرض في بلده فلسطين.. يعني في بلدنا مثلاً بيت نبالا ما حدا بينساها ... يافا ما حدا بينساها... اللد ما حدا بينساها... ليش بدنا نخاف ... وبعدين وضع الناس في المخيم ... في ناس وضعهم سيء جداً... بتلاقي حوالي 10-11 بغرفتين يعني ولا 3 غرف يا دوبك.

المسؤولية

والله أنا بحمل المسؤولية أول شي للبريطانيين بعدين لتخاذل الدول العربية... ما كانش حدا يعني عندو حساسية أنه هذي فلسطين تتو نجندلها جنود وندافع عن أهلها... الشغلة الثالثة يعني اليهود الملاعين ... بتعرفي انتي اليهود هم أساس كل بلاء.

هل تتدرك الاجيال الجديدة اهمية القضية؟

والله انا زي ما بشوف ما اعتقدش... مش زي ما بفهم انا يعني... لأني أول ما كبرت وصرت اعرف الحياة وافهم الحياة... عرفت انه احنا بلدنا بيت نبالا... حتى كنا في دير عمار... كنت أقف على جبل... الجبل بيبيّن منو اللد ويافا وهذول... تل أبيب اللي بيقولوا عنها وكذا... وأقول بيجوز هذيك بلدنا.... يعني سبحان الله الواحد ... بلادنا ما نسيناهاش من مرة... بعدين رحت أنا زرتها عدة مرات... وهي بلادنا حسب امي وابوي واكبار بالسن عنا بيقولوا انه هان كان مطرح دارنا... هان مطرح دار سيدك... هان مطرح دار عمك... يعني كانوا يقولولنا... هو مهدم بس في شغلات يعني مش مسكينهم.

سبب تدمير القرى

والله هم لما دمروا القرى.. مثلاً قرية قريبة على بلدنا احنا... القرية الثانية تخاف... هلقيت مثلاً انا جيرانا هذول طلع عليهم حرامية وقتلوا حد منهم... شو انا بدي اساوي؟ بدي أخاف وأوخذ احتياطي... فهم اليهود متعودين عالإرهاب من يوم ما انخلقوا يعني انهم يرهبوا الناس ويخوفوهم مشان يطلعوا بالتي هي أحسن.

حق العودة

ان شاء الله بيتحقق ... متأملين 100% ان شاء الله... يعني مفيش قطع أمل .. ولو احنا ما رجعناش .. ولادنا ما رجعوش... ولاد ولادهم بيرجعوا ان شاء الله...

هويتك كلاجئ

والله أنا شخصياً لما أعرف عن نفسي بقول أنا فلسطينية ... أنا من بيت نبالا الـــ 48... حتى لليهود... أنا على فكرة قعدت فترة طويلة بأميركا... وهانا وفش معنا هوية كان... لما أجي أدخل هان يقعدوا يسألوا فيي اليهود سؤالات كثيرة... من وين أنت ومن وين أهلك... من وين جيتي وكذا... وكلو عالباسبورت تبعي الأجنبي –لأنه فش معي هوية. شو أسم بلدك أقولهم بيت نبالا... شو أنتي من مواليد إيش... من مواليد كذا كذا... يعني كنت أشرحلهم كل شي ومرات يرجعوني ويبعدوني... مرتين أبعدوني.... يعني القضية إني مستحيل أقول مثلاً من رام الله... أكذب على نفسي وأقول أنا من القدس... أنا فلسطينية لاجئة من الـــ 48 وبلدي اسمها بيت نبالا قضاء اللد... اخرى بنقولهم وبنعرفهم أنه مطار اللد بأرض بلدنا..

الأجيال الأخرى

الجيل الأول ..والله هم اللي ذاقوا اللوعة وذاقوا المرار لما انهزموا... يعني تخيلي أنتي لما إمي.. وأنا عمري 6 أشهر وأخوي الأكبر مني سنتين ونص... وماشيين... تركت الدار ما أخدت اشي ولا شغلة معاها... وأبوي نفس الاشي... يعني تخيلي هذي مأساة... عمري ما بنسى هذي الشغلة... يعني لما مثلاً الواحد يترك دارو ويترك مونته ويترك أواعيه ويترك شغلات ويطلع هاي ما بنسوهاش...

الجيل الجديد... والله الجيل الجديد بدو حدا اللي يوعيه... بدو مثلاً تقعد المرة مع ولادها ...احنا صار معنا كذا كذا وفلسطين بلادنا واليهود أجوا... أول اشي استعمرونا البريطانيين وبعدين اليهود استعمرونا وأخدوا بلادنا وطرّونا... وشغلات زي هيك..

أما عن فكرة الكبار بيموتوا والصغار بينسوا ... لا لا.. أنا بقول لا مستحيل... لأنك اطلّعي على جيل الانتفاضة قديش إلهم من ال88 ... من الــ 88 لحتى 2012... احنا هلقيت حوالي 25 سنة.. طيب اللي انولد في الانتفاضة... وحالياً احنا شايفة شو اوضاعنا... يعني هل من المعقول أنه يقول اليهود معهم حق؟! ..واللي بيساووه فينا... لا مستحيل.

والله النكبة مستمرة اطلّعي انتي النكبة شو هي... تعالي مثلاً للمقدسيين ... هيهم بيبعدوا فيهم قاعدين...الأسرى اللي طلعوا من السجون... هناء شلبي اللي بلدها بقت من جنين... أبعدوها على غزة.. هذي مش نكبة؟؟ هذي مش حسرة؟؟ ... يعني اليهود مستعدين يعملوا اللي بدهم إياه على أساس أنهم يخضعوا الشعب الفلسطيني عأساس أنه يستسلم ويقول يا عمي هاي الراية البيضة واعملوا اللي بدكم اياه... مع انهم من دون هالواسطة عاملين اللي بدهم اياه...

والله بنعاني.. واسعان اللي جاية ان شاء الله.. ان شاء الله انه النصر قريب... ان شاء الله... يعني أنا بتأمل بوجه الله سبحانه وتعالى أنه الدين يرجع وأنه الناس يصير عندها دين... مش بس احنا الفلسطينيين.. من الدول العربية من برا... من الشباب.. اطلّعي على المظاهرات اللي بتصير بالدول العربية... مش الشباب اللي بيقوموا فيها... اطلّعي عتركيا... اطلّعي عالأردن... وين ما رحتي ... يعني مصر بعد الثورة شو مصر بتساوي؟ اطلعي عالمغرب... هذيك اليوم بيقولوا عالقدس رايحين جايين بالملايين... عمر المغرب ما كانت تسمح... هذا بيعطيني أمل ... هذول هم الشباب ان شاء الله اللي رايحين يحرروا فلسطين.. ان شاء الله.

<u>الأونروا</u>

الأونروا أولها أنا بقيت بنت صغيرة... بقيت بقينا نوخذ المؤن... يعني كانوا يجيبوا شغلات... كانوا يعطوا طحين.. زيت... حمص والفول.. والرز... حتى مرات كانوا يعطوا جبنة... يعني بنساش هذا الاشي... كنا صغار هذيك الايام... أما الأيام هذي شطبي عليها... مزبوط احنا شخصياً عشان بقينا في أميركا.. بقوا يوزعوا المؤن واحنا يمنعونا قال انتو مش بحاجة للمؤن... انتو أميركان مش بحاجة للمؤن.. انا من الــ71 مسافر بس بروح وباجي...

<u>العنصرية</u>

شوفي تا أقولك... أنا شخصياً بدي أقولك عن حالي شغلة صارت معي وأنا عمري 4 سنين... واحنا في عجول... بقولش عن جميع الناس عاطلين... واحنا في عجول كنا نروح نلعب احنا والبنات اللي جيرانا واللي بنعرفهم... في كانت عين نروح نعبي منها... إمي كانت تشتريلنا زي ما بيقولوا عسلية.. تشتريلنا اياها ... بيجوز كسّرت كم وحدة قبل ما أوصل الدار .. أقوم وأنا خابطها ورايح .... هلقيت في ذيال العين.. في شجر.. شجر مثمر.. يعني والله ما انا عارف هي تفاحة وقتيها ولا نجاصة هي... ما أنا عارف شو هذا... هو انا طلتها عن الفرع ولا طلتها عن الأرض وأكلتها... في وحدة معايا قايلة عني إني أنا طلت تفاحة ولا اللي هي.. وأكلتها

... هلقيت أنا قاعدة شفت مكان كنا نلعب الخمس حبات سرار.. نلعبهم وأنا قاعد ... بنت جاهلة مش مطلع عإشي يعني... دايرة ظهري وقاعدين على ظهر البيت... بتذكرها زي ما بتذكر هلقيت... بلعب في الكيال ... أجت المرة (المرأة) صاحبة الشجرة.. أنو يللي قايللها إني أكلت حبة تفاح ولا مش عارف شو دينها... والله غمضت ديّتها (قبضتها) وقالت... يجعلك ما تشخيها... يجعلك ما توكليها... على زرد ضهري... وحياة الله... أنا ولا قلت هيك وهزيت الي شوي وزعلت بعدين ضليت قاعدة العب بالكيال... أبصر انو .. أنا ولا حدا اللي قال لإمي.. تقاتلت هي واياها... هي وإمي... بقين ممليات ومسندات... بقين بدهن يوقعن الجرات على بعضهن.... في عندهم الناس عنصرية... وفي ناس مليحين.. حرام يعني بقدرش أظلم الجميع... يعني أهل عجول اول ما رحنا عليهم... مش عيال كثير... احنا كنا من 3-4 عيال اللي رحنا عليهم... بس فيهم ناس مليحين وناس مش مليحين واللي هان أصلح من اللي برا ... قضية شتات اللاجئين قضية إلها قيمتها... بتتحلش قضية اللاجئين إلا يزولوا اليهود... مستحيل لأنه مش نافعنا لا أونروا ولا نافعتنا أوروبا ولا أميركا ولا الدول العربية... حتى في الدول العربية بتلاقي اللاجئين بيقدروش يحطوا حجر على ظهر دارهم او يبني اللي يوسع على حالو..

<u>قبل النكبة عام 1948</u>

كانت حياة كثير مليحة... عايشين بأمان ... كانوا رغم الانتداب البريطاني اللي كان عندهم وكانوا يضايقوا عليهم... كيف اليهود بقوا يطلعوهم أول ما احتلونا... يطلعوا الشباب من السوق عند القهاوي.. ويدخلوا يفتشوا الدور وإشي... البريطانيين كانوا يعملوا نفس الاشي معاهم... حتى السكينة يوخذوها منهم وما يخلوش بالدار إشي... كان يعني في معاناة... بس رغم ذلك كانوا إمي وأبوي يخرفونا خراريف كثير منيحة... كانوا عندهم البيارات وعندهم الزتون وعندهم الأرض تبعتهم... يحرثوها... يفلحوها... يعني كانت حياتهم كثير مليحة... يعني أبوي الله يرحمو ما رضي يشتري أرض إلنا ولإخوتي عأساس أنه عندو امل أنه يرجع.. أديش أبوي عاش 80 سنة تقريباً.. ما كانش راضي يشتري شقفة أرض لإخوتي يبنوا فيها عأساس ولكم إحنا بدنا نرجع عبلادنا... شو بدنا فيها الأرض هذي نشتريها... كان أملهم كبير... أبوي عاش 80 سنة الله يرحمو.. وما صارش اشي... يعني قولي الحسرة والغصة والقهر موجود في قلوبنا وقلوب آباءنا وأجدادنا ... وراح يكون في قلوب أخرى ولادنا وولاد ولادنا...

أنا بدي أحكيلك ... عشنا بأمريكا.. وعشنا هانا... والله لو اليهود يوقفولي عالباب هانا ما بنخاف منو... بس بأميركا بتبقى مسكرة على حالك وقاعدة جوا رغم انه فش بأميركا فش حد بيضطهدنا ولا اشي... بس فيها بيخاف الواحد من سكارى ولاحرامية ولا شغلات زي هاي.... بس هانا بلدنا الواحد بيموت فيها وبيحب أنه يضل فيها... رغم انه بالنسبة لتوفير الأمن والحماية هان.. مش شايف حدا موفرلنا الأمن... كل واحد بدو يدير بالو على حالو..

الملحق(3): نموذج مقابلة من الجيل الثالث

الاسم: رائدة

العمر: 28 عام

القرية الأصل: بيت دجن قضاء يافا

الخروج

ما بعرف

كل اللي بعرف انهم طلعوا تهجروا منها وسكنوا في دورا القرع، ذاكر انه أبوي خرفنا أنه ضايل منها بس مسجد لليوم موجود، وسموها بيت داجون، مستوطنة صار هلأ اسمها بيت داجون

كان أبوي وسيدي وستي كانوا ساكنين فيها، سألت أبوي كيف يعني طلعوا منها وهيك.. فحكالي.. هو كان صغير ومش كثير عاش فيها... وبعدين طلعوا أجوا على دورا القرع... ضلوا في دورا القرع ولساتهم في دورا القرع... كل واحد تجوز بس ضلت دار السيد والعيلة الكبيرة أصلها بدورا القرع....بتوقع أصلاً كل اللي بدورا مهجرين... هاي التفاصيل ما بعرفها بس أتوقع أنه كل اللي بدورا أصلاً هم لاجئين.

سيدي وستي كانوا واعيين منيح وما كانوا كبار بالسن، يعني بيجوز كان عمرهم 40-50 هيك اشي... وما بعرفهم منيح لانهم توفوا

المسؤولية

لليهود للإسرائيليين، لأنهم هم أصلاً كان عندهم قوة وقوتنا مش بقوتهم... ما كان في أسلحة معانا قادرة على... يعني عنا كان قوة بشرية بس هاي القوة البشرية شو بتملك غير الحجر... غير انها تحكي... فش عندها سلاح ثاني... السلاح اللي هو أصلاً معاهم مجرد بارودة.... وأي دبابة تفوت عل قرية... كل القرية أصلاً بتفضى... بيجوز من مرة وحدة يضربوها... ابوي كان يحكيلي بانهم كانوا يمسكوهم يحطوهم عالحيط ويرشوهم.

حق العودة:

أنا ما بتوقع أنه يتحقق... احنا بنضل متأملين.... بس أنا متأكدة أنه راح يجي يوم من الأيام... مش هلأ ... بيجوز ولاد ولاد ولادنا... أنه رح يرجعوا.

الأجيال:

هلأ أبوي متمسك كثير بالأرض وكيف إنو هي بالنسبة إلو وطن... والأرض وفلسطين إشي كبير يعني... إحنا جيلنا بتحسيهوش متمسك... يعني انا بالنسبة إلي بحب أرضي... بس مع الظروف هذي القائمة وكيف بتحسي حالك محشورة وهيك... بحب أطلع برا.. وما بحب أضلني هون... بحب أرجع لبيت دجن ..للحنين... بس إني أضل هون مع هاي الأوضاع لأ...

بس بحس أنه جيال سيدي وأبوي وأخوتي الكبار الكبار هدول متمسكين كثير أكثر مننا احنا... أكثر من جيلنا... جيلنا لأ بيفكر بالهروب... أنا بشوف أنه معظم جيلي هيك... الناس اللي حولي بيفكروا أنهم يطلعوا أكثر ما

يضلوا هون.... يعني بفكر أنا... احنا ما بنفكر نتملك بيت لأننا بيجوز نسافر ونطلع... يعني فكرة البيت ملغية من عنا.... بدنا نضلنا بنضل بالأجار... وأنا بالنسبة إلي بفضلش أضلني هون لأنه الظروف كثير سيئة ... والاحتلال..وهيك

أما العودة للبلد... آه برجع... أما إذا أنا مأسس حالي هناك ما برجع... إذا أنا مثلاً لنفترض بإني أنا كنت بفرنسا مأسسة حالي هناك وولادي كانوا هناك وكل وضعي هناك تمام...وعندي بيت هناك ... باجي هون زيارات ... بس إزا قالو ارجعوا كل واحد على أرضو في هاي الحالة برجع... إذا انفتحت البلاد وهيك... لا برجع.. وبترك كل شي.

أنا بحب أنه ابني يعرف انه احنا من بيت دجن قضاء يافا... بس انا ما عشتش فيها.. يعني أنا هلأ بحكي أنه انا من رام الله... بس أنا ما بحب ابني انه يحكي بكرا يا ماما بدي بكرا لما أكبر بديش أحكي أنا من فلسطين انا بدي أحكي أنا مثلاً من عمان... لأ بحبش... أنا بزرع فيه هاي الشغلة... وشوي شوي لما يكبر بحب أخليه يعرف أنه هو ابن هاي البلد وأنه ربي هون وعاش هون وأنه كان في احتلال وهاي الأرض لازم ترجع... وحلو الواحد يسافر ويروح... بس في بلد لازم يرجعلها... إللي هو أصلاً هاي بلدنا... أصلاً مطلوب مننا نضل مرابطين فيها... بس احنا ما بنحب... هروباً من الواقع..

أنا لما حد يسألني من وين ما بحكيلو بيت دجن قضاء يافا... لأ بحكيلو أنا من رام الله... إلا إذا سألني أصلك من وين... وما عمرو حد سألني إلا إذا كان في إشي ضروري بصراحة.

<u>**العنصرية**</u>

لا ما بحس بالمرة... بحسهم كلهم نفس الاشي يعني... بحس العنصرية موجودة تجاه المخيمات ... اللاجئين الموجودين بالمخيم... اللاجئ اللي بالمخيم بيحس أنه في عنصرية...

أنا مثلاً كنت البنت الوحيدة اللي جاي من برا المخيم... كنت ساكنة بالضواحي... كانوا كلهم هيك.. يعني شايفيني غريبة عليهم... وكنت أنا أحسهم غير عني وهم يحسوني غير عنهم... يعني أنا في كل المدرسة... يعني هم لاجئين وأنا لاجئة ... بس هم بنات مخيم كانوا... فكانوا يعاملوني غير.. ودايماً ينتقدوني... دايماً دايماً... التنين في عنصرية... هم لأنهم بيحسوا حالهم غير عن هدول... وأنا بحس حالي أنه هدول غير عني... يعني مع أنه بيطلع من المخيم دكاترة ومهندسين وبيطلع كثير أشياء يعني زينا زيهم... بس مش عارف بضلني أحس أنه في فرق.

احنا ما عشنا بمخيم لأ... أبوي رفض... حتى أبوي رفض يدرسنا بالمدرسة اللي بالمخيم... ورفض يدرس أختي مع أنه ما طلعلها بمدارس رام الله... بس رفض... ما بيحب أبوي... بيعتبر المخيم غير عننا.

أبوي تعلم بيجوز للصف التاسع.. للصف السادس.. بالمدرسة اللي احنا درسنا فيها... بالوكالة درسنا شوي بعدين أبوي طلعنا... طلعنا كلنا وما خلانا... عشان المخيم... حتى أنهم عملوا مدرسة للجلزون للثانوي.. وأبوي ما رضي... وعشان كانوا صاحباتي وهيك... ذاكر اختي حاولت تحكي لأبوي انني حابب أضل بهاي المدرسة... هي كثير حلوة وعشانها جديدة... بس أبوي رفض... عمللها واسطة ووداها على مدرسة رام الله... ما رضي عشان المخيم... قال ما بحب تختلطوا بولاد المخيم لأنهم ثقافتهم غير... وهو أبوي لاجئ بس بيعتبرهم غير..

<u>قبل النكبة</u>

كانت كثير حلوة... كثير كثير كثير... وبيضلهم لليوم إمي وأبوي يحكوا يا الله ما أحلى أيام زمان وكيف كانوا يعبوا المي من العين ويتجمعوا كلياتهم... ما كان في زي اليوم هاي التكنولوجيا اللي بتبعدهم عن بعض... كانوا خلص دايماً مع بعض العيلة متجمعة بنفس البيت ومتجمعين.. بيفطروا مع بعض بيتغدوا مع بعض... يعني بيخلقوا من أدنى شي بيخلقوا فرح... مش زي اليوم... بس يعني لليوم بنكون قاعدين ... بيحكوا الله يرحم أيام زمان.... بيصيروا يحكولنا عنها قرية كانت حلوة... ما كانوا يمرضوا زي هلأ... وهيك هاي الأشياء يعني... هذا الحنين اللي بيشعروا فيه هو اللي بيخلينا نحس فيه... يعني أنا ما عشت هديك الأيام بس لما أشوف أبوي بحكي هيك وإمي ... فأنا بحن لهديك الأيام... مع اني ما عشتها بس بحس في إشي بيخليني أحن..

أنا إمي لاجئة من بيت نبالا... وكانت صغيرة ... كانت بالمدرسة... بس ما عمري سألتها ... وسيادي كمان أنا ما شفتهمش كثير .. عشان هيك بعرفش.